



كلية الدراسات العليا

برنامج اللغة العربيّة

صورة العربيّ في الرّواية العبريّة الإسرائيليّة (2016-2005)

إعداد: ميسرة حسين وتد

إشراف:

الدّكتور غانم مزعل

الدّكتور عدنان الجواريش

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

2018م

إجازة الرسالة

صورة العربي في الرواية العبرية الإسرائيلية
(2016-2005)

إعداد

ميسرة حسين وتد

إشراف

د. عدنان الجواريش

د. غانم مزعل

نوقشت هذه الرسالة يوم السبت/ بتاريخ 2018/06/30، وأجيزت من أعضاء
لجنة المناقشة:

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

عدنان عبد عثمان
..... A. A. Antimani

د. عدنان الجواريش / مشرفاً ورئيساً

.....
.....

د. غانم مزعل / مشرفاً

.....
.....

د. نادر قاسم / ممتحناً خارجياً

د. نسيم بني عوده / ممتحناً داخلياً

الخليل - فلسطين

2018/هـ 1439م

إهداء

إلى والديّ العزيزين، حفظهما الله من كل سوء، فقد رافقتني دعواتهما وكانت دعامتني متينتين
أتوكأ عليهما لمواصلة المسير..

إلى أستاذيّ الكريمين، الدكتور عدنان الجواريش، والدكتور غانم مزعل، فقد كنت محظوظاً
برفقتهما..

لأقربائي.. أخصّ بالذكر عمّي حسن..

لأصحابي في جت، وفي القدس، وفي الناصرة، وفي طمرة، وفي سخنين..

إلى أستاذتي في قسم اللغة العربية..

لزملائي في رحلة البحث..

للعربيّ في أرض فلسطين.. أهدي هذا العمل المتواضع.

الباحث

الشكر والتقدير

الكلمات لا تطاوع، بل لا تبلغ في الإبانة عمّا يختلج في صدري من شكر وعرّفان لأستاذي
الفاضلين: الدكتور عدنان الجواريش، والدكتور غانم مزعل، لما قدّما من توجيه وإرشاد ونصح، فكانا
نبراسين متوهّجين أضاءا الطريق، أشكركما جزيل الشكر، وأدعو الله أن ينفع بكما دائماً.

فهرس المحتويات

إهداء.....	ب
الشكر والتقدير.....	ت
فهرس المحتويات.....	ث
ملخص.....	خ
مقدمة.....	د
تمهيد: الإثنية في المجتمع الإسرائيلي ومكانة العرب فيها.....	1
الفصل الأول: مصادر صورة العربي عند الروائيين اليهود الإسرائيليين.....	9
- توطئة.....	10
- المصدر التاريخي.....	10
- الهولوكوست.....	10
- هجرة الجماعات اليهودية.....	16
- الحروب اليهودية العربية.....	18
- المصدر الديني.....	22
- الشعب المختار.....	22
- الكتب الدينية اليهودية.....	24
- تناقضات التوراة.....	27
- الأغيار.....	28
- المصدر السياسي.....	30
- أهم الأحزاب السياسية الإسرائيلية.....	31
- الأحزاب اليمينية.....	31
- حزب الليكود.....	31

- حزب كلنا برئاسة (موشيه كحلون).....32
- حزب البيت اليهودي.....32
- شاس.....33
- يهودات هاتوراة.....33
- إسرائيل بيتنا.....34
- الأحزاب اليسارية.....34
- يش عتيد (هناك مستقبل).....34
- ميرتس.....35
- المعسكر الصهيوني.....35
- آلية تشكل الحكومة في إسرائيل.....36
- المصدر الثقافي.....38
- أولاً الموسيقا.....38
- ثانياً المسرح والسينما.....41
- ثالثاً عبر شاشات التلفاز.....46
- أولاً برنامج صراع البقاء.....48
- ثانياً برنامج "الأخ الأكبر".....50
- ثالثاً برنامج "البلاد الرائعة".....53
- رابعاً برنامج "ظهر الأمة".....54

56.....الفصل الثاني: الملامح الخارجية والأبعاد الثقافية والاجتماعية.

- الوصف الخارجي واللون.....57
- الطعام والشراب.....63
- الملابس.....67
- العادات والتقاليد.....69
- الأخلاق والصفات.....71
- الفكر والثقافة.....77

- الدين.....82
- صورة المقاوم العربي.....86
- صورة المطبّع العربي.....91

الفصل الثالث: الفضاء المكاني العربي من منظار الروائيين اليهود الإسرائيليين...94

- البيت ومتعلقاته.....95
- دور العبادة.....102
- الأسواق.....104
- القرية والمدينة.....106
- الحدود والمناطق الحرجة (نقط التفتيش والسجن)108
- خاتمة.....113
- الملاحق115
- رواية "ياسمين" - إيلي عمير.....115
- رواية "جدار حياتها" - دوريت رفينيان.....115
- "سعيد" - ران كوهين116
- ثبت المصادر والمراجع117

ملخص

تكشف الدراسة انشاقات طبقات المجتمع الإسرائيلي، وتبين مكانة الأقلية العربية فيه، وتستقصي الدراسة أهمّ البواعث التي ساهمت في تشكيل صورة العربيّ عند الروائيين اليهود الإسرائيليين، فتمرّ الدراسة بأهمّ الأحداث التاريخية في حياة الشعب اليهودي، وتظهر أحكام التوراة المتعلقة بالأغيار، وتعدّد الأحزاب السياسيّة التي تشكّل الحكومة وتؤثّر على الرأي العامّ، ثم تُعرج على أكثر البرامج التلفزيونية مشاهدة، وتقف على منصّة المسرح اليهودي الإسرائيلي. ومن ذلك كلّ ترسم الدراسة اللوحة النهائيّة لصورة العربيّ.

إنّ الروائيّ اليهودي الإسرائيلي يعتمد على هذه اللوحة في خلق الشخصية العربيّة، فاعتمدت الدراسة منهجاً وصفيّاً تحليلياً في رصد صورة العربي المتكوّنة في ذهن الآخر اليهودي الإسرائيلي، وجعلت من الرواية العربيّة مرآة تنعكس عليها هذه الصورة، فحدّدت حضور الشخصية العربيّة فيها، وتنبّعتها في إمعان، وتقصّت تحركاتها في المكان، وقاست تفاعلاتها في المجتمع، وتغلّغت في نفسيّتها محاولة فهم وجدانها.

وقفت الدراسة عند رواية "ياسمين" لإيلي عمير نموذجاً، التي برز فيها دور الشخصية العربيّة، وحاولت تحليل جملة من المواقف التي دارت في فضاء الرواية، لتكشف عمّا يختلج في نفس الروائيّ اليهودي الإسرائيلي، الذي كان يصبغ هذه الصورة بألوانه الخاصّة بحسب الحاجة، فتراه يخلق شقوقاً بين صفوف العرب، ويوسّع هذه الشقوق مع مرور الأحداث، فجاءت الدراسة لتمنع هذا عن طريق فهم الشخصية العربيّة بصورة أدقّ عبر أدب الآخر، ومن أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة أنّ الروائي اليهودي الإسرائيلي يجعل العربي والمسلم وجهين للعملة نفسها، فهما متلازمان، ويصور الروائي اليهودي الإسرائيلي المرأة العربية على أنها شخصية مضطهدة وساذجة ومكبلة في بيتها، تستغيث من جور المجتمع العربيّ.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن صورة الإنسان العربي قد مُرّقت شر ممزّق في معظم الروايات العبرية الإسرائيليّة، وصار أغلب الأدباء يجعلون العربي شخصية متمردة إرهابية، فكلما احتاج أحدهم ممثلاً لدائرة الشر حيث يتصارع مع أبطالهم وشخصياتهم المنسوجة، كان للإنسان العربي أوفر الحظ والنصيب فيها، بل تعدى ذلك إلى سيناريوهات السينما فلا يخلو فلماً إلا وفيه صورة مشوهة للعربي.

فلا بد من البحث عن هذه الصور واستقصائها في رواياتهم، والوقوف عندها وتحليلها ومحاولة فهم أنفسنا عبرها حتى يتمكن الإنسان العربي من التصدي لمثل هذه الصور التي تشوه صورتنا وتضلّل الآخرين.

ولأننا نعيش في صراع دائم مع مغتصب الأرض على أرض فلسطين، فأخذت على عاتقي أن أتتبع أقوالهم في رواياتهم وأتتبع الصور التي ينسجونها عنا ومدى قربها وبعدها عن الواقع والحقيقة، وهل هذه النظرة هي نظرة موضوعية ثابتة أم مقيدة بالظروف المحيطة، فإن تغيرت الظروف تغيرت الصورة؟ وما هي مصادر هذه الصورة المتكونة في أذهانهم، هل أسباب هذا التكوين سياسية أم دينية، أم أنهم تأثروا من الثقافات الأجنبية فصارت صورة العربي عندهم نمطية منحوتة مقولبة غير قابلة للكسر؟

فجاءت الدراسة لتحاول الإجابة عن هذه التساؤلات، كما جاءت لتوضح صورة العربي وتصحيحها عند اليهودي الإسرائيلي، ولعلها تكون بذلك قد أنصفت صورة العربي المشوهة وأوفتها حقها.

ومن خلال البحث والتنقيب وجدت مجموعة من الدراسات السابقة التي تطرقت إلى موضوع صورة العربي في الأدب العبري، مثل دراسة ماجستير لعمر غرة التي كتبت باللغة العبرية في الجامعة العبرية بالقدس عام ألف وتسعمئة وواحد وتسعين، ثم ترجمت بتصريف من قبل اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وعنوانها: "الفكر الصهيوني بين التصور النمطي والتصوير الفردي في الأدب العبري الحديث"، وهذه

الدراسة في معظمها تتحدث عن مصادر صورة العربي في العقود الثلاثة الأولى لقيام دولة الاحتلال على أرض فلسطين، وتتطرق الدراسة إلى عينة من الروايات في تلك السنوات.

وهناك دراسة لـ(ريزا دومب) وعنوانها: "صورة العربي في الأدب اليهودي 1911-1948" ترجمة عارف توفيق عطاري، التي تناولت مجموعة من الأدباء الذين كتبوا عام 1911-1948، التي حاولت من خلال دراستها اقتفاء انعكاسات الشخصية العربية وتعقبها في هذه الدراسة، وموقف الأدب العبري الحديث منها.

كما وجدت كتابا لـ(رايوخ جيلا رامراز) وعنوانه: "العربي في الأدب الإسرائيلي" ترجمة نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح محمد فايق، إلا أن هذا الكتاب مثل سابقه يتطرق لبعض الروائيين من الحقب الأولى أمثال: (س. يزهار)، (أ.ب. يهوشوع)، (عاموس عوز)، (سيميلانتسكي)، (موشيه شامير)، (سامي ميخائيل).. وهذه الأسماء نراها تتكرر في الدراسات السابقة. ومثل ذلك أيضًا وجدت عند الكاتب اليهودي (إيهود بن عيزر) كتابا ترجمه أحمد حماد بعنوان "صورة العربي في الأدب العبري في وطن الأشواق المتناقضة (قصص مختارة)".

وأما كتاب غانم مزعل "الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث 1948-1985" فإن الكتاب يتطرق إلى صورة العربي عند الكُتاب الإسرائيليين في السنوات المشار إليها بعنوانه.

فكل من تحدثوا عن صورة العربي في الرواية العبرية الإسرائيلية انحصرت دراستهم ببعض الروائيين القدماء في سنوات الستينيات والسبعينيات، وتكررت أسماء هؤلاء الأدباء في معظم الدراسات، ولا أظن أحدهم على حد علمي عايش اليهود وأتقن لغتهم وشعر بصورة العربي في شوارعهم وعلى الحواجز، إذا استثنيت منهم عمر غرة وغانم مزعل، وتلك خصلة يتميزان بها عن غيرهم من الباحثين.

لذا أخذت على عاتقي التنقيب بالروايات الجديدة الصادرة عن صورة العربي وكيف أظهرها الأدباء اليهود، متناولاً حقبة زمن جديدة لم تتناول من قبل، ومتناولاً مجموعة من الروايات الحديثة الإصدار.

فمن الروايات التي وقفت الدراسة عندها: رواية "ياسمين" لـ(إيللي عمير) التي كانت محور الدراسة وركيزتها، و"جدار حياتها" لـ(دوريت رفينيان)، ورواية "سعيد" لـ(ران كوهين). وقد اعتمدت الدراسة على رواية "ياسمين" أنموذجاً، وعدتها مرجعاً أساسياً، وقد سمت الرسالة بعنوان "صورة العربي في الرواية العبرية الإسرائيلية 2005-2016" وقد جاءت في ثلاثة فصول وخاتمة، ابتدأت بتمهيد عن الإثنية

في المجتمع الإسرائيلي ومكانة العرب فيها، يتلو التمهيد الفصل الأول وعنوانه: مصادر صورة العربي عند الروائيين اليهود الإسرائيليين، وتلاه الفصل الثاني وعنوانه: الملامح الخارجية والأبعاد الثقافية والاجتماعية، وتلاه الفصل الأخير وعنوانه: الفضاء المكاني العربي من منظار الروائيين اليهود الإسرائيليين.

إن دراسة مثل هذه تستدعي المنهج الوصفي التحليلي، فطبيعة الدراسة تقتضي الاستقصاء والتتبع والتحليل والتغلغل في نفسية الراوي وتاريخه، فاعتمدت هذا المنهج وهو بحسب رأيي الأنسب والأفضل لها.

كما اعتمدت الدراسة على مصادر عديدة على رأسها: موسوعة اليهود واليهودية المسييري، وكتاب (يوحاي أوبنهايمر) "من وراء الجدار"، وكتاب "فلسطينيو إسرائيل" للكاتب (دان شيفطان).

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر أستاذي الفاضلين لما قدما من نصح وعلم وفيرين، الأستاذ الدكتور عدنان الجواريش، والأستاذ الدكتور غانم مزعل، فجازاهما الله خير جزاء وحفظهما ووفقهما لما يحبه ويرضى.

ولا يفوتني في هذا المقام كذلك شكر أعضاء اللجنة المناقشة؛ لأن أقلامهم الناقدة ستغني الدراسة وتقوم ما اعوج منها، فالله أسأل أن يوفقهم ويحفظهم وأقلامهم.

والله وليّ التوفيق.

تمهيد: الإثنية في المجتمع الإسرائيلي ومكانة العرب فيها.

ينقسم المجتمع اليهودي في إسرائيل إلى عدة إثنيات وعرقيات، وتعود هذه الانقسامات في الغالب إلى الأمكنة التي هاجرت منها الجماعات اليهودية أو إلى الأمكنة التي كانت تنتمي إليها، فبعد أن عاشت الجماعات اليهودية مشتتة بين الشعوب الأخرى، ومشتتة وسط الأغيار، وبعد إنشاء الكيان الإسرائيلي، بدأت ترتحل إلى أرض فلسطين بمحض الإرادة كالبحث عن الرزق وتحسين مستوى المعيشة مثلاً، أو بالقهر كالتهجير والطرده. وإذا أمعنت النظر في المجتمع اليهودي في إسرائيل فستجد قسمين كبيرين بارزين يضمن بين طياتهما غالبية المجتمع الإسرائيلي، وهما "الأشكناز" و"السفاراد"، وهذان المصطلحان مرادفان لليهود الغربيين ولليهود الشرقيين على التوالي.

وكلمة "أشكناز" تعني "حسب الرواية التوراتية، اسم أحد أحفاد نوح"¹ فأشكناز هو ابن جومر بن يافث بن نوح² وأما الاشتقاق الحالي للكلمة فهو بمعنى ألمانيا، فصار المصطلح يشير إلى الجماعات اليهودية القادمة من فرنسا وألمانيا وبولندا³ ويهود أوروبا وأمريكا⁴ وقد شكل الأشكناز نسبة تسعين بالمئة من يهود العالم في القرن التاسع عشر⁵ ومع ذلك فنسبتهم في دولة إسرائيل أقل من خمسين بالمئة ويعود سبب ذلك إلى هجرة اليهود السفاراد واليهود الشرقيين، والاهتمام بالهجرة السوفيتية من قبل المؤسسة الحاكمة مداره الحاجة إلى مادة أشكنازية وليس إلى مادة بشرية قتالية⁶ وذلك للحفاظ على توازن عرقي وإثني في الدولة.

أما كلمة "سفاراد" فهي اسم مدينة في آسيا الصغرى وقد يظن أنها الترجمة الحرفية لإسبانيا، وتستخدم في الوقت الحاضر للإشارة إلى اليهود الذين عاشوا أصلاً في إسبانيا والبرتغال ثم تم طردهم فاتجهت أعداد منهم

¹. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج2، ص125

². ينظر: <http://www.mechon-mamre.org/i/t/u/up0102.htm>

³. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج2، ص125.

⁴. ينظر: سموחה، שלוש גישות בסוציולוגיה של יחסי עדות בישראל، ע' 173.

⁵. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج2، ص127.

⁶. ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إلى الدولة العثمانية¹، وقد كانوا يصرون على الاحتفاظ بمسافة بينهم وبين الأشكناز، فرفضوا الزواج منهم، ووصل الأمر إلى طرد من يفعل ذلك، وإلى عدم دفنه في مدافنهم². ويطلق مصطلح سفاراد على كل اليهود الذين لا ينتمون إلى أصل أشكنازي غربي في التجمع الإسرائيلي³ ويطلق عليهم سامي سموحة لفظة "مзраحيم" وتعني الشرقيين، وهم اليهود القادمون من الشرق الأوسط وأفريقيا، ومن الدول العربية⁴، وعجز "اليهود الشرقيون" في إسرائيل عن الوصول إلى مستوى اليهود الغربيين اقتصاديًا وسياسيًا وهذا يدفعهم إلى تعزيز العرب لأنهم يشكلون تهديدًا لأمن الدولة اليهودية. فالعامل النفسي يحاكي واقع الفرد المحبط، والعامل الاجتماعي يحاكي واقع الجماعة مع أخرى⁵، فنشأ في ظل هذه الظروف تعاطف الشرقيين مع المجتمع العربي.

وحسب المعطيات الإحصائية لوزارة الخارجية الإسرائيلية بين السنوات 1948-2009 فإن عدد المهاجرين القادمين من قارة أوروبا وأمريكا قد بلغ نحو مليوني مهاجر، وبلغ عدد المهاجرين من قارتي آسيا وإفريقيا نحو المليون، وفي الوقت الحالي سبعون بالمئة من سكان إسرائيل اليهود قد ولدوا في إسرائيل⁶.

إذا فالمجتمع اليهودي عبارة عن كتلتين، كتلة الغرب (الأشكناز) التي ترى نفسها متطورة سريعة النمو، وكتلة الشرق (السفاراد) التي عاشت في ظل الدول العربية، أو تنتظر إليها أعين الأشكناز بازدياد لأنهم لا يستطيعون الاندماج واللاحق بركب التطور ولا التكيف لمتطلبات الدولة، وسبب ذلك عندهم أن السفاراد قد طال مكوثهم واختلاطهم بالعرب، وهو المجتمع الذي يسوده الالتزام بالمؤسسات العائلية كما يدعون⁷، وما كان من اليهود

¹. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج2، ص122.

². ينظر: المصدر نفسه، ص123.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص124.

⁴. ينظر: שלוש גישות בסוציולוגיה של יחסי עדות בישראל، ע' 173.

⁵. لبيب، الطاهر، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، ص 240-241.

⁶. ينظر:

<http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheIsraeliSociety/Pages/A%20statistical%20glimpse%202012.aspx>

⁷. ينظر:

<http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheIsraeliSociety/Pages/jewish%20society.aspx>

الشرقيين إلا أن يتصدوا لمثل هذا التمييز العنصري مطالبين المشاركة "في العمل السياسي وتوفير المزيد من المصادر والطاقات لهم والقيام بالتمييز الإيجابي لتضييق الهوة".¹

ويُلاحظ هذا في السنوات الأولى لقيام دولة الاحتلال، فعند توافد الشرقيين انتهج صانعو السياسة والقائمون عليها بزعامة (دافيد بن جوريون) سياسة استيعاب سريعة ومثالية، التي كانت من تصميم (أرييه شارون) التي تستهدف تنظيم الهيكل المدني لدولة الاحتلال، وتوزيع الشرقيين في مستوطنات سميت بمدن التطوير، المشيئة بعيداً عن المراكز العمرانية، فهم يفتقدون رأس المال ويفتقرون إلى العلاقات مع الأشخاص القداماء في البلاد أصحاب النفوذ والسياسة، فهم تحت رحمتهم وأينما يوجّههم يذهبوا، فعانى المهاجرون الشرقيون زيادة على الوضع الاقتصادي المتردي، من تهميش اجتماعي وسياسي وثقافي، وبتوزيعهم على هذا الشكل يُحكم الأشكناز قبضتهم عليهم ليكونوا قوة عمل رخيصة في الاقتصاد الإسرائيلي من جهة، ومن جهة أخرى يحولونهم إلى قوة استيطان، ويخلقون أغلبية يهودية في المناطق العربية.²

إذا كانت هذه معاملة اليهود لليهود، فمن السذاجة أن يُظن أن تكون معاملتهم لمن يعتبرونهم أعداء أفضل أو حتى مساوياً للكتلة الشرقية، مع ادعائهم بغير هذا، فالكتلة الثالثة هي الكتلة العربية المستضعفة، التي طوقت قبضة اليهود عنقها.

وأما العرب المواطنون في إسرائيل فصاروا أقلية لا تتعدى خمس الكثافة السكانية، بعد التهجير، والتشريد، والقتل، ومنهم المسلمون والمسيحيون والدروز، يُعرفون بأسماء عدة: عرب الداخل، وعرب إسرائيل، وفلسطينيي إسرائيل، وعرب 48. وكونهم فئة قليلة بعامّة، وعرباً يعيشون داخل إسرائيل بشكل خاص، جعلهم ضحية مقيدة تعاني من التمييز العنصري في هذه الدولة، "وبالتالي فإن العرب في إسرائيل يقعون في مصيدة بفعل تناقضات النظام الإسرائيلي-بين إعلان دولة عن ذاتها "ديموقراطية" وبين الممارسات القمعية والإقصائية المتواصلة تجاه الفلسطينيين، سواء في قطاع غزة والضفة الغربية المحتلين عام 1967 أو في إسرائيل نفسها".³

.1

<http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheIsraeliSociety/Pages/jewish%20society.aspx>

.2. ينظر: يفتاحيل، اليهود الشرقيون والمكان (نشوء طبقة إثنية في بلدات التطوير)، ص 45-46.

.3. روحانا، الفلسطينيون في إسرائيل، ص 129.

فطبيعة حياة العربي في إسرائيل تحتم عليه مخالطة اليهود والاحتكاك بهم، لينتج إثر ذلك شحنات عنصرية إما أن يمتصها المواطن العربي فيسكت وتصعقه وتشعره بالذل والهوان، وإما أن يحاول تفرغها عن طريق القانون ليحصل حقه، وينتصر لنفسه وغالبًا ما تبوء محاولاته بالفشل، بل ولربما يصل الأمر بهذه الشحنات العنصرية أن ترديه قتيلاً. ففي تقرير نشر سنة 2004 رصدت 29 حادثة عنف جسدي انتهت بفقدان الحياة.¹ هناك أمثلة كثيرة لا تكاد تحصى لمعاملة اليهود وتهميشهم للعرب داخل إسرائيل، فمن ذلك مشاركة العرب في السلطة، فنذر أن يشغل العربي وظيفة الوزير في الحكومة، أو أن يكون قاضيًا في المحكمة العليا، فهم يشكلون أقل من 1% من محاضري الجامعات، ومن أعضاء مجالس الإدارات في الشركات الحكومية، وقد صادرت الدولة أكثر من نصف الأراضي التي كانوا يمتلكونها، ولم يسمح لهم بإقامة أي بلدة عربية جديدة إلا في حالات إكراه البدو على التمدن لتجريدتهم من أرضهم، ولا يزال نصف بدو النقب يسكنون قرى غير معترف بها فلا تصلهم الخدمات الأساسية، ومعدل مدخول العامل العربي 68% من مدخول العامل اليهودي.² ولعل للعامل الاقتصادي الدور الأكبر بشعور العربي في إسرائيل بالتمييز العنصري ضده، فكونه يحاول النجاة من الفقر ويحاول الصعود في سلم مستوى المعيشة يجعله يشعر بمن هو دونهم. ويذكر دان شيفطان أن المستوى الاقتصادي للعرب في إسرائيل قد تحسن تحسنًا كبيرًا بفضل الفرص التي أتاحتها الغالبية اليهودية أمامهم³، لكن مع هذا الادعاء العام تبقى الفجوة الاقتصادية ملحوظة بين دخل العربي ودخل اليهودي.

إن الناظر في قوانين الهجرة أيضًا يشهد سياسة عنصرية وتمييزًا إثنياً، فإسرائيل لا تسمح إلا بالهجرة اليهودية وما يحرك هذا النظام هو "قانون العودة" فوزارة استيعاب المهاجرين الإسرائيلية استوعبت ملايين المهاجرين اليهود، ولا تزال تشجع الهجرة اليهودية حتى اليوم، في حين تحظر عودة اللاجئين الفلسطينيين، بل وتفرض قيودًا صارمة على دخولهم، وتحظر لَم شمل العائلات بين المواطنين العرب والفلسطينيين⁴ ما شعور زوج، زوجه خلف الجدار؟ أضف إلى ذلك أن المهاجرين "يمنحون عند عودتهم تسهيلات جمركية كثيرة ومعونة

¹. ينظر: عازر، العنصرية في إسرائيل 2004، ص 8.

². ينظر: روحانا، الفلسطينيون في إسرائيل، ص 131-132.

³. ينظر: فلسطينيون في إسرائيل، ص 24.

⁴. ينظر: روحانا، الفلسطينيون في إسرائيل، ص 133.

لتدريس أولادهم في المدارس الثانوية ومنحة أو قرضًا بشروط ميسرة لشراء شقة، وبعض المزايا الأخرى، أما الذين لا يعرفون بهذه الصفة، أي غير اليهود في إسرائيل، فلا يحصلون على شيء من هذه المزايا، والقصد الواضح من هذه الإجراءات التمييزية هو إنقاص عدد غير اليهود في إسرائيل، كي تصبح إسرائيل أكثر يهودية.¹

ينقسم المجتمع العربي الإسرائيلي من حيث التوزيع السكاني إلى خمس مناطق رئيسية: أولاها وأضخمها منطقة الشمال، التي تضم الجليل والجولان والمروج وقسم من منطقة حيفا، وثانيها منطقة المثلث على ضواحي مدينة الخضير، وثالثها النقب ومنطقة بئر السبع حيث يستوطن البدو، ورابعها المدن المختلطة مثل عكا وحيفا ويافا ومعلوت ترشيحا واللد والرملة، وآخرها منطقة القدس يستتئى منها سكان شرق القدس والذين يحملون الهوية الزرقاء دون الجنسية، ويجدر بالذكر أن هناك حسب التوقعات آلاف المواطنين العرب الذين يسكنون في مدن يهودية في الشمال والمركز، والدافع الرئيس لانتقالهم هو عدم تطور المدن والقرى العربية²، إلا أن هذا الكلام ليس دقيقًا، فالدوافع الرئيسة لانتقالهم كثيرة ومنطقية، فمثلًا: منهم من يريد أن يقترب من مكان عمله، ومنهم من لا يملك أرضًا ولا يتحمل تكاليف اقتنائها، أو يمتلك قطعة أرض ولا يسمح له البناء فيها، أو لا يستطيع تحمل تكاليف البناء أصلًا، عدا عن النقص الملحوظ لشقق الإيجار في القرى.

أما التوجهات السياسية للمجتمع العربي فلا يمكن حصرها ضمن منطقة جغرافية، فتجد مؤيدين وأتباعًا لحزب معين من كل أرجاء الدولة؛ وجدير بالذكر أن الأحزاب العربية شكلت قائمة مشتركة وموحدة لأول مرة في تاريخ الانتخابات منذ قيام الدولة وحصلت على ثلاثة عشر مقعدًا من أصل مئة وعشرين مقعدًا لتصبح ثالث قوة سياسية للدورة العشرين للكنيست؛ والأحزاب العربية الرئيسة أربعة أحزاب:

1. الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، وهو حزب تحالف يساري-عربي شيوعي، غالبية أتباعه من المواطنين العرب العلمانيين؛ يشدد على التعاون العربي اليهودي، ويدعو إلى الاعتراف بالعرب الفلسطينيين حاملي الجنسية الإسرائيلية أقلية قومية، يركز في دعايته الانتخابية على السلام الإسرائيلي-

¹. شاحاك، التاريخ اليهودي، ص 16.

². ينظر: روديلاك، العربים أوزחי ישראל בפתח המאה העשרים ואחת، ע' 14-13.

الفلسطيني والإسرائيلي العربي، والمساواة في الخدمات الصحية والجهاز التعليمي، والمساواة القومية للعرب في إسرائيل، ومساواة المرأة في كل المجالات.¹

2. التجمع الوطني الديمقراطي وهو "حزب ديمقراطي يمثل المواطنين العرب في إسرائيل، حزب قومي عربي وطني فلسطيني، ديمقراطي في فكره ونهجه وفي أهدافه السياسية والاجتماعية، ملتزم بمبادئ العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان والشعوب، ويعمل في ظروف السكان الأصليين الفلسطينيين داخل إسرائيل، وفي ظروف المجتمع الإسرائيلي والمواطنة الإسرائيلية بشكل عام، على الربط بين الهوية القومية ومبادئ الديمقراطية ومتطلبات بناء مجتمع حر عصري متطور، ويسعى إلى تحقيق حل عادل للقضية الفلسطينية يضم الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني."²

3. الحركة الإسلامية: تأسست في سنة 1971 على يد الشيخ عبد الله نمر درويش من كفر قاسم، وهي حركة دينية سياسية تركز على المجالين الديني والاجتماعي. انقسمت الحركة إلى قسمين في سنة 1996 ويعود سبب ذلك إلى المشاركة والتمثيل في الكنيست، فالحركة الإسلامية الشق الجنوبي والتي يتركز أعضاؤها في منطقة الجنوب تؤيد المشاركة في الانتخابات للكنيست، في حين عارضت الحركة الإسلامية الشمالية ذلك، واعتبرت فيما بعد تنظيمًا غير مشروع وحظرت مؤسساتها وأغلقت مشاريعها واستدعي بعض من قادتها للتحقيق؛ وبررت الحكومة الإسرائيلية قرار الحظر مدّعيةً أن الحركة الإسلامية الشمالية توجج الاحتجاجات وأعمال العنف في المسجد الأقصى.

4. الحركة العربية للتغيير: تنادي بنشر الديمقراطية والانفتاح والإصلاح، وهي تدعم مسيرة السلام الإسرائيلي-الفلسطيني من أجل إقامة دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس إلى جانب دولة إسرائيل؛ وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، كما تطالب بالانسحاب الكامل من الجولان وتوقيع اتفاقية سلام مع سوريا. وتطالب بتقليص الفجوة القائمة بين الوسطين اليهودي والعربي للوصول إلى مساواة حقيقية بين

¹. ينظر: https://www.facebook.com/pg/AlJabha/about/?ref=page_internal

². https://www.facebook.com/pg/tjamoia/about/?ref=page_internal

الوسطين في كافة المجالات، ومن مطالبها أن يتم طرح خطاب إعلامي وسياسي متقدم يخترق حواجز الرفض في المجتمع الإسرائيلي ويكسر التفكير النمطي للغالبية اليهودية تجاه العرب.¹

وقد شكلت هذه الأحزاب الأربعة تحالفًا سياسيًا وسمت بالقائمة المشتركة، ومن مبادئها الأساسية: إحقاق السلام العادل في المنطقة، وإنهاء الاحتلال لكل الأراضي المحتلة عام 1967 وتفكيك كافة المستوطنات وجدار الفصل العنصري، وإطلاق سراح الأسرى السياسيين، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة في حدود 4 حزيران 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، وحل عادل لقضية اللاجئين الفلسطينيين، يضمن حق العودة، وتنازل القائمة المشتركة من أجل إحقاق المساواة التامة، القومية والمدنية، للجماهير العربية الفلسطينية في إسرائيل، فالعرب هم سكان البلاد الأصليين، وتطالب القائمة بالاعتراف بالعرب كأقلية قومية، وبكونها جزءًا حيًا من الشعب الفلسطيني ومن الأمة العربية، وتكافح ضد نظام التمييز العنصري والاضطهاد القومي، وتناضل ضد مصادرة الأرض وهدم البيوت والاعتراف بكل القرى غير المعترف بها، خاصة قرى النقب، وتدعو لإسقاط مخطط (برافر) بكل صورته والذي ينص على تجميع سكان النقب في بلديات التركيز ومصادرة أراضيهم، وتنادي كذلك بإلغاء التجنيد العسكري المفروض على أبناء الطائفة الدرزية، وإلغاء كل مشاريع التجنيد العسكري والخدمة المدنية المفروضة على الشباب العرب. وتقف القائمة موقف الضد من مظاهر العنصرية والفاشية، وتعمل على إلغاء أنظمة الطوارئ وكافة التشريعات التي تحول بين المواطن العربي وحرياته، وتؤيد وتنادي بوضع دستور ديموقراطي يعتمد مبادئ العدالة والمساواة وحقوق الإنسان. ومن مبادئها أيضًا مكافحة الفقر والبطالة، والمطالبة برفع الحد الأدنى للأجور، وضمان الحقوق الأساسية في التعليم والصحة والسكن والرفاه لجميع المواطنين. وتناضل من أجل مساواة المرأة ونيل حقوقها في كافة مناحي الحياة، ومكافحة كافة أشكال الاضطهاد والاستغلال والتمييز والعنف التي تتعرض لها النساء في العائلة والعمل والمجتمع. وتؤكد القائمة المشتركة على ضرورة الحفاظ على مكانة اللغة العربية كلغة رسمية، وتؤكد كذلك على الحق في التطوير الحر والمستقل للثقافة العربية وتعزيز الانتماء القومي وصقل الهوية الوطنية. وترفض التدخل الاستعماري في شؤون دول المنطقة والعالم،

¹. ينظر: <http://www.a-m-c.org/page.asp?id=566>

وترفض غرس الفتن العرقية والطائفية والمذهبية التي تفكك الشعوب. وتهتف بنزع السلاح النووي وكافة أسلحة الدمار الشامل من منطقة الشرق الأوسط.¹

فالناظر إلى مبادئ هذه الأحزاب مجتمعة أو متفرقة، يستنتج أنها ما وجدت إلا لتتصدى للهجمات العنصرية من قبل اليمين المتطرف، والذي يشكل الكتلة الكبرى في المجتمع الإسرائيلي، والتي تصنع القرارات وتتحكم بسن القوانين والتشريعات التي تخدم مصالحهم على حساب الآخر. فالأحزاب السياسية العربية التي تخوض معترك الانتخابات في الكنيست هي صوت قوي للجمهور العربي في إسرائيل، وصوت مؤثر ومتصدٍ لممارسات التمييز الإثني والعنصرية في كافة مجالات الحياة، لا يقال إنها تتجح دائماً في تحقيق مصلحة المواطن العربي، وتتقده من ظلم وفساد العنصرية لكنها تحاول ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وصوت غير مؤثر خير من عدم الحراك الذي قطعاً لا يجدي ولا يأتي بالنفع، عسى هذه الأحزاب إن لم تغير واقع العرب المضطهد أن تكشف الأفتنة العنصرية القبيحة للعالم.

¹. ينظر: https://www.facebook.com/pg/moshtraka/about/?ref=page_internal

الفصل الأول: مصادر صورة العربي عند الروائيين اليهود الإسرائيليين

- توطئة
- المصدر التاريخي
- المصدر الديني
- المصدر السياسي
- المصدر الثقافي

توطئة

تزامت المصادر المكونة لصورة العربي عند الروائيين اليهود الإسرائيليين، على مر الأزمان، فكأنها كانت تتشكل كما تتشكل طبقات الأرض متراكمة لتظهر في النهاية كما هي اليوم، صخرة عظيمة يشار إليها، وتتفق الأغلبية منهم على ماهيتها، صخرة موسومة بالمعاني المختلطة، إيجابية في بضع مواقف، وسلبية في أخرى، كأنها تقطع الطريق وتتصدى لرغباتهم في معظم الأحيان. وستحاول الدراسة الوقوف على المحطات الرئيسة التي انبنت فيها هذه الصورة وتشكلت، فمنها ما يتصل بشكل مباشر بالشخصية العربية، ومنها ما هو إلا انعكاس وردة فعل تجاه العرب، إذ يلعب الروائي اليهودي دور الموصل للتيار، ما إن يصعق ويعاني ألمًا ما حتى يقوم بنقله وإيصاله لمن حوله. وستقف الدراسة أولًا عند الذاكرة التاريخية ثم تنتقل إلى المصدر الروحاني الديني ومنه إلى السياسي وتختتم أخيرًا بالمصدر الثقافي، لتحاول في نهاية المطاف فهم الصورة المتشكلة عند اليهود عامة وعند الروائيين منهم بخاصة.

المصدر التاريخي:

في هذا المبحث سترصد الدراسة أهم الوقائع والتجارب التاريخية في حياة الفرد اليهودي، والتي تعدّ الريشة الأساسية التي رسمت صورة الإنسان العربي في رواياتهم، فهذه الوقائع تُعلم وتدرس وتتناقلها الأجيال وتُورث كما تورث المادة، أبا عن جد، وتساهم في تشكل الصورة عندهم؛ بدءًا من المحرقة النازية (الهولوكوست) إلى هجرة الجماعات اليهودية وانتهاء بالحروب اليهودية-العربية.

- الهولوكوست:

وهي كلمة يونانية تعني حرق القربان بالكامل، وكلمة هولوكوست في الأصل مصطلح ديني يهودي يشير إلى القربان الذي يضحي به للرب عن طريق الحرق الكامل. والهولوكوست تشير إلى الإبادة النازية لليهود أوروبا

عن طريق تصفيتهم جسدياً من خلال أفران الغاز¹، وظاهرة حرق القربان لا تزال موجودة عند طائفة سامرية تسكن جبل (جريزيم) جنوب نابلس.²

ولقد تم إنشاء مؤسسة "ياد فاشيم" في عام 1953 مركزاً عالمياً توثيقياً وبحثياً وتعليمياً لتخليد ذكرى الهولوكوست في القدس، إذ يأتيها مئات الآلاف من الزوار المنتسبين إلى الطبقات كافة والمناشئ، والديانات، والمعتقدات من جميع أصقاع الأرض، "وتعني نصباً واسماً"، ويضم مجمع "ياد فاشيم" المتاحف والمعارض والأنشطة التذكارية والمراكز البحثية والتعليمية والأرشيفات والمكتبات. فمخازن مجموعة الأرشيف هي أكبر أرشيف وأشمله في العالم للمواد المتعلقة بالهولوكوست، ففيها نحو 68 مليون وثيقة وما يزيد عن 300 ألف تصوير وآلاف الأشرطة وكاسيتات الفيديو التي تقدم شهادات الناجين من الهولوكوست، واهتمت مؤسسة "ياد فاشيم" بالتعليم وجعلته على قمة أولوياتها، حيث يشارك كل عام مئات من المربين مما يزيد عن ثلاثين دولة في مبادرات تعليمية معدة لإثراء ذكرى الهولوكوست، ويدور في نطاق المدرسة حوار دائم يستهدف التعامل مع أحداث الماضي ليستخلص منها رسالة شرف وكرامة، تضم المدرسة 17 صفّاً تعليمياً، ومركزاً عصرياً للوسائط المتعددة، ومركزاً تربوياً، وقاعة للمحاضرات، ويبلغ طاقم التدريس نحو مئة شخص، ويصل الاشتراك في فعاليات المدرسة إلى أكثر من 187 ألف طالب من طلاب الجامعات والمدارس، إضافة إلى 50 ألف جندي وآلاف المربين من إسرائيل وأحاء العالم. وتقام الدورات المخصصة للمعلمين بثمانى لغات غير العبرية، كما يتجول الطاقم لأغراض التربية وتدريب موضوع الهولوكوست في الجاليات اليهودية، ويقوم فريق من خبراء الطاقم بتطوير تشكيلة من المناهج التدريسية والتربوية والوسائل التعليمية حول موضوع الهولوكوست.³

إذا فمركز "ياد فاشيم" أخذ على عاتقه مهمة تثقيف العالم بوجه عام والجاليات اليهودية بشكل خاص بكل ما يتعلق بالهولوكوست، فتراه يجند كل الكوادر والموارد اللازمة لهذه المهمة الضخمة، ولم يقف الحد عند هذا فقط، بل ربطت المؤسسة بين عالم الفن والتاريخ حيث تضم المؤسسة مجموعة من المتاحف.

¹. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج2، ص 395.

². ينظر: رينشטיين، زيو، הר גריזים נפתח לציבור. ארדן: נמשיך לפתח ביו"ש، ידיעות אחרונות 05-07-2012. وينظر: המימונה של השומרונים، הארץ 17-04-2017.

³. ينظر: <http://www.yadvashem.org/yv/ar/about/index.asp>.

ويعتبر متحف تاريخ الهولوكوست قلب المؤسسة، وينبض بأصوات الهالكين وتراثهم والقلّة من الناجين ويخلد ذكراهم لأجيال وأجيال.

يقدم المتحف رواية الهولوكوست بالترتيب الزمني بداية بنشوء السياسة النازية مرورًا باضطهادهم وفرض القيود عليهم وتجميعهم في الغيتوات (المعازل) وانتهاءً بالقتل الجماعي. ويحوي المتحف أهم مجموعة فنية متعلقة بالهولوكوست على مستوى عالمي، وتضم أعمالاً ولدت في أصعب الظروف وفي أجواء قاسية تشهد انتصار روح الإنسان.¹

لقد مرت رواية الهولوكوست بمراحل عدة، و"مع تسلم النازيين بقيادة أدولف هتلر لمقاليد السلطة في ألمانيا يوم ال-30 من شهر يناير كانون الثاني عام 1933، اتخذت سياستهم إزاء اليهود منحيين اثنين: تمثل أولهما في اتخاذ خطوات دستورية رسمية كان قد خطط لها خصيصًا للقضاء على الحضور اليهودي للحياة العامة والاجتماعية وحرمانهم من حقوق المواطنة وتحطيمهم اقتصاديًا. أما الخطوة الثانية: فتمثلت في حملات التشهير والتشويه بالإضافة إلى المضايقات والعنف في مناحي الحياة جميعها. وكان الهدف من ذلك كله إرغام اليهود على مغادرة ألمانيا."² فأجبر الألمان اليهود على مغادرة ألمانيا بشكل غير مباشر بداية، في عزلهم عن جوانب الحياة كلّها، فباتت الحياة تضيق عليهم، وتنغصّ معيشتهم.

وسرعان ما بدأ الألمان بشن الهجمات على اليهود في الشوارع الرئيسة للمدن الألمانية، خاصة وحدات العاصفة المعروفة بـ(الإس آ)، يسعون بذلك إلى إزالة اليهود من مناصبهم، فأبعد القاضي والمحامي والمدرس والطبيب من أماكن عملهم؛ وبعد ذلك أعلنت المقاطعة الاقتصادية لليهود ألمانيا، وفي السابع من أبريل 1933 سن قانون طُرد بموجبه مئات اليهود العاملين في الخدمة المدنية، كما وحُقق عدد الطلبة اليهود في التعليم العالي ليتلاءم مع نسبتهم التي لا تتعدى واحدًا بالمئة، وكذلك طُرد الفنانون اليهود من اتحاد الفنانين الألمان، وتم طرد اليهود من المؤسسات الإعلامية والثقافية.³

¹. ينظر: <http://www.yadvashem.org/yv/ar/about/index.asp>

². <http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/02/index.asp>

³. ينظر: <http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/02/index.asp>

وكلما قويت قبضة النظام النازي، زادت الضغوط على الجماعات اليهودية، ويتجلى ذلك في إلغاء المساواة في الحقوق المدنية، وفي إضفاء الصبغة الشرعية على المبادئ العنصرية؛ ووصل الأمر بهذه القبضة إلى السيطرة على أعمال اليهود التجارية، وعلى ممتلكاتهم، والمباشرة في تنقية ألمانيا من كل ما لا ينتمي للعنصر الآري، إذ أُلزم اليهود بتسجيل ممتلكاتهم لتسهيل مصادرتها، وأجبر العديد منهم على بيع أعمالهم التجارية للآريين بثمن بخس.¹

وبما أن كثيرًا من البلدان رفضت إيواء اليهود وقبولهم، توصل الألمان إلى أن الوسائل الشرعية لن تحقق لهم هدفهم، فقرروا تصعيد أعمال العنف والإرهاب ضد اليهود، فأقدم المشاغبون في جميع أنحاء ألمانيا على تحطيم زجاج نوافذ البيوت وواجهات المحلات التجارية، ونهب ممتلكاتهم وإضرام النار في الكنس اليهودية، وتعرض آلاف اليهود للضرب والقتل والجرح والإهانة.² ولتسهيل عملية نهب الممتلكات واستغلال اليهود في الأعمال القسرية تم إنشاء (الغيتوات)، معظمها في الأحياء الأكثر فقرًا أو في الأحياء اليهودية البارزة، وما يميز هذه (الغيتوات) انقطاعها عن العالم الخارجي، وقلة الخدمات، كما أنها كانت تفيض بالتعداد السكاني، ما يقود إلى مجاعات ومعدلات عالية من الأمراض والوفيات.³

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، وإنما تعداه إلى القتل الممنهج حيث "كان ضباط (الإس إس) أو ضباط الجيش يأمرّون اليهود بالحضور في تاريخ معين إلى نقطة تجميع مصطحبين عددًا قليلًا من أمتعتهم فحسب. وأحيانًا كان اليهود يبلغون أنه يتم ترحيلهم إلى معسكرات للعمل، ولكن عادة لم تقدم لهم أي إيضاحات. وكان الألمان يحولون دون محاولة اليهود للاختفاء أو القيام بالهروب الجماعي من خلال تهديدهم بالإعدام الفوري لأي شخص يتخلف عن الحضور إلى المكان المحدد في الوقت المحدد، علمًا بأنه في الشهور الأولى للاحتلال لم يكن اليهود يعلمون ولا كان بإمكانهم أن يعلموا بالذي ينتظرهم. ومن نقاط التجميع كان يتم السير باليهود على أقدامهم إلى حفر معدة مسبقًا لدفنهم جماعيًا، وفي بعض الحالات استخدم الألمان الحفر الطبيعية مثل

¹. ينظر: <http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/03/index.asp>

². ينظر: <http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/04/index.asp>

³. ينظر: <http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/08/index.asp>

الأخاديد والوديان أو الخنادق العسكرية. وكان الضحايا الأوائل يتم قتلهم وهم ما زالوا في الطريق، إذ اعتاد الحراس على إطلاق النار على أي شخص لم يستطع السير على وتيرة سير المجموعة¹.

وفي الوقت الذي تمت فيه عمليات القتل الجماعية، بدأ التصميم لمخطط الإبادة الشاملة لليهود أوروبا خلال إنشاء معسكرات الإبادة، فالتصفية التقليدية لن تفي بالغرض، فأصدر قائد معسكر (أوشفيتس) (رودولف هيس) أمرًا بتجربة طرق جديدة لتنفيذ القتل الجماعي، وهي استعمال غرف الغاز، إذ تم بث مادة كيميائية في غرف محكمة السد؛ مما تسبب بموت من بداخلها خلال وقت قصير، وتتنوع أساليب القتل الجماعي في معسكرات الإبادة وتم قتل ما يزيد عن ثلاثة ملايين من اليهود ما بين السنوات 1942-1944.² "وبعد موتهم خلعت من أفواههم الأسنان الذهبية فيما قص شعر النساء. أما الجثث فنقلت إلى الأفران لحرقها، ومن ثم كانت العظام تطحن ليتم بعثرة الرماد في الحقول."³

وبانتهاء حكم النازيين "في أوائل نيسان 1945، وفي الساعات الأخيرة من عمر ألمانيا النازية، وقبل أن يضع حدًا لحياته في ملجئه المحصن تحت الأرض في مدينة برلين، ألف "آدولف هتلر" وصيته السياسيّة والتي دعا فيها إلى مواصلة الحرب على اليهودية العالمية. وتجسد تلك الوثيقة الحقد المسموم على الشعب اليهودي والذي كانت نتيجته النهائية قتل ستة ملايين من اليهود خلال عهد هتلر في الحكم."⁴

وكانت حصيلة هذه الكارثة ستة ملايين يهودي من مختلف الأعمار والطبقات الاجتماعية، لاقوا حتفهم على يد القبضة النازية، وأما الناجون فقد "رفض معظمهم العودة إلى بيوتهم المتهمة وأرضهم المرتوية بالدم اليهودي والرماد، ليبدووا حياتهم من جديد في المهجر يغمرهم الشعور بالمصائب وتطاردهم الكوابيس القاسية."⁵

¹ .<http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/13/index.asp>

² .ينظر: <http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/18/index.asp>

³ .<http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/21/index.asp>

⁴ .<http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/29/index.asp>

⁵ .<http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/30/index.asp>

فلا شك أن لهذه المحرقة التي حصدت أرواح الكثيرين من البشر الأثر العميق في نفوس الناجين، وإن كان هناك من ينكرها ويشكك فيها وفي رواياتها، فقد صدرت عدة كتب ودراسات¹ تطعن في عدد الضحايا، أو تثير الشكوك بخصوص أفران الغاز، وليست الدراسة بصدد التحقق من حجم هذه المحرقة وشكلها، فلا يتسع المجال هنا لهذا، وإنما جاءت لتحاول أن تفهم الأثر النفسي لأبعاد هذه الكارثة، وعلاقته بشخصية العربي في روايات الكتاب الإسرائيليين. ولم تُعط الدراسة المظهر الخارجي اهتمامًا بالغًا؛ لأن الوخزة في ظروف متغايرة، لربما تسبب مستويات ودرجات متفاوتة من الألم الجسدي والنفسي للشخص نفسه.

إن من أثر المحرقة على هؤلاء الناجين أن طوروا علاقة مميزة واتصالًا شعوريًا بينهم وبين أبنائهم، وكانت العائلة في الغالب ما تنقل الكتلة العاطفية إلى أحد أبنائها تخصه دون غيره؛ لتريح إخوته من عظم هذا الخطب، وعادة ما تتكفل الإناث بهذا العبء، فهن شموع الذاكرة². وهذه الشموع بمثابة الوريث الذي يبذل المعاناة أملاً للأجيال التالية، ويضئ لهم الطريق ويجدد لهم الحياة باحترقه الذاتي. و"الناجون الذين تقدم بهم السن شعروا بدافع لسرد قصصهم قبل موتهم ولاقوا تشجيعًا من خلال إصغاء الشبان. وهكذا نشأت أجواء مؤيدة ساعدت في نقل هذه القصص."³

ومعاناة المحرقة صارت الطرف الذي تقارن به كل معاناة، صارت تحتل جزءًا كبيرًا من صفحات كتب تاريخ اليهود، بل من كتب التاريخ العالمي أجمع. فإذا أراد أحد الكتاب أو الصحفيين اليهود أن يسطر سطورًا في التاريخ فلا بد أن يطرق موضوع المحرقة، وأن تصاحب معاناتها معاناة الحروب التالية، ففي سنوات الخمسين ضمدت الغالبية اليهودية جروحها عقب الحرب، وكانت ضريبة حرب الاستقلال غالية تنعكس بعدد الأرواح التي زهقت، ما يعادل واحدًا بالمئة من عدد السكان، ستون ألف قتيل، كان التدمير ضخمًا، ووصل السوء بالموارد البشرية والاقتصادية إلى وضع لا يطاق، ولم يتنفس الشعب اليهودي بعد من أثر الكارثة التي حلت بهم، فلقد قضى النازيون على ثلث الشعب اليهودي.⁴ ويظهر ذلك أيضًا عند (يهودا شنهاف) في حديثه عن

¹. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج2، ص 438.

². ينظر: هيرش، ليتسبك، واوون، بر، מגמות: לבנות את החיים מחדש، ע' 245.

³. فلدمان، جاك، في أعقاب الاستقلال الإسرائيلي للمحرقة، قضايا إسرائيلية عدد 36، ص10.

⁴. ينظر: שיפטן, דן, פלסטנינים בישראל, ע' 73.

عملية "فرهود" ويهود العراق وعلاقتها بالمحرقة النازية.¹ فكذا الأمر عند اليهود العرب في العراق فقد ذاقوا من ويلات الاضطهاد أيضًا، ولا يقتصر الأمر على يهود أوروبا فقط.² ولربما يُظنّ أن هذه التأثيرات ستضعف في العقليّة الإسرائيليّة مع مرور الزمن، لكن كلما ازداد الابتعاد الزمني عن أحداث المحرقة تعاظم حضورها في الذاكرة الجماعية الإسرائيلية.³

وتظهر آثار المحرقة جلية عند الروائيين اليهود، ففي "العربي الجيد"، شخصية يوسف شرارة لأم يهودية وأب عربي تتوق لتصطف في خطوط جنود جيش الاحتلال، لتتذوق وتتعرف على معاناة اليهود إثر المحرقة ولتعيش تجربة الضحية اليهودية.⁴

- هجرة الجماعات اليهودية:

عاش اليهود حياة المغتربين في العالم، ووصلت معاناتهم إلى حد لا يطاق، خاصة في ظل الحكم النازي، فإن لم يمه الجوع والمرض والقبضة الألمانية هذه المعاناة في المعازل، قام بعضهم بإنهائها بنفسه واضعاً حدّاً لهذه المعاناة، فالانتحار صار صديقاً أكثر رحمة ورأفة من الأوضاع المعيشية القاسية، وبعد انتهاء الحرب أصبحت الحياة منغصة في بلاد الغرب، وبدأت الجماعات اليهودية بتجهيز نفسها للرحيل والهرب من هذه الظروف القاسية فأديرت البوصلة لوجهتين رئيسيتين: إما نحو أمريكا وكندا، أو إلى قبة اليهود نحو فلسطين حيث سيقومون دولتهم على الأراضي الفلسطينية دونما اكتراث بالسكان الأصليين.

إن "إحساس اليهودي الدائم بالنفي ورغبته في العودة هي عبارة تبلور النموذج الكامن وراء كثير من الدراسات التي تتناول الجماعات اليهودية وتحركاتهم وكأنّ عندهم إحساساً بالنفي الأزليّ ورغبة دائمة في العودة، وكأنّ هذا الإحساس وهذه الرغبة هما جزء من جوهر يهودي ثابت ومن المكونات الأساسية لطبيعة اليهود البشرية.. وتشكل عقيدة المنفى والعودة إحدى النقاط المحورية في الرؤية اليهودية إلى التاريخ والكون، وهي ترتبط، مثل

¹. ينظر: היהודים-הערבים לאומיות דת ואהניות, ע' 154-155.

². ينظر: אופנהיימר, יוחאי, מעבר לגדר, ע' 290-294.

³. ينظر: فلدمان، جاكى، في أعقاب الاستغلال الإسرائيلي للمحرقة، قضايا إسرائيلية عدد 36، ص9.

⁴. ينظر: אופנהיימר, יוחאי, מעבר לגדר, ע' 334.

كل العقائد الدينية اليهودية، بعقائد أخرى مثل عقيدة (الماشيح)¹ و(الشعب المختار). وحسب هذه العقيدة، فإن إله اليهود حكم على شعبه المختار بالنفي والتشتت في بقاع الأرض لسبب يختلف الحاخامات اليهود في تحديده. وستستمر حالة المنفى هذه إلى أن يعود (الماشيح) المخلص.²

أما الأسباب الكامنة وراء النفي والتشتت فقد حار المفسرون اليهود في تفسيرها، فمنهم من ذهب بأنها إحدى علامات التمييز والاختيار، فنفية هذا كان من أجل البشر كلهم وتمهيداً لخلصهم، وهذا الأمر يشبه ما يؤمن به المسيحيون في قتل المسيح كإنقاذ وخلص للبشرية؛ ومنهم من ذهب إلى أن المنفى والتشتت عقاب حلّ على اليهود لتركهم طرق الرب. ويرى المسيحيون أن هذا النفي والتشتت هو بمثابة عقاب لليهود لإنكارهم المسيح عيسى بن مريم.³ وعقيدة النفي هذه تركت أثرًا عميقًا على الوجدان اليهودي، وأضعفت إحساس اليهودي بالزمان والمكان، ومن اختلاف الحاخامات أن بعضهم يقف موقف المعارض من العودة إلى فلسطين، وأكد أحد الحاخامات أن مبدأ العودة لا توجد أية إشارة إليه في العقيدة اليهودية، لكن يوجد من الحاخامات من يفسر بعض نصوص التلمود بأنها تؤيد وتقبل فكرة إنهاء المنفى.⁴ ومن هنا ترى بعضهم يدعون إلى الهجرة ويستقطنون كل يهودي إلى الأراضي الفلسطينية، وبعضهم لا يلبون هذا النداء بل ينتظرون وصول منقذهم (الماشيح) ليعودوا معه إلى أرض الميعاد.

"وترى الصهيونية ومعها إسرائيل أن دافع الهجرة الأساس إلى إسرائيل هو العامل الاقتصادي والأمان الشخصي"⁵ فيرى اليهودي أرض فلسطين ملاذ وبلاد أجداده التي تحقق له الأمن والاستقرار والتوازن الاقتصادي، ويظهر هذا عند الشاعر (حاييم نحمان بيالك) في قصيدة "إلى عصفورة" فيبيدي الشاعر حناناً للأرض، ويصف البلاد عن بعد معتمدًا على ما ورد في التوراة، حيث وُصفت ببلاد اللوز والنخيل، ويقارن الشاعر أرض الشتات حيث تتوالى المصائب مع أرض فلسطين الدافئة، فيشجع اليهود إلى الهجرة مرغّبًا

¹. شخصية يؤمن بها الشعب اليهودي التي ستأتي في آخر الزمان لتخلصهم من أعدائهم.

². المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج2، ص 95.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 96.

⁴. ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁵. جرابيسي، برهوم، التكاثر السكاني في إسرائيل لن "يعوض" تراجع أعداد اليهود في العالم، تقارير مدار، 20 سبتمبر

ومرهبًا¹. فالهجرة إلى فلسطين هي "عالياه-עלייה" ولها معانٍ عدة كالصعود إلى السماء أو الصعود إلى إسرائيل بغرض الاستيطان الديني، وفي العهد القديم الذهاب إلى فلسطين يعبر عنه بالصعود إلى الأرض، أما الذهاب إلى مصر فيعبر عنه بالنزول، فالمصطلح العبري مرتبط بطقوس دينية ذات إحياء عاطفية، وأغراض "العالياه" في التقاليد اليهودية كانت تتم للتخلص من الفقر والمرض أو بغرض دراسة التوراة. واستمرت الهجرة أعوامًا طويلة وكانت أغلب الجماعات ترحل من روسيا، ورومانيا، وبولندا، والنمسا، ووصلت الهجرة ذروتها باستيلاء النازيين على السلطة فازداد عدد المهاجرين من وسط أوروبا، والذين كانوا من الأثرياء والرأسماليين وأرباب المهن الحرة ذوي ثقافة عالية، مما أسفر عن نمو كبير في الصناعة في فلسطين.²

والهجرة عند اليهود إثر معسكرات الإبادة تحمل معاني التجدد والخلوص، فصار اليهود في كل ذكرى للمحرقة يحجون إلى معسكر (أوشفيتس) في بولندا، حيث يظهر الممثلون لإسرائيل يرتدون الأزرق والأبيض (ألوان العلم الإسرائيلي) يحشرون في فراغات ويسيروا في العتمة، ويتقلدون رمز الدولة ويرفعون علمها، فيدخل الحاج إلى عالم الموت كي يحتله ويسيطر عليه برموز الدولة، ف(أوشفيتس) يمكن التغلب عليه ولكن ثمنه جسيم، وبهذا اللقاء تكتسب إسرائيل قيمة أخلاقية، وعودة الحجيج إليها تعني الهجرة إليها، وعليهم أن يقصوا الرواية ويذكروا ويتذكروا؛ فالهجرة نموذج انتقال وانبعاث ونهضة.³

- الحروب اليهودية-العربية:

إن من يقلّب صفحات التاريخ على وجه التصفح لا التأمل، سيدجد عنوانات كثيرة لسلسلة متواصلة من هذه الحروب اليهودية-العربية، وليست الدراسة بصدد البحث عن المسبب والسبب، ولا عن الرابح والخاسر، وإن

¹. ينظر: مزعل، غانم، مدينة القدس في الشعر العبري: قراءة في نماذج منتقاة، مجلة رؤى فكرية، عدد 5، ص 159-160.

². ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج7، ص 89-92.

³. ينظر: فلدمان، جاك، في أعقاب الاستغلال الإسرائيلي للمحرقة، قضايا إسرائيلية عدد 36، ص 13-14.

ذُكر ذلك واضحًا أو مضمّنًا بين سطورها، وإنما الهدف من هذه الجزئية الإلماح إلى العداء القائم وإثباته ومحاولة فهم نفسية اليهودي وكيف يرى الشخصية العربية، وسيكون التركيز على حقبة الزمن الحديثة.

ستحاول الدراسة رصد هذه الحروب من وجهة نظر يهودية، ولا يعني هذا تهميش وجهة النظر العربية المفهومة ضمناً؛ ولكن لتنتحل الشخصية اليهودية وتتغلغل في نفسيتها بشكل موضوعي ودون تحيّز، فمثلاً حرب الاستقلال عندهم هي نكبة الشعب العربي، وكل انتصار يتحقق من وجهة نظرهم هو خسارة للذاكرة الفلسطينية. وسيتم التطرق إلى هذه الحرب بوصفها التجربة الأولى للروائيين اليهود الإسرائيليين، وهي أول لبنة توضع لتعبر عن العلاقة اليهودية-العربية المتوترة في فلسطين، حيث زحرت المكتبة الأدبية اليهودية بالروايات التي تتناول هذا الصراع الأول. "وقد نهل س.يزهار (خربة خزعة"، "الأسير") وبنيامين تموز ("سباق سباحة"، "حكاية شجرة الزيتون") من وقائع حرب-48.¹ والناظر فيما كتب بموقع وزارة الخارجية الإسرائيلية بما يخص هذه الحرب، يتعاطف مباشرة مع الشعب اليهودي، فقد ذكر أن إسرائيل خاضت هذه الحرب ضد العالم العربي كله، وكأن التاريخ يكرر نفسه، فما اجتمع العرب ضدهم إلا ليمتوا خطة النازيين فيهم ويقوموا بإبادتهم وطردهم. "دارت هذه الحرب على امتداد الحدود الطويلة للبلاد: ضد لبنان وسوريا- في الشمال؛ العراق وعبر الأردن- والذي أطلق عليه اسم الأردن خلال الحرب- في الشرق؛ مصر وفرنك تعزرها من السودان- في الجنوب وفلسطينيين ومتطوعين من الدول العربية داخل البلاد."² ثم تُروى قصة البطولة الإسرائيلية كيف أن الجيش أرغم الدول العربية في آن واحد أن توقع اتفاقيات الهدنة، وليس ذلك فحسب، بل زيادة على التصدي للجيش العربية وطردها، تم الاستيلاء على 5000 كيلومتر خارج المناطق المخصصة في قرار التقسيم.³ فيصف موقع

¹. غرة، عمر، الفكر الصهيوني، ص 177.

².

<http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheHistoryOfTheJewishPeople/WarsOfIsrael/Pages/independence%20war.aspx>

³. ينظر:

<http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheHistoryOfTheJewishPeople/WarsOfIsrael/Pages/independence%20war.aspx>

وزارة الخارجية الجيوش العربية بالجيوش الغازية، وبذلك يشير إليها بأصابع الاتهام، ويظهر إسرائيل في حلة القوي الجبار المخلص المدافع عن شعبه، وفي الوقت نفسه يبين قلة حيلة العرب وضعفهم مع كثرتهم.

وتذكر الباحثة إيمان نحاس في ندوة وسمت بعناصر الرواية الإسرائيلية للنكبة أن الدولة اليهودية نتيجة لوجودها في صراع دائم ومستمر ونتيجة وجودها في حالة استنفار دائم قد طورت آليات نفسية-اجتماعية من أجل التكيف مع الصراع، تتجلى بمشاعر قوية مؤداها أنهم ضحايا لأعمال عنف مستمرة، وساهمت هذه الآليات في تطوير الكراهية والخوف والغضب تجاه العرب، وبذلك يبررون الأعمال التي يقترفونها ضدهم. وتقوم الأجنحة الإسرائيلية بترويج بعض الأفكار لتعمق عقيدة المواطن اليهودي نحو الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، وتعتمد هذه الأفكار على الإيمان بالأيديولوجيا الصهيونية فهم يرجعون إلى بلادهم، وانكار الهوية الفلسطينية، فالفلسطيني كائن بدائي وهمجي وجبان وقاتل وخائن وقاس، بينما يصورون أنفسهم بضحية للعرب، وينعتون أنفسهم بالنعوت الإيجابية فهم الشعب المختار والمتقنون وأصحاب القيم، ومن الأفكار المروجة أيضًا حب الوطن، فيطلب منهم التضحية في سبيل الوطن وتحمل الصعاب على أنواعها.¹

ونجحت هذه الآليات في توطين أفكار العقيدة اليهودية عند أعضائها، فلم يتوان الجنود عن اقتراح أبشع الجرائم باسم الأيديولوجيا الصهيونية: فارتكبوا مذابح كثيرة، ومن أهم هذه المذابح، مذبحه دير ياسين، ومذبحه الدوايمة غرب الخليل، ومذبحه يازور الواقعة بمدخل مدينة يافا، ومذبحه شرفات الواقعة بالقرب من القدس، ومذبحه بيت لحم في ليلة ذكرى ميلاد المسيح عليه السلام، ومذبحه قرية فلما الواقعة بالضفة الغربية، ومذبحه مخيم البريج في قطاع غزة، ومذبحه قليلية وقبية ونحالين ودير أيوب وغزة وخان يونس والرهوة والسموع وكفر قاسم..² وغيرها.. وتلت سلسلة المذابح هذه حرب الأيام الستة، "خلال فترة وجيزة استمرت ستة أيام، اجتاح الجيش الإسرائيلي شبه جزيرة سيناء وصولاً إلى قناة السويس؛ واستولى على الضفة الغربية بأسرها حتى نهر الأردن؛ وخلال الأيام الأخيرة، دون استغلال مبدأ المفاجأة، استولى على جزء كبير من هضبة الجولان، بما في ذلك جبل الشيخ الذي أصبح من ذلك الحين فصاعداً عيني وأذني إسرائيل. وكان الاستيلاء على البلدة

¹. ينظر: قضايا إسرائيلية عدد 36، ص 63-65.

². ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج7، ص 150-154.

القديمة من القدس والعودة حائط المبكى، أهم حدث في الحرب عندهم. وسمع صدى النفخ بالبوق (الشوفار) في باحة حائط المبكى في أقصى العالم.¹

فبعد أن كانت إسرائيل تعيش على صدى الخوف من إقامة دولتها على أنقاض الشعب الفلسطيني قبل عام 1967، وبعد أن كانت توصف بأنها "دولة مزعومة" صارت بعد هذه الحرب "دولة محتلة" وصارت تحمل معنى ضمنياً لدولة شرعية.² فعلى ما يبدو فإن الشخصية اليهودية قد بلغت وأصبحت فتية متمرة إثر هذه الحرب، فبغض النظر عن كيفية انتصارها إلا أنها انتصرت، واستطاعت سحق أكثر من عدو في أكثر من جبهة، مما يجعلها في هذه الأثناء متيقظة حذرة، تحسب كل صيحة عليها، والشكوك نحو العرب ستزداد لا محالة مما يضخم الفجوة الضخمة أصلاً بين الطرفين.

فنتائج حرب الأيام الستة كما يذكر "دان شيفطان" هي نتائج مذلة ومحطمة للأمال العربية، وصدمة لحضارتهم لم ينهضوا منها بعد حتى يومنا هذا، وظنوا أنهم بعد الهزيمة العسكرية سيستطيعون الضغط على إسرائيل بأساليب مادية سياسية في إرجاع الأراضي وتقليصها إلى حجمها الطبيعي.³

حاولت مصر بعد ذلك أن تقتص وتتنزع شوكة الهزيمة النكراء من خلال شن هجوم في يوم الغفران سنة 1973 ما عرفت لاحقاً بحرب يوم الغفران، فاجتاز الجيش المصري قناة السويس، وانضم الجيش السوري واجتاح هضبة الجولان، "ولكن سرعان ما انقلبت الأمور رأساً على عقب. ففي غضون أيام قليلة ومن خلال شن الهجمات المضادة والتي اتسمت أحياناً بالمجازفة، وصل الجيش إلى الضفة الغربية من قناة السويس على بعد 100 كيلومتر عن العاصمة المصرية، القاهرة، وكانت مدفعية الجيش قادرة على إصابة المجال الجوي

.1

<http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheHistoryOfTheJewishPeople/WarsOfIsrael/Pa>

[ges/six%20days%20war%201967.aspx](http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheHistoryOfTheJewishPeople/WarsOfIsrael/Pa/ges/six%20days%20war%201967.aspx)، نتانئل لوزخ.

². ينظر: هلال، هنييدة، هل كانت حرب 1967 طقس تطهر لإسرائيل، قضايا إسرائيلية عدد 34، ص 7-8.

³. ينظر: *פלסטינים בישראל*, ע' 80.

المحيط بالعاصمة السورية دمشق.¹ ارتعدت فرائص إسرائيل من هذا اليوم، فلم يعد يمكن الاعتماد على القيادات الأمنية، التي لم تستطع التنبؤ بهذه الهجمة الفجائية، فهؤلاء أبناء العالم الثالث استطاعوا هز كيان أبناء العالم الأول، وما نجوا إلا بمعجزة من مخالف الأعداء، فقد ظن الإسرائيليون أن هذا العدو يهزم بسهولة ودون بذل أي جهد، ودون إراقة دم، ولن يقبل بأي نتيجة مغايرة وإلا تعد خسارة تلحق بهم، وأما بالنسبة للعرب فيكفي خدش العدو ليحتقوا بالنجاح والانتصار.² ومرة أخرى تساور الشكوك شخصية اليهودي وتمنحه سلسلة الحروب هذه تهديدًا لكيانه ووجوده، وتزيد الفجوة الضخمة ضخامة مرة بعد مرة، وتصير دواة الروائي اليهودي الإسرائيلي مملوءة بالحبر تقريبًا، وما عليه إلا أن يغمس ريشته فيها ليسطر صورة العربي في رواياته، فهل يرى وجهة نظره ويشعر بما يشعره أم أنه يتعمد أن يتغافلها وينحي بصره عنها؟

إن الحروب اليهودية العربية، والصراع العربي الإسرائيلي لا ينحصر بما ذكر فقط، وعدم ذكر جزء من الحروب والصراعات لا يعني الإغفال ولا التغافل، ولا يعني أن ما ذكر دون غيره يحمل أولوية أو أهمية له، فهناك حرب لبنان الأولى، وانتفاضة الحجارة، وانتفاضة الأقصى، وحرب لبنان الثانية والتي أعتاظ فيها اليهود من آراء القادة السياسيين العرب، ومثلها الحروب التي شنتها إسرائيل على غزة، ولكن الدراسة توقفت في محطات تاريخية لرصد التوتر وروح العلاقة بين اليهود والعرب، ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وبعد هذه اللوحة التاريخية ستطرق الدراسة باب المصدر الديني والعداء الأزلي للأغيار.

المصدر الديني:

بادئ ذي بدء ستقوم الدراسة بالتعرض لمصطلح "الشعب المختار" ثم بعد ذلك إلى نظرة هذا الشعب وتعامله مع غير اليهود (الأغيار)، فكيف يصور المفسرون والحاخامات شخصية غير اليهودي؟ وعندها ستحاول الدراسة تسليط الضوء على الجزء المراد من الأغيار، وهو شخصية العربي.

1.

<http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheHistoryOfTheJewishPeople/WarsOfIsrael/Pages/yom%20kippur%20war%201973.aspx>

2. ينظر: שיפוט, 16, פלסטנינים בישראל, ע' 89-90.

- الشعب المختار:

مصطلح الشعب المختار، مترجم من العبرية (העם הנבחר-هعام هنفحار)، وقد ورد المصطلح بأشكال عدة كعبارة اخترت أنت (אתה בחרתנו-أنا بخرتانو) والشعب الخلاصة (לם גולג-عام سجولاه) وشعب الإراث (לם גולג-عام نحلاه). ويؤمن كثير من اليهود بأنهم شعب الله المختار، وهي مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي، وورد في سفر التثنية (2/14) "لأنك شعب مقدس للرب إلهك. وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض". وورد في سفر اللاويين (20/24، 26) "أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب.. وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب. وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي". وإذا طُلب من أحد المصلين قراءة التوراة فعليه أن يحمّد الإله لاختياره اليهود دون الشعوب الأخرى.¹ فهذا الشعب المختار يتباهى بالمذكور في التوراة وفي كتبهم المقدسة، فالإله لم يخرتهم دون الشعوب إلا لرفعة شأنهم وعظمة قيمتهم، وبذلك يضعون ويصنّفون بقية الشعوب بمرتبة دونية، ونظرتهم للعرب نظرة ازدراء فالعرب أقل شأنًا وأحط قدرًا من اليهود. "والأدب العبري يظهر الإنسان العربي إنسانًا متخلفًا لا يعرف كيف يتصرّف، وأنه بعيد عن النظافة والتحضر".²

وجاء الحاخامات بتفسيرات كثيرة لفكرة الاختيار، وبغض النظر عن مضمونها فإن فكرة الاختيار تؤكد الانفصال والانعزال عن الآخرين، وهذا الاختيار مرده عندهم في التلمود يدل على تفوق عرقي وآخر أخلاقي، فالإله لا يحب أحدًا إلا جماعة اليهود، فهو أول شعب يعبده.³ "وأكثر التفسيرات تواترًا، على الأقل على المستوى الوجداني، هو أن الاختيار غير مشروط ولا سبب له، فهو من إرادة الإله التي لا ينبغي أن يتساءل عنها أي بشر، الإله الذي اختار الشعب ووعدته بالأرض، وليس لأي إنسان أن يتدخل في هذا."⁴ فالاختيار عند هؤلاء نابع من عند الإله، ولا يعلم لماذا فهو في سر الغيب، بل ولا يجب أن يسأل عنه.

¹. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج 5، ص 72.

². مزعل، غانم، الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، ص 150.

³. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج 5، ص 72.

⁴. المرجع نفسه، ص 73.

وقد ورد في سورة البقرة "يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

الْعَالَمِينَ" ¹ فأورد الصابوني ² في تفسير هذه الآية: يذكرهم تعالى بسالف نعمه على آبائهم وأسلافهم، وما

كان فضلهم به من إرسال الرسل منهم وأنزل الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم كما قال تعالى:

"وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ" ³، وقال تعالى: "وَأَنذَرْنَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ

" ⁴. قال أبو العالية في قوله تعالى: "وأني فضلتكم على العالمين" على عالم من كان في ذلك الزمان فإن لكل

زمان عالمًا، ويجب الحمل على هذا، لأن هذه الأمة أفضل منهم لقوله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ" ⁵، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها عند الله" ⁶،

فتفضيلهم ليس مطلقًا أبدًا، قيل: فضلوا على سائر الأمم لاشتمال أمتهم على الأنبياء منهم وفيه نظر، لأن

العالمين عام يشمل من قبلهم، ومن بعدهم من الأنبياء، فإبراهيم الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم،

ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة صلوات الله وسلامه عليه. ويتضح

الأمر بيِّنًا جليًّا في سورة المائدة، قال تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُرُ قُلِّ

فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ^ط بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ

1. البقرة، آية 47.

2. مختصر تفسير ابن كثير، ج1، ص62.

3. الدخان، آية 32.

4. المائدة، آية 20.

5. آل عمران، آية 110.

6. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ج19، ص422، حديث رقم 1023.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا^ط وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ¹ فإن كان اليهود كما يزعمون، فلم يعذبهم الله بما

يقتربون من الذنوب، فالحيب لا يعذب حبيبه وأنتم تعذبون، وهذا يدل على كذبهم في هذه الدعوى.²

- الكتب الدينية اليهودية:

بما أن هذا المبحث يحاول استخراج الألوان الدينية وفصلها التي شكلت لوحة صورة العربي في أذهان عامة اليهود، فارتأت الدراسة تخصيص لمحة خاطفة للكتب الدينية اليهودية، دون البت في الخلافات والتناقضات بين الحاخامات والمذاهب.

يكاد الأمر يَشكل على الناظر والمتمعن بتعددية الكتب الدينية اليهودية، ومرد هذا التعدد فكرة العقيدة الشفوية والاجتهادات عند الحاخامات، وقد مرت اليهودية بمراحل تطور تاريخية طويلة؛ متعددة ومتناقضة. وأهم كتب اليهود المقدسة التوراة أو الكتاب المقدس، والذي يقسم إلى أسفار موسى الخمسة وهو أهم جزء، ثم كتب الأنبياء، وأخيراً كتب الحكم والأمثال والأناشيد.

تم تدوين التلمود في بدايات القرن السادس الذي أصبح كتاب اليهود الأول وحل محل الكتاب المقدس والعهد القديم، وفي القرن الثالث عشر ظهرت كتب (القبالاه) التي سادت الفكر الديني اليهودي وأهمل معظم الحاخامات التلمود.³

ويعترف المسيحيون بكتاب اليهود المقدس، وعندهم هو "العهد القديم" وأما الأسفار والأنجيل الأربعة فهي "العهد الجديد"، ويشتمل "العهد القديم" على الأقسام التالية: "شريعة موسى" والمعروفة باسم "التوراة" كذلك، وتتضمن الشرائع، والقوانين، والشعائر، والوصايا العشر، وكذلك أخباراً تاريخية عن جماعة إسرائيل، فسفر التكوين مثلاً يهتم بوصف الخليقة، وفيه أخبار العبرانيين وأصولهم؛ أما سفر الخروج فإن له من اسمه نصيباً، فهو يروي قصة العبرانيين، وخروجهم من مصر؛ وأما سفر اللاويين فيعالج واجبات الكهنة والطقوس الأخرى؛ وسفر العدد فيه تعداد رؤساء الشعب وحاملي السلاح وأخبار تدمير الشعب، والتجسس على أرض كنعان؛ وسفر

¹. المائدة، آية 18.

². الشوكاني، فتح القدير، ج 2، ص 362.

³. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج 5، ص 83.

التثنية فيه إعادة الشريعة وتكرارها على جماعة إسرائيل. والقسم الثاني من أقسام العهد القديم هو أسفار الأنبياء، ويتضمن أخبار العبرانيين من فترة موت موسى حتى هدم الهيكل، وينقسم إلى قسمين: الأول هو الأنبياء الأولون وعدد أسفاره ستة: سفر يوشع ويروي قصة احتلال أرض كنعان وتقسيم الأرض، وسفر القضاة وفيه أسماء القضاة وتاريخ جماعة إسرائيل في عهدهم، وسفرا صموئيل فيهما تاريخ تأسيس المملكة العبرانية وقصة داوود، وسفرا الملوك وفيهما وصف فترة حكم داوود وسليمان وسقوط المملكة. والقسم الآخر من أسفار الأنبياء هو الأنبياء المتأخرون، وهذا القسم فيه مجموعة من النبوءات والمواعظ والقصص، وهي خمسة عشر سفرًا، ويتسلسل التاريخ في أخبار أسفار الأنبياء بتسلسل زمني منذ ظهور العبرانيين. أما القسم الأخير من أقسام العهد القديم فهو كتب الحكمة والأناشيد وتضم عدا مواد التاريخ موادًا غنائية وأخرى قصصية، وترتيبها حسب ورودها: مزامير داوود وهي أناشيد شكر للإله، وسفر الأمثال، وسفر أيوب، ونشيد الإنشاد وهو من الأغاني الشعبية للأفراح والزفاف، و(راعوث) وهي قصة بطلة في عصر القضاة، ومراثي (إرميا) وهي قصائد بكاء على أورشليم بعد تخريبها، وسفر الجامعة وهو خواطر فلسفية، وسفر (إستير) ويتحدث عن خلاص جماعة إسرائيل على يد (إستير)، وسفر (دانيال)، وسفر (عزرا) ويتحدث عن عودة العبرانيين إلى القدس وإعادة بناء الهيكل الثاني، وسفر (نحميا) فيه عودة اليهود من السبي البابلي، سفرا أخبار الأيام وهما تلخيص تاريخي من بدء الخليقة حتى السبي البابلي.¹

وأما التلمود فينقسم إلى (المشناه) و(الجماراه)، وأقسام (المشناه) ستة وتسمى (سدرايم)، وهي الأقسام الأساسية و(الجماراه) تعليق وشرح لها. و(السدرايم) تنقسم إلى أسفار تسمى (ماسيخوت) والتي تنقسم إلى فصول تسمى (براقيم)، والسدر الأول في (المشناه) هو سدر (زرعيم-البذور) ويتألف من أحد عشر سفرًا تتناول القوانين الزراعية، وأما القسم الثاني من التلمود فهو سدر (موعيد-الأعياد والمواسم)، ويضم اثني عشر سفرًا، والسدر الثالث هو سدر (ناشيم-النساء) وأسفاره سبعة، والسدر الرابع هو سدر (نزيقين-الأضرار)، وأسفاره عشرة مقسومة إلى قسمين، الأول موضوعه القانون المدني في خمسة أسفار، والقسم الآخر على شكل ملاحق

¹. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج 5، ص 84-85.

له، والسدر الخامس سدر (قداشيم-المقدسات)، ويقسم إلى أحد عشر سفرًا، والسدر السادس سدر (طهاروت)-
التطهيرات).¹

ولا يقف الأمر عند هذه الأسفار فحسب، بل كان الحاخامات يشرحون المشروح، ويأتي من بعدهم حاخامات يشرحون شروحهم، حتى كثرت التناقضات واختلط الحابل بالنابل عندهم، "ويتكون التلمود من نص، وشرح، وتعليق، وتعليق على التعليق، وإضافات شتى. وقد استمرت عملية وضعه مئات الأعوام في أزمنة وأمكنة مختلفة، ربما ابتداءً من التهجير إلى بابل حتى تم الانتهاء من تدوينه وإضافة التعليقات في القرن الثاني الميلادي. واستمرت التعليقات حتى نهاية القرن التاسع عشر، أي أن كتابته استمرت عبر التاريخ واشترك فيها ما يزيد على ألف حاخام. فهو يتكون، إذن، من تراكم مستويات على مستويات أخرى دون أن تتفاعل معها بالضرورة مثل تراكم الطبقات الجيولوجية.² فبالضرورة ولكثرة المفسرين والشارحين ولاستمرار هذه العملية أعوامًا طويلة، سيتغلغل الغلط والتناقض بين سطوره خفيًا كان أو جليًا. حيث إن علماء التلمود قد قسموا التناقضات فيه، فهناك متناقضات تامة وفيها تناقض المقطوعة الأخرى تمامًا، وهناك ما يثير الدهشة كخلق الطير من الماء، وهناك المتقدم والمتأخر أي عدم ترتيب المادة التاريخية وتسلسلها، ولا يعني هذا أن الحاخامات لم ينتبهوا لهذه التناقضات وعدم اتساق رواية النصوص التوراتية، ولكن جل همهم قد انصرف إلى تفسيرها.³

- تناقضات التوراة:

"ويحل سبينوزا أسفار التوراة سفرًا سفرًا، مبيّنًا نصيب كل منها من الصحة التاريخية. فالأسفار الخمسة (pentateuque) لم يكتبها موسى، بالرغم من تأكيد الفرنسيين ذلك، حتى إن ابن عزرا، وهو العالم الناقد الحر، لم يجرؤ على الجهار بذلك. كتب الأسفار الخمسة إنسان آخر، عاش بعد موسى بمدة طويلة، وذلك لبعض الأسباب التي يذكرها ابن عزرا مثل: أ. لم يكتب موسى مقدمة سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن.

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 130-134.

². المصدر نفسه، ص 140-141.

³. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج 5، ص 101-102.

ب. كان سفر موسى مكتوبًا على حائط المعبد الذي لم يتجاوز اثني عشر حجرًا، أي أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن..¹ فيسرد الكاتب مجموعة من الحقائق من التوراة ويقوم بتفكيكها وترتيبها بتسلسل تاريخي ليثبت تهافتها. "وقد تعمد كاتب التوراة أن يلبس الحق بالباطل في بعض المواضيع، لا يفهمها إلا الدارسون الكبار، ليعرفوا غرض الكاتب مستقبلاً. وفي حالة المعرفة إما أن يوافقوه، وإما أن يكفروا به. وليست هذه الطريقة عند الكاتب وحده، بل لدى الكثير من الكتاب اليهود."² وأورد ابن حزم فصولاً في هذه الاختلافات، "أول ذلك أن بأيدي السامرية تورا غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، يزعمون أنها المنزلة، ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة. وسائر اليهود يقولون: إن التي بأيدي السامرية محرفة مبدلة."³ فكل ملة تكذب الأخرى وتطرح كل ما عند أختها. ومثال أخير على التناقض، "كيف يحسن أن يقال: وكل خضر الحقل لم يكن أولاً على وجه الأرض؟ ثم يعلل ذلك بقوله بعده: لأن الله لم يكن أنزل مطراً على وجه الأرض، مع أنه قد صرح بعد ذلك بقوله: وكانت عين تصعد من الأرض وتسقي كل وجه الأرض، فإنه متى سقت العين، لم يحتج في إنبات الخضر والعشب إلى ماء المطر، فلم يحسن أن يعلل عدم الإنبات بعدم المطر للاستغناء عنه بماء العين."⁴

- الأغيار (جويم):

يبدو جلياً أن أقلام الحاخامات قد تدخلت في تسطير أسفار التوراة، وإلا لما أصابها الخلل والتناقض في تراكيبيها. ثم إن العواطف تجاه غير اليهود قد تدخلت وامتزجت بألوان أقلامهم لتشكل صورة عنهم في التوراة، وأطلقوا عليهم مصطلح الأغيار أو (الجويم)، فهناك قوانين وأحكام خاصة للتعامل مع هذا الصنف الأدنى؛ بصفة اليهود الشعب المختار. وقد اكتسبت الكلمة إحياءات بالذم والقدح، وأصبح معناها الغريب أو الآخر، فالكلمة أغيار سبة وشتم، تنقص من الشأن، وأما عن ورود الأغيار وما يدور في فلكها من كلمات كمصري أو

¹. رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 22-23.

². حجازي، أحمد، نقد التوراة، ص 77.

³. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص202.

⁴. الباجي، على التوراة، ص 29.

سامري¹ في التوراة، ففي سفر أشعيا: ² "ويقف الأجنب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثكم وكراميتكم. أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلها. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمرن" فهم الملوك والبقية عمالهم وخدامهم. وفي سفر ميخا: ³ "قومي ودوسي يا بنت صهيون لأنني أجعل قرنك حديدًا وأظلافك أجعلها نحاسًا فتسحقين شعوبًا كثيرين، وأحرم غنيمتهم للرب، وثروتهم لسيد كل الأرض." فالإله سيعطيهم القوة الحديدية كي يبطشوا ويتجبروا بين الأمم، ليست القوة لسحق الأعداء فحسب، وإنما لسحق شعوب كثيرة، كأن القوة المعطاة لهم لتمييزهم ولترفعهم بين الأمم، لا ليقيموا العدل ويعطوا كل ذي حق حقه، وإنما كي يتجبروا، وقُرن القرن بالحديد، فهو صلب لا ينكسر، ينطح بهدف الدمار، ويخلف وراءه جروحًا وقروحًا.

وعندما سئل دوران أورباخ⁴ في مقابلة أجريت معه عن اختلاف اليهودية عن الإسلام والمسيحية، كان رده أنّ اليهود هم بمثابة الضوء للأغيار، نحن لسنا ضدهم. ويقول في حديثه عن مهام السبت: إنهم يستخدمون مولدات الطاقة، وإن كان هناك حاجة فمن الممكن توظيف الأغيار لهذه المهام⁵. فالأغيار هم العبيد الحراثون ووظيفتهم الخدمة.

ويصل الحد إلى أبعد من هذا، ففي (الهالاخاه)، يحرم ويمنع أن تُؤدَّ الأُمهات الحوامل من الأغيار في السبت، بل وتقطع هذه الحدود إلى ما بعد اللإنسانية، ففي السبت يترك الأغيار المصابون والمرضى للموت، ولا يجوز التعدي على حرمة السبت من أجل إنقاذ روح الأغيار.⁶ وفي مقالة أخرى نقلت عن (بنيامين نتنياهو) حول آراء عنصرية متطرفة، فقد مجدّ الإصحاحات التي تتكلم عن قتل الأغيار، وأن قائلها يستحق التعظيم،⁷ فهذه آراء زعمائهم التي اختارتها الأغلبية.

¹. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج5، ص240.

². الإصحاح الحادي والستون، 5-6.

³. الإصحاح الرابع، 13.

⁴. يهودي متدين وبروفسور كيمياء في جامعة بار إيلان.

⁵. ينظر: ستركمون، روتس، **لמה עם ישראל במשבר?**، הארץ 2016-06-24.

⁶. ينظر: ب. ميכאל، **וגם גזענות יש**، הארץ 2015-01-22.

⁷. ينظر: ספי רכלבסקי، **נתניהו ו"הגויים"**، הארץ 2013-04-23.

وللحاحامات دور كبير في زيادة الفجوة والفصل بين اليهود والأغيار، فقد أعادوا تفسير حظر الزواج من أبناء الأمم الكنعانية الوثنية في سفر التثنية (2/7-4)، فأعادوا النظر والتفسير ليعم الحظر ويطبق على جميع الأغيار دون تمييز بين أهل كتاب وعباد الأوثان، وظلت دائرة الحظر تتسع وتمتد حتى دخل في قطرها منع تناول الطعام بالمطلق مع الأغيار وإن كان شرعيًا، وامتدت الدائرة لتحتوي داخلها ولتحتصر الطعام الذي قام الغريب (جوي) بطهوه وإن كان طبّق قوانين التحضير اليهودية. وأما الزواج المختلط فغير معترف به في شريعتهم اليهودية، والأغيار عندهم كاذبون بطبيعتهم، ولا يؤخذ بشهاداتهم في المحاكم الشرعية اليهودية، ولا يصح الاحتفال معهم بأعيادهم إلا إذا أدى عدم الاحتفال إلى أذى اليهود، فمشاركتهم فرحة العيد سببها ذنب الأذى عن أنفسهم، فاصطناع التبسم والنفاق وارتداء الأقفعة أمر جائز لتحصيل غاياتهم. فصارت مداراتهم واضحة بينة لمن سواهم، حتى أنهم ضيقوا النطاق الدلالي لبعض الكلمات، فلو ذكر نهي في سرقة أخيك، فالمقصود أخوك اليهودي، وإخفاء هذا صدرت طبعات من التلمود تستبدل كلمة مصري أو سامري بمسيحي أو غريب. ووصل الأمر ببعض الحاحامات أنهم يرون الخيّر من الأغيار، أجساد أغيار بأرواح يهودية طاهرة ضلت سبيلها، فكل البشر مدنسين لا يجب أن تقام معهم العلاقات، ومن الضروري بناء أسوار عالية لمحيط الدائرة اليهودية المقدسة، وبهذه الأسوار سيتم المحافظة على العنصر اليهودي من الانخراط والذوبان ببقية الشعوب، وفي الأدبيات الصهيونية العنصرية، فإن الصهاينة يعدّون العربي على وجه العموم، والفلسطيني على وجه الخصوص، ضمن الأغيار حتى يصبح بلا ملامح أو قسّمات. وينطلق المشروع الاستيطاني الصهيوني من هذا التقسيم الحاد، فالصهيونية تهدف إلى إنشاء اقتصاد يهودي مغلق، وإلى دولة يهودية لا تضم أي أغيار، فتحيط الدولة المواطن الإسرائيلي بالرموز اليهودية مثل، الشمعدان، وألوان العلم المستمدة من شال الصلاة، لئتم لها مرادها.¹

¹. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج5، ص 240-242.

ومما ورد في التوراة عن العنصرية بين اليهود والأغيار، أنه إذا نطح ثور يهودي ثور الغريب، فليس عليه شيء أما إن كان الأمر معكوسًا فيجب على الغريب أن يعوض اليهودي. ويدعي المفسرون أن محاسبة الغريب تكون بحسب دينه.¹ وإن قتل يهودي شخصًا من الأغيار، فليس عليه شيء في الدنيا وإنما حسابه في السماء.² لا شك أن هذه التفسيرات وهذه الآراء ليست مصدرًا لصورة العربي عند اليهود جميعهم، فليس كل اليهود يهودًا متدينين، تتمنح حياتهم بحسب التوراة، وإنما التوراة عندهم أيام أعياد وعطل، ولطالما انقسموا إلى فريقين متخاصمين متاكفين: اليهود المتدينين واليهود العلمانيين. فإن شكلت التوراة مصدرًا لصورة العربي عند المتدينين بشكل مباشر وصريح، وغير مباشر عند الفريق الآخر، فالثقافة والسياسة هما المصدران المباشرين للعلمانيين، والمصدران غير المباشرين عند المتدينين.

المصدر السياسي:

بعد أن عرضت الدراسة في التمهد الأحزاب السياسية العربية في البرلمان الإسرائيلي، ستقوم هنا بعرض أهم الأحزاب السياسية اليهودية ووجهات نظرهم في الشخصية العربية، وستحاول أن تحدد كيف تؤثر هذه الأحزاب على الجماعات اليهودية وتتنقل لهم الصورة المرادة والمرسومة تحت أفتعهم السياسية، وكيف أن أقلام رجال السلطة لها دور كبير كالرصاص الفتاك في أذهان العامة.

"منذ إقامة إسرائيل العام 1948 وحتى العام 1973 كان النظام الحزبي نظامًا متعدد الأحزاب، وكانت الهيمنة لحزب مباي (فيما عرف لاحقًا بحزب العمل). سببت حرب أكتوبر (تشرين الأول) العام 1973 لاحقًا هزة قوية في المشهد السياسي الإسرائيلي وفي الحزب الحاكم (مباي) وسيادته، إلا أنه واصل الإمساك بزمام الحكم حتى سنة 1977. استطاع حزب الليكود، سنة 1977، بزعامة مناحيم بيغن أن يعتلي سدة الحكم لأول مرة، وبذلك تكون فترة 1977-1981 مرحلة جديدة في النظام الحزبي الإسرائيلي بالانتقال إلى نظام حزبي

¹. ينظر: فيكلشتاين، أريال، *درد المملد*، ص 51-49.

². ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

يتقاسم فيه الهيمنة حزبان. استمر هذا الوضع حتى سنة 1990، وتعتبر حكومات الائتلاف بين الحزبين الكبيرين في سنوات الثمانينيات من القرن الماضي خير دليل على هيمنة الحزبين.¹

وكان الحزبين عبارة عن كتلتين تصوغان الوضع السياسي القائم في إسرائيل، يجذبان إليهما بقية الكتل السياسية الصغيرة، وأفكار هذين الحزبين وآرائهما وتصوراتهما نحو العرب هي الخارطة الهيكلية والصورة الأولية للشخصية العربية التي تُبثّ للشعب اليهودي، من خلال التصريحات والخطب السياسية المنشورة في وسائل الإعلام بأنواعها.

تقسم الأحزاب السياسية الإسرائيلية إلى أربعة أقسام: أحزاب اليمين، وأحزاب اليسار، وأحزاب الوسط، والأحزاب الدينية.² وأحزاب اليمين وعلى رأسها الليكود هي أكثر الأحزاب هيمنة في الكنيست العشرين، فحزب الليكود مثلاً نال ثلاثين مقعداً في التركيبة الحالية في الكنيست.³

أهم الأحزاب السياسية الإسرائيلية:

الأحزاب اليمينية:

- حزب الليكود:

تم تأسيس هذا الحزب سنة 1973، قبيل انتخابات الكنيست الثامنة، وجذب إليه أحزاباً صغيرة (حزب حيروت، والحزب اللبرالي الإسرائيلي..) حيث انصهرت هذه الأحزاب لتشكّل ما يعرف بالليكود وتعني التجمع والالتقاء. واختير (مناحيم بيجين) ليكون على رأسها، والذي كان رئيس كتلة (حيروت) الصقر اليميني على خارطة السياسة الإسرائيلية من قبل، ورفعت الكتلة شعار المساواة الاجتماعية، والمحافظة على القيم والثقافة اليهودية. وبعد أن كانت ثلاثين سنة في صفوف المعارضة، استطاعت أن تسيطر على الحكم سنة 1977 لأول مرة، وقد استطاع رئيسها أن يقود إسرائيل لمفصل تاريخي مع مصر بتوقيع معاهدة سلام. وبعد أن قضى (بيجين) نحبه في عالم السياسة حلّ مكانه (يتسحاق شمير) ليكون رئيساً للحكومة ما بين السنوات 1986-

¹. أمارة، محمد، المشهد السياسي والحزبي، تقرير مدار الاستراتيجي 2005، ص 74.

². ينظر: المصدر نفسه، ص 76.

³. ينظر: https://knesset.gov.il/faction/arb/FactionPageCurrent_arb.asp?PG=13.

1992 وقد عرف عنه وعن مواقفه الشراسة فيما يخص أمن الدولة. وبعده أمسك زمام أمور الحزب (بنيامين نتنياهو) الذي انتخب الرئيس التاسع لحكومة إسرائيل (1996-1999)، وحارب الإرهاب وعزز من عملية السلام. ومرات عديدة انتخب ليكون رئيسًا للحكومة (2009-حتى الآن).¹

- حزب كلنا برئاسة موشيه كلون:

أقيمت كتلة (كلنا) سنة 2014 لتجدد الأمل لمعيشة أفضل لكل مواطني إسرائيل، التي تعمل على إنتاج مجتمع يفخر به الإسرائيليون ويودون العيش فيه. وهدفها المركزي أن توفر للمواطن العامل حياة محترمة. بدءًا من سد الفروق الاجتماعية والعمل لتحقيق المساواة الاجتماعية، ومرورًا بمكافحة غلاء المعيشة الذي لا يطاق، وانتهاء بتطوير القطاع الاقتصادي الخاص، والحرية الاقتصادية، ونبذ الاحتكار الاقتصادي الذي يشكل حاجزًا أمام المنافسات والتحكم بالأسعار.²

ورئيسه (موشيه كلون): "سياسي من أصل ليبي، يوصف بأنه محبوب للإسرائيليين، ومؤيد شرس للاستيطان في فلسطين ورافض لتقديم أي تنازل بشأن القدس الشرقية. حقق حزبه مفاجأة انتخابية 2015"³ وحصل على عشرة مقاعد.

- حزب البيت اليهودي:

تأسس الحزب عام 2006، وهو حزب ديني متطرف، يناصر الحركة الاستيطانية، ويرفض إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين. يجمع بين الصهيونية الدينية والأفكار اليمينية، يعد دولة إسرائيل دولة يهودية خاصة بالشعب اليهودي، ويرفض إقامة دولة فلسطينية مستقلة.⁴ ففي خطاب رئيس الحزب (نفتالي بينت) وجه كلامه لرئيس الحكومة المتوجه لملاقة رئيس الولايات المتحدة (دونالد ترامب) قائلاً: إن كنت ستصرح بإقامة دولة

¹. ينظر: <https://www.likud.org.il>.

². ينظر: <https://www.kulanu-party.co.il/platform>.

³. <http://www.aljazeera.net/encyclopedia>.

⁴. ينظر: <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>.

فلسطينية، فإن الأرض سترتعد.. ويجب علينا أن نُظهر قوتنا، والالتزام بالسلام سيكون منبعه الأمن. وبكل بساطة هذا هو الفرق بين اليمين واليسار، فاليسار يدعم إقامة دولة فلسطينية، واليمين يعارض ذلك.¹

- شاس:

"حزب إسرائيلي ديني متطرف، اختار اسمه من التلمود، يمثل الشريحة المتدينة الشرقية اليهودية. يعرف بـ"حزب الشرقيين المحافظين على التوراة" يؤثر بشكل كبير في السياسة الإسرائيلية.² تأسس الحزب سنة 1984 وهدفه المعلن هو استعادة المجد السابق، وتصحيح التمييز الاقتصادي والاجتماعي، ورغم الآراء اليمينية يقر الأب الروحي للحزب (عوفاديا يوسف) أن حياة البشر أهم من الأرض.³

- يهودات هاتورة:

"حزب يميني ديني سياسي إسرائيلي متشدد، يدعو لإقامة دولة يهودية تقودها القوانين الدينية، ويرفض المفاوضات مع الفلسطينيين.⁴ فمن تشدده معارضته لأعمال الصيانة لسكة الحديد أيام السبت، وما كان من رئيس الحكومة إلا أن استجاب له وأوقف هذه الأعمال⁵، بدأت بوادر تأسيس حزب "يهودات هتوراه" أي التوراة الموحد كائتلاف حزبي قبيل انتخابات الكنيست عام 1988. وتشكل رسمياً من ثلاث حركات، أولها "أغودات يسرائيل" وتعني رابطة إسرائيل التي تمثل يهود الأشكناز وثانيها "ديغل هتوراه" أي راية التوراة التي تمثل اليهود الليتوانيين. والثالثة "موريا" نسبة إلى جبل موريا المقدس لدى اليهود، وتمثل طائفة من اليهود الأصوليين "الحريديم" من الأشكناز. ويدير مجلس حكماء التوراة المشكل من كبار الحاخامات الحركات الثلاث. يعتبر الحاخام أليعزر شاخ ويعقوب ليتشمان، وأبراهام ربيتس من الشخصيات النافذة في الحزب بالإضافة إلى قائده

¹. ينظر: <http://www.bamerkaz1.co.il/index.php?id=14154>.

². <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>.

³. ينظر: https://www.facebook.com/pg/shasmaran/about/?ref=page_internal.

⁴. <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>.

⁵. ينظر: بر-ألا، ابي، نتניהو نكنع لחרדים، הארץ 2016-09-01.

وزعيمه التاريخي رابي شاش.¹ وعليه فقد تركبت كتلة هذا الحزب من ثلاثة أحزاب دينية، وتصبغ هذه الكتلة بالصبغة الأشكنازية، تقابل كتلة شاس الدينية المصبوغة بالصبغة السفارادية.

وتوجهه يميني ديني متشدد، يقدس تعاليم التوراة، ويرى أنها المرجع لسياسات إسرائيل كلها، ويرفض المفاوضات مع الفلسطينيين، وابتعد هذا الحزب عن المناصب الوزارية، ويكتفي بالنيابة، هرباً من تحمل المسؤولية السياسية لاعتبارات دينية.²

- إسرائيل بيتنا:

"حزب إسرائيلي يميني عنصري متطرف، يمثل واجهة سياسية لتكتل المهاجرين من جمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقاً، وتقوم فلسفته على العداء للعرب وتهجيرهم من فلسطين المحتلة بكل الوسائل."³ تأسس الحزب عام 1999، وجل اهتمامه في قضايا هجرة الجماعات اليهودية إلى إسرائيل، ويعد الهجرة بمثابة ثروة للدولة، ومركب أساسي يساهم في بنائها وبناء المجتمع الإسرائيلي، ويعد دولة إسرائيل دولة الشعب اليهودي، ويعد كل من ليس أهلاً للثقة فلا يستحق الجنسية الإسرائيلية، فكيف يُتوقع من العربي ابن الأقلية التماثل مع الدولة الصهيونية واحترام علمها، وهو بذلك يدعو إلى عدم الاعتراف بجنسيتهم ومن ثم ترحيلهم من الدولة.⁴

الأحزاب اليسارية:

- يش عتيد (هناك مستقبل):

"حزب إسرائيلي علماني، أسسه إعلامي سابق في شبكة الأخبار التابعة للقناة الثانية الإسرائيلية، وهو يؤيد حل الدولتين عبر المفاوضات على أن تكون القدس عاصمة موحدة لدولة إسرائيل."⁵ فتوجهه توجه علماني

¹ .<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>

² . ينظر: <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>

³ .<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>

⁴ . ينظر: <https://beytenu.org.il>

⁵ .<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>

ليبرالي، مناهض للحريديم، ويؤيد مبدأ دولتين لشعبين، شريطة إبقاء المدن الكبيرة (أريئيل، وجوش عتسيون، ومعلي أدوميم). ويهتم الحزب بكثير من الأصعدة كالاقتصاد وغلاء المعيشة، وتقليل الفجوات الاجتماعية، وشؤون الإسكان، والتربية، والصحة، والرفاه الاجتماعي، وتحفيز المجتمع المتدين على الانخراط بالمجتمع الإسرائيلي.¹

- ميرتس:

"حزب يساري إسرائيلي يهودي، يطالب بمساواة جميع المواطنين، ويرفض التمييز والعنصرية في حق عرب إسرائيل. يؤيد الانسحاب إلى حدود 1967 ووقف الاستيطان، ويناهض قانون يهودية الدولة.² ويناشد الأقلية والقومية العربية، ويرى أن الدولة يجب أن تساوي بين كل مواطنيها بغض النظر عن العرق، وأن تعترف بحقوق الأقلية العربية، وتدمجهم بالمؤسسات الحكومية، وتعترف بلغتهم كلغة رسمية في جميع المجالات، وعلى التقويم الرسمي الإسرائيلي أن يشمل أعيادهم ويعترف بها. ويناهض الحزب القوانين العنصرية كإعطاء أفضلية قبول لوظيفة ما لمن أنهى الخدمة العسكرية.³

- المعسكر الصهيوني:

حزب العمل هو "حزب يساري علماني إسرائيلي تولى السلطة لمدة طويلة، هيمن منذ نشأته على الهستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود في أرض إسرائيل) والحركة الصهيونية، منذ خرجت نواة الجيش الإسرائيلي الهاغانا وبالمخ.⁴ وقد شكل حزب العمل برئاسة (يتسحاق هرتسوغ) مع حزب (هنتوعا) برئاسة (تسيبي ليفني) ما يسمى بكتلة المعسكر الصهيوني.

وخطته للصراع الإسرائيلي-الفلستيني أن تعاد المفاوضات مع الفلستينيين والدول العربية، ومحاولة الوصول إلى حل ثابت مع الفلستينيين، مبدأه "دولتان لشعبين". والمحافظة على أمن الدولة بواسطة نزع السلاح من

¹. ينظر: <http://www.yeshatid.org.il>.

². <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>.

³. ينظر: <http://elections.meretz.org.il/platform>.

⁴. <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>.

أيدي الفلسطينيين، والقدس هي عاصمة دولة إسرائيل. وفي الوقت الحالي سيتم وقف الأعمال التي من الممكن أن تخل بعملية السلام، كأعمال البناء الاستيطانية. كما ويؤيد الحزب تبادل العلاقات مع الدول العربية.¹

آلية تشكل الحكومة في إسرائيل:

تتشكل الحكومة من أحزاب اليمين، ولهذه الكتلة التأثير الأكبر، ليس فقط لأنها تتفوق عددًا على أحزاب اليسار، فالقصد أن مقاعد تمثيلهم في البرلمان أكثر من مقاعد تمثيل اليسار، ولكن لأنها تشغل المراكز المهمة في وزارات الدولة، فهي تملك مكبرات الصوت الموجهة نحو الجمهور، وتمتلك الآليات والأدوات التي تتيح لها مخاطبة الجمهور وإيصال أصواتها لهم أكثر من غيرهم، فحسبك أن تقوم وزارة التربية والتعليم بالموافقة على مناهج تعليمي جديد، تبث خلاله انعكاسات لأفكارهم اليمينية، وترسم صورة العربي فتلقي في روع الطفل ما تريد من أفكار.²

وتذكر هنيدي غانم ذلك تقول: "تظهر تقسيمات الوظائف المفتاحية فيها وأداء وزرائها مدى انغماسها في تثبيت تغييرات بنوية لترسيخ الهوية اليهودية اليمينية الاستيطانية، سواء أكان تشريعياً أم مؤسساتياً أم ثقافياً أم سياسياً. فقد تم تنصيب أيليت شاكيد من البيت اليهودي لوزارة العدل، وميري ريغيف لوزارة الثقافة، ونفتالي بنت لوزارة التربية والتعليم، وموشيه يعلون لوزارة الدفاع، وتسيبي حطوبيلي كنانة لوزير الخارجية، وكلها شخصيات تحمل أفكاراً يمينية متطرفة واستيطانية. بالإضافة إلى ذلك تم تنصيب شخصيات من خلفيات دينية استيطانية ويمينية في وظائف مفتاحية في الدولة خاصة في المجال الأمني، كتعيين روني الشيخ قائداً عاماً للشرطة، ويأتي ذلك على خلفية استمرار التغيير في تركيبة مؤسسات أساسية كالجيش.. ولا تقتصر التغييرات على الشرائح النخبوية على المستوى الداخلي بل تتقاطع مع تغييرات في القماشة الإنسانية للدبلوماسية الإسرائيلية عبر تنصيب شخصيات معروفة بمواقفها المتطرفة ولا تتصف بالكياسة الدبلوماسية، وهو ما يعني أن التحول نحو قيم اليمين موجه للرأي العالمي أيضاً. فقد قام ننتياهو بتعيين داني دانون ممثلاً لإسرائيل في الأمم المتحدة،

¹. ينظر: <http://www.havoda.org.il>.

². ينظر: سטרیت, سمی שלום, יהודית ודמוקרטיה: מבחן בחינוך- חיבור על חינוך, לאומיות, אתניות ודמוקרטיה, ע' 85.

وهو معروف بمواقفه المعارضة لحل دولتين وتوجهاته العنصرية.¹ وهكذا تتم السيطرة على الجبهات الداخلية والخارجية. والدور الأساسي يكون لرئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، فكل وسائل الإعلام تنتظره لتتقل تحركاته وأقواله.

وإن الخطابات السياسية في الأزمات تشكل قاعدة خصبة للتعبير عن الرأي ولبث الأفكار ونموها دون تكرار سقايتها، فيقوم رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو خلالها برسم الصورة التي يريد للشخصية العربية، والتي تخدم مصالحه. فهذه الخطابات تساعد للوصول إلى الشريحة اليهودية كلها ومنهم الروائيون، الذين يعيدون صياغة هذه الأفكار، الأفكار الخام، ويقومون بمزجها مع أفكارهم بقصد أو بغير قصد، ثم يطلقونها في رواياتهم وفي نتاجهم الأدبي لتعود مرة أخرى لغالبية الشريحة اليهودية، وكأنها عملية تدوير وهضم لصورة العربي، حتى تصل لمرحلة نهائية يصعب تغييرها.

ومن هذه الأزمات، حالات الحرب مثلاً، كالعنوان على غزة، وإعلان حالة الطوارئ، فالشعب في حالة هستيريا، وتخوف، وتجهز لاستقبال هذه الأفكار. يقول رئيس الحكومة: "[توجد] دولة إسرائيل حالياً في خضم معركة تهدف إلى إعادة الهدوء والأمان لمواطنينا. لن نتسامح مع إطلاق الصواريخ على مدننا وبلداتنا ولذا أوعزت بتوسيع ملحوظ لرقعة العملية العسكرية ضد إرهابيي حماس والإرهابيين الذين ينتمون لباقي المنظمات الإرهابية العاملة بقطاع غزة..أيها المواطنون الإسرائيليون، أطلب منكم الإصغاء إلى أوامر قيادة الجبهة الداخلية لأنها تنقذ الحياة. وأدعوكم إلى الصبر؛ لأن هذه العملية قد تطول. وينظر المنظمات الإرهابية فإن كل مناطق دولة إسرائيل تشكل جبهة واحدة والمواطنون الإسرائيليون جميعاً بمثابة هدف واحد."² فاخنتاء الأمن يضع الجمهور في حالة ذعر تجعل منه يستقبل وينفذ كل ما يطلب منه، ولا يقتصر الأمر على حماس بأن أضافها إلى الإرهاب، وإنما هناك جسم إرهابي آخر وهناك منظمات إرهابية، ولا يعوزك فطنة لتفهم أن الفلسطينيين في غزة يشكلون خطراً ويدخلون في دائرة الإرهاب.

¹. نحو ترسيخ إسرائيل يهودية يمينية استيطانية، تقرير مدار الاستراتيجي 2016، ص 15.

². <http://www.pmo.gov.il/Arab/MediaCenter/Spokesman/Pages/spokebibi080714.aspx>

المصدر الثقافي:

يشكل هذا المصدر منبعًا دسمًا في تركيبية الصورة العربية عند الجماعات اليهودية، فالثقافة عين ينهل منها الصغير والكبير، والعالم والجاهل، والغني والفقير. لا يقل هذا المصدر عن سابقاته تأثيرًا، وفيه يلتقي الأدب مع الفن، بل ينصهران في بوتقة واحدة، حيث يصعب فصلهما. فإن كان التاريخ قد حصل، والدين يمارسه بعضهم، والسياسة لا يفهمها كلهم، فإن راية الثقافة تظلم كلهم. وسيتم في هذا المبحث تذوق الجانب الفني للثقافة اليهودية الإسرائيلية بدءًا بالموسيقا، ثم المسرح والسينما، وانتهاء بالعروض الكوميدية وبرامج من التلفاز الإسرائيلي؛ لأن الفصول القادمة ستتمركز في الجانب الأدبي الروائي.

- أولًا الموسيقا:

لا يختلف اثنان في تنوع الموسيقا الإسرائيلية، ومردّد ذلك إلى اختلاف الثقافات القومية الإسرائيلية واختلاف الجماعات اليهودية، ويمكن تصنيف هذه الأنواع الموسيقية ضمن ثلاث ثقافات موسيقية رئيسية، يمثل كل نوع منها توجهًا ثقافيًا مختلفًا: أولها "Shirei Eretz Yisrael" ("أغاني أرض إسرائيل")، وهي تعدّ في عمومها بمثابة الموسيقا الشعبية وتمثل التوجهات القومية. ويتمثل النوع الثاني في موسيقى الروك والبوب (rock and pop) الإسرائيلية التي تتأثر تأثرًا كبيرًا بالاتجاهات الموسيقية السائدة في موسيقى البوب والروك الأنجلو-أميركية. ويجسد هذا النوع التوجهات العالمية في الموسيقا. وثالث هذه الأنواع (musica mizrahit) ("الموسيقا المزراحية")، التي تعرف أيضًا بـ"الموسيقا الشرقية" أو موسيقى حوض البحر الأبيض المتوسط (musica yam-tichonit)، وهي نوع من أنواع موسيقى البوب التي استوحيت من تقاليد موسيقى البوب اليونانية والتركية العربية وتمثل التوجهات الشرق أوسطية في إسرائيل.¹ ويلاحظ تأثر الجماعات اليهودية من الثقافات الأخرى التي عاشوا بينها قبل الهجرة، وتشكل التراث والرصيد الموسيقي المختلف للجماعات اليهودية من خلال البيئة الثقافية التي عاشت فيها كل جماعة.²

¹. ريغف، موطي، الموسيقا والثقافة الشعبية في إسرائيل-لمحة تاريخية، مدار، العدد 50، ص 12.

². ينظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، ج 3، ص 249.

أما الثقافة الموسيقية الأولى "أغاني أرض إسرائيل" فتجسد في حقيقتها الموسيقى الشعبية، مضمونها قومي، وترتبط ارتباطاً وثيقاً ببداية تشكل المجتمع الإسرائيلي، يغمرها الحب والعشق لأرض إسرائيل، أو مشاهد من الحياة الزراعية في الكيبوتس، أو تشير إلى الموت في سبيل الوطن.¹ فكأنها لازمة تُردّد بين صفوف الجند حتى تتحت في ذاكرتهم، وأنه لا بد من بذل النفس والتضحية من أجل أرض إسرائيل، فكانت كالخطاب العسكري الملحن الذي يحرض الجند ويحمسهم.

وبرزت موسيقى الروك خلال العام 1970 تقريباً لتحل محل موسيقى "أغاني أرض إسرائيل" حيث تأثر جيل الشباب بأغاني البوب والروك الأنجلو-أميركية، وهذه الموسيقى عبارة عن خليط ومزيج من روح موسيقى "أغاني أرض إسرائيل" وعناصر موسيقى الروك، فكأنها مواكبة للعصر، فيؤتى بالقديم ويؤدى بالموسيقى الحديثة من آلات موسيقية كهربائية وآليات التسجيل المعقدة، مع اقحام لبعض الكلمات التي تحمل أهمية اجتماعية أو سياسية. وفي مطلع القرن الواحد والعشرين، أضحت موسيقى الروك الإسرائيلية وجه الثقافة الموسيقية الإسرائيلية، التي يقال فيها: إنها في لبها "أغاني أرض إسرائيل" مزينة بالابتكارات العالمية الأخرى في موسيقى الروك.² أما الصنف الثالث فهو الموسيقى المزراحية، ومعناها الموسيقى الشرقية، التي ترتبط بطائفة اليهود الشرقيين، الذين ينحدرون في أصولهم من البلاد العربية، وإضافة للمزيج السابق من موسيقى البوب والروك الأنجلو-أميركية تجمع بين جنباتها موسيقى شعبية عربية وأخرى يونانية كما تأثرت فيما بعد بالموسيقى التركية.³ ورغم معارضة بعض الأهالي لهذا النوع من الموسيقى، موسيقا حوض البحر الأبيض المتوسط إلا أنها لاقت شعبية وصدى كبيرين عند الأجيال الناشئة، فقد حاول بعض الأهالي تربية أبنائهم وتثقيفهم من الصغر ثقافة الموسيقى الغربية، إلا أنهم تعجبوا من أطفالهم عند عودتهم من الحضانات يغنون أغاني حوض البحر الأبيض المتوسط، مع أنهم كانوا يشددون بتغيير محطات الراديو إن بثّ فيها هذا النوع من الموسيقى.⁴

¹. ينظر: ريغف، موطي، *الموسيقا والثقافة الشعبية في إسرائيل-لمحة تاريخية*، مدار العدد 50، ص 12.

². ينظر: المصدر نفسه، ص 14-15.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 16.

⁴. ينظر: ساعر، يوبل، *أيך קרה שכל הילדים הכניסו הביתה את הזמר היס-תיכוני?*، הארץ 2010-04-21.

ولا تقف حدود الصراع بين الثقافتين الغربية والشرقية عند هذا الحد، بل تتعدى لتعبر عن الكيان الوجودي في أراضي ملاعب كرة القدم، حيث تنعكس المشاعر الداخلية الدفينة وتتجلى تجاه العرب، فتسمع هتافات الجمهور العنصرية "الموت للعرب" خاصة من قبل جمهور البيطار (أورشليم)، ولا يقتصر الأمر على مباراة يكون فيها الطرف المشارك فريق عربي، وإنما يكفي أن يكون لاعب عربي تحط قدمه على أرض الملعب. بل ووصل بهم الحال إلى تلقين أبنائهم الصغار هذه القوافي والأغاني، ويتفاخرون ويتضاحكون فيما بينهم إن أنشدوا الصغار.¹ ويظهر ذلك جلياً أيضاً عند مغني الرب المشهور (הצל-هاتسيل)، فمعظم أغانيه-إن لم تكن كلها-قد سَطَّرت كلماتها بجبر كره العرب والحدِّ عليهم، وليس منه ببعيد مغني الرب (סאבל'מינל-سابليمينال). ومن المواقف العنصرية لمغني الرب (هاتسيل) اعتراضه على ترجمة كلمة (צב'י)² من العبرية إلى الإنجليزية في حديقة الحيوانات في القدس، حيث أثار ضجة على مواقع التواصل الاجتماعي، فقد كُتب على أحد اللافتات في حديقة الحيوانات باللغة الانجليزية (palestine gazelle)³.

صحيح أن هذا اللحن اليميني بأفكاره، ومعتقداته، موجود شائع عند الجماعات اليهودية، إلا أن هذا لا يعني أن كل الأغاني بالملطق كانت تتماشى مع هذه الأفكار والمعتقدات العنصرية، فقد ألف الكاتب اليساري (دافيد غروسمان) أغنية من ملصقات الشوارع اسمها (שירת הסטיקר-شيرات هاستيكار) وقد غنتها فرقة (גד נחש-داج ناحاش) ليعكس الوضع السياسي القائم، واللافت للنظر في هذه الأغنية لا يقتصر فقط على كونها "الأغنية الأكثر سماعاً في سنة 2004"⁴ ولا على ورودها بمقال في صحيفة (نيو يورك تايمز) فقط⁵ وإنما في الضجة التي أثارها المستمعون من خلال تعليقاتهم، ونقاشاتهم التي تظهر على مواقع التواصل الاجتماعي، فمنهم من يدعي أنها أغنية يمينية تدعو إلى إبادة العرب وتهجيرهم، ومنهم من يدعي أنها أغنية يسارية تدعو إلى السلام بين الشعبين⁶، والحقيقة أن (غروسمان) رأى انتشار الملصقات السياسية على جوانب السيارات في

¹. ينظر: <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4085423,00.html>.

². أي غزال.

³. ينظر: يרון، لودد، הצל הצבאי וסערת הפייסבוק התורנית, הארץ 28-04-2015.

⁴. ينظر: שירת הסטיקר- השיר העברי המושמע ביותר בשנת 2004, הארץ 26-01-2005.

⁵. ينظر: בן נון, שגיא, "שירת הסטיקר" בכתבה ב"ניו يورك تايمز", הארץ 18-08-2004.

⁶ينظر: <https://www.youtube.com/watch?v=Glbjpev6U5s>

شوارع القدس، مما دعاه إلى تجميعها وتأليف هذه الأغنية، ويقول: إن السيارات في منطقة القدس، مثل لوحة الإعلانات السياسية المتقلبة، ويندر أن تجد سيارة دون ملصق سياسي، والعجيب أن الملصقات ترمز إلى العنصرية والعنف. فقام (غروسمان) بتجميعها ليكشف عن خشونة الحياة والشر الموجود في البلاد.¹ ويرى الباحث أن (غروسمان) فشل في توضيح أفكاره السياسية اليسارية وفي إظهارها في هذه الأغنية، فإن من يستمع لها ستتردد في أذنيه العبارات العنصرية الكثيرة، وسيظن أن الأغنية من تأليف جماعة اليمين، وعليه يكون (غروسمان) قد حقق هدفًا مغايرًا، ومن أمثلة هذه العبارات: "إذا لم يكن هناك عرب، فلن يكون عمليات تفجير"، "الشعب مع الترانسفير"، "الخليل للأبد"، "أعطوا الضوء الأخضر للجيش"، "اليسار يساعد العرب".. فمثل هذه العبارات لو مزجت بالبحر لمزجته، وتأثيرها أقوى من غيرها لو تساوت الأعداد، فما بالك إن طغت وكثر عددها؟ بل إن عدد العبارات اليسارية لا يكاد يذكر بجانبها.

- ثانيًا المسرح والسينما:

يشغل المسرح حيزًا كبيرًا في الثقافة اليهودية الإسرائيلية، وتأثيره على المشاهدين لا ينكره أحد، ويعد المسرح من المصادر الهامة التي تتحكم في تشكل صورة العربي عند اليهود، ولا تقل عنه دور عرض السينما. فهذه الأماكن يستسلم لها الجمهور خاصة في نهاية الأسبوع طلبًا للراحة وللترفيه في الغالب. ولربما يفضلها الجمهور لأنها تناقش وتعرض قضايا واقعية قريبة منهم، تحرك مشاعرهم، وتمتص مشاكلهم، وتطمئنهم، فكان حضوره في قاعة المسرح يعدّ تفرغًا لهموم الحياة ومصاعبها تارة، وشحن طاقاته الأيام القادمة تارة أخرى. كما أن المسرح يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقوموية اليهودية، وكأن له وجهين: وجه القومية اليهودية الذي يتشكل بناء عليها، ووجهًا وجوديًا يرمز للثقافة اليهودية²، فالمسرح يقات بالأحداث التاريخية، والحضور إليه يعدّ محافظة على الهوية اليهودية وثقافتها وتاريخها كذلك.

ويعد المسرح ناجحًا لمسّه قضايا اجتماعية-قومية تتصل بالأحداث اليومية، وبابتعاده عن عرض الموضوعات التي تخالف الرأي العام،³ ويرى الباحث أن في ذلك من التكلف ما فيه، صحيح أنه يجب مراعاة

¹. ينظر: بن نون، شغيا، دويد غروسمن كتاب "ل'הדג נחש" שיר המורכב ממילות סטיקרים, הארץ 2004-05-11.

². ينظر: شوهام، حיים، הקבוצה בתיאטרון פועלי ארץ-ישראל 'אהל', ע' 18.

³. ينظر: بن-עמוס، ابנר، הקאמרי של תל אביב 50 שנות תיאטרון ישראלי, ע' 190.

ما يطلبه المتلقون، ولكن ليس على حساب العمل الفني أو العمل الإبداعي، وعلى المبدع أن يتحرر من هذه القيود، وإلا صار الفن تجارة مستوردة بحسب طلب المستهلك.

ويرى الجمهور اليهودي الإسرائيلي المسرح مكاناً لمحااسبة النفس، فالمسرح دون أدنى شك، يتربح على رأس هرم الفنون الإسرائيلية وثقافتها، وقد نما وتطور مواكباً نمو وتطور دولة الاحتلال، ليظهر ما فيها من صراعات سياسية واجتماعية، محاولاً فهم الظواهر التي مرّ أو يمرّ فيها المجتمع اليهودي، كالهولوكوست، والصراع العربي الإسرائيلي، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والشروخ الإثنية، والتحديات الاجتماعية والدينية.¹ ويبلغ عدد جمهور المسرح ما يقارب نصف مليون شخص يترددون إلى قاعة المسرح مرة على الأقل شهرياً²، ولا جرم أن هذا العدد الضخم يعكس أهمية المسرح عند اليهود الإسرائيليين، ولا ينصبّ همّ الدراسة في التحقق من الأسباب الكامنة وراء هذا الإقبال، لربما تتكفل الحكومة بأسعار التذاكر، أو لربما تبايع بثمن بخس، وكل هذا لا يهم مقارنة بالأفكار التي يبثها العرض خاصة بما يتعلق بشخصية العربي.

كانت عملية استيعاب الشخصية العربية في الدراما العبرية وفي المسرح الإسرائيلي بطيئة مترددة، فقد ظهرت بين السنوات 1911-1948 في سبعة عشر عرضاً، وفي السنوات 1948-1967 في ستة وعشرين عرضاً، وكان حضور الشخصية العربية حضوراً ثانوياً ليس ذا أهمية، أما اللافت للنظر فهو حضور الشخصية العربية ما بين السنوات 1973-1982 فقد ظهرت في ثلاثين عرضاً، وأغلبها في أدوار مركزية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ففي السنوات 1982-1994 تعدى حضور الشخصية العربية مئة عرض، حيث كانت الشخصية العربية تمثل الطرف الفلسطيني من الصراع العربي-اليهودي.³ ويرى الباحث أن الشخصية العربية فرضت نفسها في الداخل الإسرائيلي وخارجه، فبعد أن كانت متوترة مترددة في السنوات الأولى للاحتلال، بدأت تخرج من مخابئها، وقد ارتفع صوتها مطالبة بحقوقها، وتزاحمهم الحياة، وبما أن العرض المسرحي امتداد للواقع، فلا بد أن يكون للشخصية العربية نصيب منه. ولكن لم ينصف المسرح شخصية الإنسان العربي بل ألصق به كل

¹. ينظر: كينر، גד, על המחזאות הישראלית, התיאטרון הקאמרי של תל אביב 2, ע' 140.

². ينظر: كوخنكي، מנדל, התיאטרון העברי, ע' 233.

³. ينظر: أوريون، דן, דמות הערבי בתיאטרון הישראלי, ע' 9.

الأوصاف السلبية، وأظهر الشخصية اليهودية على النقيض تمامًا، فالقذارة، والكسل، والفشل من نصيب العربي، أما اليهودي فحليفه النجاح، والقوة، والاستقامة، والفتنة، والجمال.¹

وقد حاول المؤتمر الموسوم بـ"علاقة اليهود والعرب في المسرح" الذي أقيم في "الكلية الأكاديمية في الجليل الغربي" في عكا أن يظهر صورة العربي في الكتابات المسرحية الإسرائيلية، وكان التركيز على صورة عرب إسرائيل ومكانتهم، وافتتح المؤتمر بمناقشة عروض مسرحية عرضت في مسرح حيفا في سنوات السبعين والثمانين، وفي هذه السنوات وصل العمل المشترك الذي يقوم به منتجون عرب ومنتجون يهود حول موضوع التعايش ذروته، ومن هذه الأعمال: "التعايش" لمحمد وتد² و"نعيم" لـ(أ.ب. يهوشوع)³ ورواية "المتشائل" لإميل حبيبي، التي مثلت وعرضت على خشبة المسرح، ويصور (نفتالي شيم طوف)⁴ شخصية العربي من الثقافة الإسرائيلية بأنها نمطية تتراوح بين الشخصية الإرهابية وبين الشخصية المطيعة المنقادة، ويعلق المخرج رياض مصاروة على أداء المخرجين في تصوير الشخصية العربية، ويقترح على المخرجين اليهود أن يتعاونوا بالمهنيين العرب حتى ينقلوا الصورة الدقيقة للعربي على خشبة المسرح⁵ ويرى الباحث أن العمل المشترك بين مخرج عربي وآخر يهودي ليس بالضرورة أن ينقل الصورة الحقيقية للشخصية العربية، فذلك يتعلق بالمخرج وبما يحاول بثه من أفكار، فالمسرح ليس نقلًا دقيقًا للواقع، وإنما تتدخل في رسم صورة العربي وفي تصميمها أقلام كثيرة منها أقلام المخرجين، وأدوار الممثلين حيث يتجلى ذلك في إتقان الدور أو عدمه.

ولعل العرض المسرحي الجديد "في النفق" جاء ليضيفي على الصراع العربي-الإسرائيلي وجهة نظر جديدة، فيحكي العرض قصة جنديين إسرائيليين، يحبسان في نفق تحت الأرض مع جندي من حماس على حدود غزة،

1. ينظر: اورفيو، ٦٠، ذموت הערבי בתיאטרון הישראלי، ע' 44.

2. عضو كنيست سابق وصحفي.

3. روائي يهودي إسرائيلي.

4. محاضر في قسم المسرح في الجامعة المفتوحة.

5. ينظر: أشכנזי, יאיר, כנס מיוחד: יחסי היהודים והערבים בתיאטרון, הארץ 2015-10-01.

بينما يستمر العالم العلوي بلعبته السياسية والإعلامية، أما الجنود فيتجدون في العالم السفلي من القشور الخارجية لينتهي بهم المطاف إلى حوار إنساني، وأما مصيرهم، وذلك جزء من العرض، فيقرره الجمهور.¹

ويختلف العرض المسرحي عن الفلم السينمائي بواقعيته الحية التي تتيح إشراك معظم الحواس بصورة أصلية، وليس كالتأثيرات السينمائية الجديدة من تحريك الكراسي، ورش الماء، ونفث الدخان، أو ما يعرف بـ(الفور دي إكس)²، ولا يعني هذا أن الأفلام السينمائية أقل تأثيراً، أو أقل جمهوراً، لكن التجربة تختلف في كل منهما.

ويلاحظ في الأعوام الأخيرة إقبال الجمهور على عالم السينما. ولا يقتصر ذلك على الجمهور، بل يتعداه إلى زمرة الباحثين³ كما ذكر (يهوشع أليشبرغ)⁴، فالدراسات والأبحاث التي تهتم بمجال الإنتاج وما يرافقه باتت شائعة في السنوات الأخيرة. ولم تعد دور السينما أماكن ترفيهية فقط، بل صارت تتيح للأفراد الانفتاح على الثقافات الأخرى، فهي كتذكرة سفر للتنقل في مساحات الأرض الواسعة في جميع الأزمنة وعبر التاريخ، بل وللتنقل بين الكواكب وعبر المجرات، فيقبل عليها الجمهور لخوض هذه التجارب، تجارب السفر الأفقية والعمودية، ليتحرر من جميع القيود، فكأن سمة العصر تحتم على الأفراد زيارة السينما.

أما دور السينما الإسرائيلية، فعلاوة على عرض الأفلام العالمية فإنها تشجع الإنتاج المحلي، وتقوم بعرض الأفلام المحلية بتردد كبير، وأكبر دور العرض المشهورة: (سينما سيتي)، و(يس بلانيت)، و(جلوبوس ماكس) وتنتشر فروعها في كل أنحاء البلاد.

يحاول بعض العرب في إسرائيل الانخراط في سلك التمثيل المحلي وقد نجحت فئة منهم، وسطعت أسماءهم، ومثال ذلك: الفلم السينمائي (جانكشن 48) بطولة مغني الراب تامر النفار، حيث شارك المخرج اليساري (أودي

¹. ينظر: اشכנזי, יאיר, שני חיילים נלכדים עם איש חמא במנהרה, הארץ 28-01-2017.

². قاعات السينما المتطورة.

³. ينظر: סטטיסטיקה הוליוודית, הארץ 25-02-2008.

⁴. محاضر في قسم إدارة الأعمال في مدرسة ورطون التابعة لجامعة بنسلفانيا.

ألوني) في كتابة السيناريو، ويحكي الفلم قصة شاب يعيش في صراعين: صراع العنصرية ضد العرب في إسرائيل، وصراع التقاليد مع المحافظين.¹

وفي مقال ليوسف الشايب² يتحدث فيه عن المخرجين الإسرائيليين فيقول: "قام عدد من السينمائيين الإسرائيليين، منذ عقود، وخاصة في السنوات الأخيرة، بإعطاء روايات جديدة في أفلامهم لما حدث ويحدث في إسرائيل، والعمل على تعرية الرواية الإسرائيلية، بل وكشف أموراً لم تكن معروفة لدى شريحة من الإسرائيليين، ولدى الكثيرين في العالم حول قضايا قانونية، واجتماعية، وحقوقية، علاوة على أخرى تتعلق بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي، أرى من المناسب إطلاق اسم "السينمائيون الجدد" عليهم، وبتحديد أكثر "المخرجون الجدد"، والذين برأيي لا يقتصر عملهم السينمائي على إعادة النظر في الروايات المحيطة بقيام دولة إسرائيل، والنكبة، بل بمس "التابوهات" الرسمية، وغير الرسمية لجمعيات متطرفة لاهوتية، وغير لاهوتية، وبعضها صهيوني، فيما يحدث على أرض الواقع في الماضي القريب، أو البعيد، أو حتى الحاضر المعاش، سواء ما يتعلق بقضايا إسرائيلية داخلية، أم قضايا تتعلق بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي."³

لربما نجح عدد من المخرجين اليهود في إيصال هذه المعلومات العنصرية القاسية التي تخلو حتى من طرف أنملة للإنسانية ضد الفلسطينيين للعالم كله، لكن العمل الجوهري يكمن في تغيير الموقف اليميني المتطرف عند الغالبية العظمى لليهود، ويرى الباحث أن هذا الأمر صعب جداً، فكلما علت أصوات اليسار القليلة، كلما احتدت مباشرة أصوات اليمين، فتراهم يبحثون عن كل مقال يُظنُّ أنه يخدم السلام والتعايش ليبدؤوا بتلطيخه بتعقيباتهم العنصرية.

ولا شك أن عالم السينما يتصل اتصالاً وثيقاً بعالم الرواية، حيث يستمد مادته منه، فخربة خزعة "أول رواية قصيرة للكاتب اليهودي، (يزهار سميلنسكي) (1949)، تتحدث عن النكبة الفلسطينية وتصف التهجير وتدمير القرى. (يزهار)، كان ضابطاً في قوات (الهجاناه) ويصف في روايته تفاصيل التهجير والطرده الذي كان شريكاً

¹ ينظر: نيريت، اندرمان، "גנקשן 48" של אודי אלוני כה בפר הסרט הבינלאומי בפסטיבל טרייבק، הארץ-22-2016-04.

² ناقد سينمائي فلسطيني.

³ المخرجون الجدد في إسرائيل، قضايا إسرائيلية عدد 59، ص 103-104.

به. كان لهذه الرواية تأثير كبير في الأوساط الإسرائيلية والعالمية واعدت مقالات ودراسات كثيرة حولها، كان معظمها مضادا لها، فمنهم من اتهم الكاتب بأنه يشوّه صورة المحارب الإسرائيلي وضميره، ومنهم من ادعى أنه لم يبرز أبدا حقيقة الفلسطينيين. في عام 1978 قام المخرج اليهودي (رام ليفي) بتحويل الرواية إلى فيلم درامي بعنوان "خربة خزعة"، وهو يعتبر أول فيلم إسرائيلي يتحدث عن النكبة والتهجير.¹ ولا يفهم من هذا المثال أن الأفلام السينمائية اليهودية الإسرائيلية مؤازرة لقضية العرب في الصراع العربي-الإسرائيلي، لكن الباحث ذكر مما شذ عن القاعدة وخالف القياس.

ولأن المقبلين على دور السينما في نمو ملحوظ، فإن هذا المصدر يعدّ من المصادر الرئيسية التي تساهم، بل تتحكم في رسم صورة العربي بين ظهراني اليهود، فعدد المقبلين على دور السينما في السنوات الأخيرة في تزايد كبير، رغم استطاعة الجمهور تحصيل ما يرومونه من الأفلام الجديدة والقديمة بكبسة زر على أجهزتهم في ظل التطور التكنولوجي القائم. وقد بلغ عدد الجمهور في سنة 2012 نحو ثلاثة عشر مليون وأربعمئة ألف شخص² لمشاهدة الأفلام المتنوعة المعروضة، ولا يخفى على أي عربي ذي اتصال وثيق، أو اتصال ضعيف بعالم السينما طبيعة الصورة المنقولة عن العرب على شاشات العرض.

- ثالثاً عبر شاشات التلفاز:

باتت شاشات التلفاز أفراداً في كل عائلة وعائلة، بل صارت عمادهم وجامعهم، وذلك يعني أنها كفيلة بتغيير أفكارهم، وتصوراتهم، أو خلقها أصلاً، "ويمزج التلفزيون بين الموضوعية والذاتية فيما يتعلق بالجمهور، فيوجد الكاميرا ومختلف الوسائل الإلكترونية، يستطيع كل من الكاتب والمخرج توجيه اهتمامات الجمهور ومشاعرهم وفق رؤيتهما الذاتية نحو حافز معين. إن جمهور التلفزيون لا يختار ما يريده كما يختار جمهور المسرح ما يرغب فيه من مجمل العروض المقدمة على المسارح."³ فبالفعل هناك لمسات يد المخرج ولمسات القائمين

¹. <http://zochrot.org/ar/video/56298>

². ينظر: دبرت-مزرقي، عدي، مسخ الحرف: بعولم متخريم على המחير بנתי הקולנוע – בישראל רק על החוויה، הארץ (the marker) 21-11-2013.

³. هيلارد، روبرت، الكتابة للتلفزيون والإذاعة ووسائل الإعلام الحديثة، ترجمة مؤيد حسن فوزي، ص 26.

على العرض والبت، ينقلون خلالها صورة العربي المرئية، والمسموعة، فينطقونه كما يشاءون، ويلبسونه ما يشاءون، ويعكسون الواقع الذي يتصورونه عنه، أو الذي يريدونه له، وليس ما ذكر عن حقيقة الاختيار دقيقاً، فلك مطلق الاختيار في كليهما، فأنت تماماً كما تشتري تذكرة للمسرح وتقوم بانتقاء عرض معين، تستطيع تقليب قنوات التلفاز لتشاهد ما تختار، بل وصل الأمر بالتقنيات الفضائية اليوم أن تحفظ العرض وأن تتحكم بوقت بثه في جهازك.

ويطرح عبد الله الغدامي قضية التأثير على شكل سؤال طريف، فيقول: "ماذا لو خرجت علينا الصورة من التلفزيون متمردة علينا وعلى جهاز التحكم وتحققت وحشيتها علينا بممارسة عملية قسرية...؟"¹ فعندها لن تسمح لها، وستتصدى لها إن استطعت، أو ستهرب منها، ولن تدعها تتمكن منك، لكن في الحقيقة وعلى أرض الواقع يصعب تمييز ذلك إلا لفئة قليلة من الناس، التي تملك الوعي، والثقافة اللازمين لنقد الصور المشوهة ولتحذير العوام من ذلك. "والحق أن الصورة تعتدي علينا فعلاً، فهي تقتحم إحساسنا الوجداني وتتدخل في تكويننا العقلي بل إنها تتحكم في قراراتنا الاقتصادية حيث تضطرننا إلى صرف مال ما كنا سنصرفه لولا مفعول ثقافة الصورة.. مثلما تدير ردود فعلنا السياسية والاجتماعية وتؤثر في توجهاتنا الفكرية والثقافية."²

وجمهور العرب المتابع للبت الإسرائيلي عبر محطاتهم الرئيسية، لن يخفى عليه التشويه المنقول لصورته، فأنت ستصدم إن نظرت في المرأة ورأيت شخصاً آخر، أما إن كان التغيير طفيفاً ويحتاج إلى عين ثاقبة لملاحظته فعندها لن تبالي، ولن تنزعج لشيء لم تلاحظه، لكن اللافت للنظر هنا أن الصورة المنقولة عبر شاشات التلفاز، إنما نقلت للجمهور اليهودي بوجه خاص، وستطبع الصورة وتنمو في أذهان الجمهور كما أراد لها ناقلوها، واللافت للنظر أيضاً أن الصورة لو نقلت بشكل سلبي مشوش، فمحاولة تغييرها ستزداد صعوبة مع كل بث، وستكون إحالتها إلى نقطة الأصل قد باتت أمراً مستحيلاً.

تقسم القنوات الإسرائيلية التجارية الإخبارية إلى معسكرين اثنين: قنوات اليمين وترأسها القناة الثانية، وقنوات اليسار وترأسها القناة العاشرة. وستحاول الدراسة النظر في أكثر البرامج مشاهدة، لتقف على حضور الشخصية

¹. الثقافة التلفزيونية، ص 7.

². المرجع نفسه، ص 7-8.

العربية فيها من منظار الشخصية اليهودية. ولعل أهم هذه البرامج هي البرامج الترفيهية حسب مواقع التقييم¹ ومنها: برنامج "النجاة"، أو "صراع البقاء" (השרדות)، والذي بُث عبر القناة العاشرة في بداياته من ثم استحوذت عليه القناة الثانية، ومن هذه البرامج أيضًا برنامج "الأخ الأكبر" (האח הגדול)، والذي يبث عبر القناة الثانية، وبرنامج "البلاد الرائعة" (ארץ נהדרת)، والذي يبث عبر القناة الثانية، وبرنامج "ظهر الأمة" (גב האומה)، والذي بُث عبر القناة الثانية في البداية ثم استحوذت عليه القناة العاشرة.

كانت مشاركة العرب محدودة جدًا في هذه البرامج، فكأن هذا الحضور هو نفسه الحضور الفعلي على أرض الواقع في جميع مجالات الحياة، وأضف على ذلك أن المشاركين العرب لا يمثلون إلا شريحة صغيرة من المجتمع العربي، فمثلا على مر مواسم برنامج "الأخ الأكبر"، وبرنامج "صراع البقاء" كانت مشاركة العرب معدودة محدودة وبنسبة ضئيلة جدًا. ووقع الاختيار على هذه البرامج دون غيرها، ليس فقط لكونها الأكثر مشاهدة، وإنما لأنها قريبة من الحياة الواقعية، ولأنها تعكس الصراع العربي-الإسرائيلي أكثر من غيرها من المسلسلات المحلية المعروضة التي تحتاج إلى إتقان التمثيل والإلمام بعالم السينما.

وحتى يكون الأمر على بينة فلا بد من عرض مختصر لماهية هذه البرامج ولما يدور فيها، مع تسليط الضوء على حضور الشخصية العربية فيها:

- **أولاً برنامج صراع البقاء:** وهو تقليد لبرنامج أمريكي تحت العنوان نفسه، وفيه يتم اختيار مجموعة من المشاركين يتركون على جزيرة تحت ظروف معيشية قاسية لمدة شهرين أو ما يقارب ذلك، ويتم تصفيتهم حسب قوانين اللعبة تدريجيًا، حتى المشارك الأخير والذي يعد فائز الموسم². وأول شخصية عربية شاركت في هذا البرنامج هي نسرين غندور، في الموسم الثاني، وتم إقصاؤها بعد ستة أيام، وجدير بالذكر أن مشاركة نسرين غندور كانت في الفترة نفسها عندما شن جيش الاحتلال عملية "الرصاص المصبوب" على غزة، ولعل سبب إقصائها يرتبط بطريقة أو بأخرى بالأحداث السياسية، فهي لم تنتج

¹.

<http://www.globes.co.il/news/%D7%A8%D7%99%D7%99%D7%98%D7%99%D7%A0%D7%9>
<http://www.midrug-tv.org.il>، <http://www.the7eye.org.il/rating/page/5>، [tag?articles_page=2](http://www.midrug-tv.org.il/tag?articles_page=2).

². ينظر: <http://reshet.tv/mood/survivor>.

وأبعدت بسبب عروبتها رغم إنكار بقية المشاركين ذلك¹، فما ذلك إلا مسألة وقت فقط، فجميع المشاهدين يعلمون أنها ستطرد منذ وطأت قدمها أرض الجزيرة². وفي الموسم السادس-موسم المشاهير- اشترك عزام عزام الدرزي، والذي يعد رمزاً قومياً إسرائيلياً³ والذي اتهم بالتجسس وسجن ثمانية أعوام في مصر⁴. وأما الموسم السابع فقد اشتركت فيه عارضة الأزياء المسيحية هدى نقاش.

إن المشاركين العرب في برنامج صراع البقاء لم يصلوا للمراحل النهائية، بل تم إقصاؤهم في المراحل الأولية للبرنامج، وقد شعروا بمظاهر الكره والعنصرية من قبل المشاركين اليهود، وأفصحوا عنها لوسائل الإعلام والصحف، فمثلاً نقلت هدى نقاش في مقابلة أجريت معها أنها تتلقى منذ مشاركتها في البرنامج تعليقات عنصرية وشتائم كثيرة على مواقع التواصل الاجتماعي⁵، والمتابع لهذا البرنامج ولتغطيات الإعلام له سيلاحظ هذه المظاهر التي تعكسها الشخصية اليهودية نحو الشخصية العربية، مع العلم أن الشخصيات العربية المشاركة لا تمثل إلا شريحة يسيرة جداً من المجتمع العربي في الداخل، بل إن المشاركين لا يمثلون إلا أنفسهم في الحقيقة، ولا تمثل آراؤهم وأفكارهم وتصرفاتهم الرأي العربي العام، فعزام عزام من الطائفة الدرزية التي لا تتعدى العشرة بالمئة⁶ من مجموع عرب الداخل، ويتهمه كثير من عرب الداخل بالخيانة، وأما عارضة الأزياء هدى نقاش فقد تزوجت من يهودي⁷، فالمشتركون يعدون حالات نادرة، ولا يمثل الفرد منهم الشريحة العامة ولا حتى الخاصة، ويثبت ذلك عدم موافقة الطائفة الدرزية لكثير من أفعال عزام عزام⁸ وعدم شيوع الزواج من غير

¹. ينظر: فريد، يרון، **ات، אני והשואה הבאה**، הארץ 2009-01-04.

². ينظر: روس، نوעה، **נסרין על חלב**، ידיעות אחרונות 2009-01-06.

³. ينظر: ألكיים، ليات، **מה הופך את "הישרדות vip" לסדרה הכי טובה בטלוויזיה**، הארץ 2012-07-19.

⁴. ينظر: זילברשטיין، יהודית، **עזאם עזאם שוחרר והתקשר לבנו: "אני אוהב אותך וחוזר מיד הביתה"**، מעריב 2004-12-5.

⁵. ينظر: יעקב، איתי، **הודא נקאש: "אני רוצה לעזוב ולמצוא מדינה הנכונה לי ולילדיי"**، xnet לאשה 2016-10-01.

⁶. ينظر: רודנצקי، אריק، **הערבים אזרחי ישראל בפתח המאה העשרים ואחת**، ע' 14.

⁷. ينظر: יעקב، איתי، **הודא נקאש: "אני רוצה לעזוב ולמצוא מדינה הנכונה לי ולילדיי"**، xnet לאשה 2016-10-01.

⁸. ينظر: <http://www.kolanas.co.il/full.php?id=3614#.WV4xroiGPIU>

<http://10tv.nana10.co.il/Article/?ArticleID=901282>

المسيحيين عند المسيحيين، وأما مسلمو الداخل فمع ندرة اشتراك العرب في مثل هذه البرامج فاشتراكهم أندر، وصحيح أن نسرين غندور مسلمة، لكنها اعترفت بمقابلات شخصية أنها أقرب لليهود من العرب، وأن أصدقاءها اليهود أكثر من أصدقائها العرب¹.

- **ثانيًا برنامج "الأخ الأكبر":** وهو برنامج واقعي، وفيه يتم اختيار مجموعة من الأشخاص ليقطنوا في منزل معين معزول عن العالم الخارجي قد بني خصيصًا للبرنامج، وتبث جميع تحركاتهم على الهواء مباشرة قرابة الثلاثة أشهر، فالمنزل مزود بكاميرات مراقبة تنقل تفاصيل حياة المشاركين، ويقوم الجمهور بالتصويت أسبوعيًا، والمشارك صاحب النسبة الأقل يستبعد من المنزل، ومن أهم قوانين البرنامج: الانعزال التام عن العالم الخارجي، وتنفيذ المهام والتحديات المقررة². أما المشتركون العرب فالمعادلة واضحة ولا تحتاج إلى متخصص في الرياضيات كي يكشف عدد المشتركين³، والمعادلة واضحة أيضًا فلا تحتاج إلى عالم اجتماع أو أخصائي نفسي كي يرسم معالم شخصيات المشتركين العرب. فأما العدد: ثمانية مواسم مقسمة على اثنين نتاجها أربعة عرب، ويمكن الادعاء أن المتقدمين أصلًا هم فئة قليلة، لكن الناتج هو نفسه، أربعة مشاركين يمثلون خمس السكان من وجهة نظر الإعلام العبري. والمشاركون هم: رنين بولوس، وفتنة جابر، وسليم مرعي، وتالين أبو حنا. وستحاول الدراسة وصف معالم شخصيات المشتركين خلال الوقوف على محطات رئيسة في حياتهم.

وأول المشتركين هي رنين بولوس وقد نشأت في واحة السلام وهي قرية مختلطة تركز على فكرة التعايش، وبعد خوضها تجربة برنامج "الأخ الأكبر" بسنة قامت بتوضيب حقائب السفر إلى لندن، وهناك أفضت عن مشاعرها تجاه التمييز العنصري في البرنامج، فتصف حياة لندن بأنها أكثر سهولة، ولا ينظر أحد إليها بعين الازدراء لكونها عربية، والتحدث باللغة العربية في شوارع لندن أمر عادي، ويختلف عنه في شوارع تل أبيب حيث العيون ترمقها وتحقرها، وقد صرحت في بداية البرنامج أن مشاركتها ما جاءت إلا لتغيير الصورة النمطية المنتشرة في أذهان اليهود عن العرب بعامّة وعن المرأة

¹. ينظر: <http://www.farfesh.com/Display.asp?catID=122&mainCatID=127&SID=57327>، نسرين غندور تكفل "فرفش" أسرار جزيرة العجائب، زكريا حسن.

². ينظر: http://www.mako.co.il/mako-vod-keshet/big_brother.

³. ينظر: ألفت، روجل، عربي אחד לעונה – וגם זה לא באמת, הארץ 2016-01-07.

العربية بخاصة، فاعتقادها هو أنهم ينظرون إلى المرأة العربية بأنها أقل ذكاء، وبدائية متخلفة، ولباسها لا يمت للموضة بأي صلة، وهي سعيدة لأنها كانت عكس هذا الوصف تمامًا، وتتحدث رنين بحرقة عندما تتذكر أيام الطفولة في واحة السلام، فهي لا تؤمن بالتعايش، وما يحصل في الحقيقة ما هو إلا تزيين وتجميل لواقع قبيح.¹

فشوارع تل أبيب تحتم عليها التصرف كمستضعفة، وتحتم عليها السكوت والرضى بما تقسمه لها، وذلك لربما يتعدى مساحة موقف سيارة في أفضل الحالات وبعض الخدمات الضرورية ليس إلا، فشوارع تل أبيب مكتظة كما هو معروف، ويرمقك أصحابها بنظرات تسلبك راحتك، ولا يلومها لائم إن هربت من الكاميرات الحية التي تراقبها وترمقها بازدياد، خاصة بعد التجربة المرة التي تذوقتها عند من يزعم أنه "الأخ الأكبر"، والسؤال الذي تحاول الدراسة أن تجيب عليه هو: هل فشل تجربتها في البرنامج هو الذي كشف لها الحقيقة البشعة، أم أن موقفها تجاه اليهود هو ردة فعل طبيعية وتبرير لأسباب الفشل المنعكس في إبعادها عن البيت المعزول؟ وتتضح الإجابة في مقابلة أجريت مع المشتركة رنين عندما كانت تتحضر لموسم التصوير، حين أفصحت عن اشتياقها لتجربة "الأخ الأكبر"، ولم تخف اشتياقها لأهل البيت المعزول²، ويطفو على السطح تساؤل عن ماهية هذا الاشتياق، لأن المنطق لا يقتضي أن يتلطف شخص لتجربة مُرّة مُرّة بعد مُرّة، بل من المنطق عدم تكرارها ونسيانها قدر الإمكان لا أن تعيد تجربتها وتحببها بعد مماتها، وعلى ما يبدو فإن تعافي رنين من صدمة الفشل أنستها التمييز العنصري والمرارة التي مرت بها، وعادت مرة أخرى لحالة الخدر عندما بدأت حملات التصوير، وكأنّ التمييز بين التمييز العنصري وعدمه يتعلق بالحالة النفسية عند الشخص، فإن حصل على ما يريد وكسب الرهان فيقل الشعور بالتمييز العنصري ويهمش، وإلا فلا، بل يظهر ويزيد لهيبه، وكأنّ العلاقة بين حرارة هذا اللهب ودرجة إيلامه وبين المكاسب الشخصية هي علاقة عكسية، فكلما زادت المكاسب خف الوجع، وكلما قلت الفوائد زادت حرقة اللهب.

¹. ينظر: باالينس، لانت، رنين بولوس، مبوغرت "האח הגדול" עוזבת ללנדון. וזה הזמן לדבר על גזענות, הארץ 12-2009.

². ينظر: شوشون، סימה، רنين מ"האח הגדול" עושה פוזות, לאשה מגזין 01-03-2009.

وينبه لذلك فراس خوري الفائز في برنامج "مشروع واي" السابق لبرنامج "الأخ الأكبر" والمشابه له إلى حد كبير، ويبرر فوزه بأنه كان "العربي الجيد" الذي يتصرف وفق المعايير التي يتوقعها منه المحتل، ويبرر تواجد المشتركين العرب في مثل هذه البرامج بأنهم "العرب الجيدون"، ف"العربي الجيد" هو ذاك المطيع الذي يأخذ ما يعرض عليه، ولا يطلب بل يشكر. ويظهر فراس ندمه، فصغر سنه كان سببا رئيسًا لعدم وعيه، وأما عدم فهم الواقع في سنوات الصبا والحداثة بات مفهومًا له أيام الشباب، فالعربي الفائز في تلك البرامج هو من يُشعر المحتل بشعور الرضى¹.

تكاد مواقف المشتركين أن تكون متشابهة، وكلها تسبح في فلك واحد معلوم المدارات، فقد انتقضت فتنة جابر خريجة "الأخ الأكبر" من سباتها حين عادت من رحلة سفر، فقد أذلتها شركة الطيران الإسرائيلية "إل-عال" ونالوا من كرامتها وكرامة عائلتها، لأنها عربية، فكان شعورها شعور المرأة المغتصبة، ومطلبها لا يتعدى أن تفتش كما يفتش أي مواطن يهودي². فقد كانت "العربية الجيدة" في برنامج "الأخ الأكبر" تؤمن بفكرة التعايش وقد نجحت في كسب ثقة الجمهور ونجحت كذلك في كسر الصورة النمطية للشخصية العربية كما تزعم، وأثبتت أن لا قرون للعرب بل هم من جنس البشر³. وعلى ما يبدو أن فتنة أخطأت التقدير حين ظنت أنها غيرت الصورة النمطية باشتراكها في البرنامج، فالعربي مهما كان جيدًا ومشهورًا إلا أنه سيظل بالنسبة لليهود مصدر تهديد لأمنهم، فما هو إلا جندي على رقعة شطرنج يقرر قوانينها ابن العم المحتل. وأما سليم مرعي المولود في قرية عارة والقاطن في العشرين سنة الأخيرة في مدينة تل أبيب⁴ فيظن أن سبب خروجه من البيت المعزول هو المشاحنة الكلامية مع مقيم يهودي والتي أدت إلى قلة الأصوات⁵، وهذا الظن يبطله بكاء سليم أمام كاميرات البيت المعزول وسبب بكائه هو التعامل العنصري من قبل بعض المقيمين، ويحاول بعضهم التخفيف عنه ويتعاطفون معه، فمرّد هذه المعاملة عندهم سببها سليم الإنسان

1. ينظر: שטרן, איתי, "רוב המזרחים הם גם קורבן של הציונות", הארץ 05-12-2016.

2. ينظر: גוטמן, גלית, ולימור, יואב, מותנה ג'אבר נגד אל-על: "הושפתי עם משפחתי בגלל שאנחנו ערבים", הבוקר של קשת 01-02-2015.

3. ينظر: שטרסלר, נחמיה, טלוויזיה | גמר האח הגדול – שובר הסטיגמות הגדול, הארץ 27-03-2011.

4. ينظر: פרחי, גיא, מגזין mako, 16-12-2015.

5. ينظر: לוין, מיקי, סלים مرعي שהודח מ"האח הגדול" מסביר: זו הטעות הגדולה שעשיתי, מעריב online 11-01-2016.

وليس سليم العربي¹، ولربما صدقوا في تفسير هذه الظاهرة، فصار العربي يشعر بالنقص، وكاد المريب أن يقول خذوني، فما إن رمقه أحد المارة في شوارع تل أبيب أو شوارع هرتسليا إلا وصار عرقه يتصبب خوفاً وحرماً وشكاً، وأول تفسير يطفو على سطح تفكيره هو أن تلك النظرات لم تكن إن لم يكن عربياً.

وأما الشخصية التالية المشتركة في البرنامج في الموسم الثامن، فهي تالين أبو حنا، وحقيقة هي شخصية محيرة، ليس فقط لأنها تقطن في تل أبيب²، فمعظم الشخصيات العربية المشتركة في البرنامج عاشت مدة كافية لتترك أثرها عليهم، ولكن المحير عند تالين أنها مرت بمفترق طرق غير حياتها كلياً، فقد أجرت عملية تحويل جنسي، فبعد أن كانت هو صارت هي، والأكثر غرابة أنها اختيرت لتكون ملكة جمال المتحولين جنسياً في إسرائيل، والتي أقيمت لأول مرة سنة 2016³، وكل حوار يتصل بها لا يتجاوز هذا المفترق، وبات خوفها يتلخص في مقابلة شخص ينتمي إلى دين معين⁴، وكأنها تعترف بخطأ جسيم، وتقف على طرف نقيض لكل الديانات السماوية.

- **ثالثاً برنامج "البلاد الرائعة"**: وهو برنامج كوميدي ساخر، يقوم فيه مقدمو البرنامج بمحاكاة ساخرة لما يحدث في الحياة اليومية، مع تسليط الضوء على السياسيين وأخبارهم⁵، ولا يفرق البرنامج بين عربي ويهودي، ولا بين رئيس ووزير، فيقوم بنقد الواقع بطريقة تهكمية تثير الضحك. وعن حضور الشخصية العربية فيه، حيث أبرز إحدى مقدمات البرنامج بتقمص دور امرأة عربية صيدلانية تعمل في مجمع تجاري بمدينة يهودية، وعبر سلسلة من الحلقات تتطور علاقة غرامية بين سلمى الصيدلانية وبين يهودي يعمل في المجمع. والفكرة التي يحاول البرنامج نقلها للجمهور خلال هذه الفقرة تدور حول العلاقة المحرمة بين العربية واليهودي⁶، فيحاول كسر الحاجز الديني، فيعرض شخصية سلمى المسلمة

¹. ينظر: אלפר, רוגל, ערבי אחד לעונה – וגם זה לא באמת, הארץ 2016-01-07.

². وأصلها من مدينة الناصرة.

³. ينظر: תאלין אבו חנא נבחרה למלכת היופי הטרוסג'נדרית הראשונה בישראל, הארץ 2016-05-27.

⁴. ينظر: <http://www.mako.co.il/tv-bigbrother/season8-season8-news/Article-0f7e1e691d21951006.htm>

⁵. ينظر: <http://www.mako.co.il/tv-erez-nehederet> , <http://www.imdb.com/title/tt0385411>

⁶. ينظر: סוקר, נתני, "לארץ נהדרת יש אג'נדה ברורה. השארנו את יוקר המחיה על סדר היום", הארץ the marker 2015-03-17.

التي تضع الحجاب على رأسها بصورة امرأة مثقفة منخرطة بسوق العمل، وهذا الحجاب لا يمنعها من ممارسة حياتها الطبيعية، ثم يتدرج الأمر ليتغلغل البرنامج إلى مكوناتها العاطفية، وكأنه يملك تصورًا عن خبايا شخصية المرأة العربية. ومن أشهر مقاطع البرنامج التي يبرز حضور الشخصية العربية فيها أيضًا، المحاكاة الساخرة للهجة المعلمة جهان جابر من الطيبة، وجهان معلمة اللغة العبرية تستخدم الطلبة في حصصها وتقوم بتعليم الأطفال بعض القصائد على أنغامها، فقامت بنشر مقطع مصور على مواقع التواصل الاجتماعي¹، فحاكاه البرنامج ونال من لهجتها. وفي جريدة "هآرتس" أبدت صحفية استياءها من تهكم البرنامج وسخريته، وكيف أنه يبرمج الأذهان لتصور المرأة العربية بالضبط كالصورة النمطية المعتادة، كامرأة مخيفة حاقدة تتلثم حين تنطق العبرية، وإن نطقها بإحكام فيكون الرد العنصري جاهزًا والذي يتمثل في: لا يبدو عليك أنك عربية.²

- رابعًا برنامج "ظهر الأمة": لا يختلف هذا البرنامج عن سابقه، ويعد منافسًا له، غير أنه يتمحور حول الأحداث السياسية الأسبوعية، ويقوم بعرضها ونقدها بطريقة ساخرة، يتبنى البرنامج الفكر العلماني الملحد، فيستهزئ بالدين والمسلمات³، وشعار البرنامج محكم التصميم ولافت للنظر، وهو عبارة عن أرض إسرائيل في مركز الكرة الأرضية، وهي اليابسة الوحيدة فيه، وتحيط بها المياه من كل جانب، فكأن سكان هذه اليابسة هم نخبة البشر التي تستحق الحياة، وأخبارهم هي أهم الأخبار، فهم مركز العالم والعالم ملك لهم، وأرضهم هي الأرض.

ويحاول البرنامج نشر آرائه وأفكاره عن طريق الكوميديا ففي معظم حلقات البرنامج يسخر من الدين، وقد خصص حلقة يستهزئ فيها من نظام التعليم ومن الكتب المدرسية وكيف استحوذت عليها التوراة⁴، وفيما يتعلق بحضور الشخصية العربية فقد استضاف البرنامج بعض أعضاء الكنيست العرب، وأبت العضوة حنين زعبي تلبية الدعوة، وبناء على رفضها خصص البرنامج لها فقرة انتقام تحت عنوان "التوسل لحنين" ينتقدها لانضمامها لركب مرمرة، ولأنها تحتفل مع رجال من حركة حماس، ويعلق مقدم البرنامج (ليئور

¹. ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=MswH_GX5xow.

². ينظر: ملמד, אריאנה, גשם גשם מיטפוף – יא, ערבניה, איזה צחוקים!, 01-03-2017.

³. ينظر: https://www.facebook.com/pg/gavhauma/about/?ref=page_internal.

⁴. ينظر: <https://www.youtube.com/watch?v=de7BZkuMldk>.

شلاين) على حنين فيقول: إنه ليس من المفروض التصرف هكذا، فهي امرأة مثقفة تحمل ألقابًا جامعية، وعمها كان قاضيًا في المحكمة العليا، وهي تعرف حق المعرفة أن إسرائيل هي المكان الأمثل في الشرق الأوسط لامرأة مسلمة، فإنها لن تحمل لقبًا جامعيًا في مكان آخر، ولن تستطيع أن تعبر عن رأيها، بل ولن تميزوا شكلها لأنه لن يظهر منه إلا العينان، وإن اضطرت للهرب لدولة عربية فالطريقة الوحيدة أمامها هي أن يتزوجها شيخ وتكون له الزوجة الرابعة، ولن يقضي الليل عندها، بل سيقضي ليلته عند زوجته الثالثة ويتركها وحيدة في المطبخ تنقب البرغل، فلماذا إذا تحتفل مع المخربين، ولماذا تحرض ضد دولة إسرائيل مع أنها عضوة في برلمانها؟ لأنها لا تعرف إلى أين ستؤول الأحوال، فإن خسرت إسرائيل الحرب فستذهب لأصحابها المخربين، وإن فازت إسرائيل فستذهب مع أصحابها اليساريين، ولأجل هذا لم ندعها للأستوديو، لأن مكياجها تكلفته مضاعفة، فحنين لها وجهان¹. والمتمعن في أقوال (ليور شلاين) يرى اللوحة المرسومة لصورة العربي، بل ويقراً كتابًا عنها، فوصفه لم يكن ليمس حنين وحدها، ولا يقتصر أيضًا على المرأة العربية فقط، بل إن وصفه يمس كل عربي، ووصفه هذا يعبر عن الصورة النمطية المتمثلة في أذهانهم. ففي البداية وصفها بأنها مثقفة فلا يجب التصرف هكذا، فمن يتصرف مثلها فما هو إلا جاهل، أما عمها فقد كان قاضيًا، فهي من نسل "العربي الجيد" وكأن عمها مقرب للدولة وموال لها فهكذا يجب أن تكون، وأما عن الحياة الأكاديمية فيتصورون أن العرب تمنع نساءهم عنها، ويخضعونهن للباس الشرع ويجبرونهن، فهم مسيطرون جبابرة، ثم ينال (شلاين) من الدين فيسخر من الأربع زوجات، ومن عدم عدل الشيخ، ويهمش دور المرأة ويعزلها في المطبخ، ويتهمها بالخيانة. فلم يبق (شلاين) جانبًا إلا ولأمسه، وأضحى وصفه صورة اجتماعية ثقافية سياسية تزرع وتبث عبر شاشات التلفاز.

¹. ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=it2ml3N_NMg.

الفصل الثّاني: الملامح الخارجيّة والأبعاد الثقافيّة والاجتماعيّة

- الوصف الخارجيّ واللون

- الطّعام والشراب

- اللباس

- العادات والتقاليد

- الأخلاق والصفات

- الفكر والثقافة

- الدين

- صورة المقاوم العربي

- صورة المطبّع العربي

إن حالة الصراع الإسرائيلي-ال فلسطيني قد دعت كلاً من الطرفين للنظر إلى الآخر عبر عدسة مكبرة قد سلّطت على البقع السوداء لكل منهما، فضخمتها بأعين كلّ منهما، فصارت الرؤية سوداوية مشوّهة، فجنّد الأدب للغايات السياسية العسكرية، فابتعدت الصورة عن الحقيقة والواقع، وصار الأدب غير موضوعي.

ومن الأهمية بمكان أن تقف الدراسة على المظهر الخارجي لصورة العربي المرئي أو المتخيل في ذهن الروائي اليهودي الإسرائيلي، وتكمن أهمية المظهر الخارجي في التقاط الصورة الأولى وإدراكها بالحواس ومعالجتها ذهنياً ومن ثم مقارنتها بسابقاتها من الصور العالقة والمنحوتة في الذاكرة، وهذه الصورة العالقة تصدقها الحواس أو تكذبها مع اللقاء الأول، وذلك يتعلق بمصادرها المقروءة أو المسموعة أو كليهما.

- الوصف الخارجي واللون:

يقوم الروائي (إيلي عمير) في روايته "ياسمين" بمقارنة بين ندين من طرفين: ناصر من جهة، و(إشكول) من جهة أخرى، وينطق شخصية الجندي (أبوللو) الذي يبدي إعجابه بناصر، فيقول:¹ "انظر إلى ناصر، حسن المظهر، وطويل القامة، وقوي البنية، وكارزمتي، وخطيب، ومن يقابله؟ (إشكول)! الهرم، والسمين، والأصلع، يضع قبعة سوداء على رأسه كرجيف الخبز، وحزامه شق طريقه إلى صدره، وإضافة لكل هذا، فهو لا يجيد الكلام".

فبدل أن يمجد الجنديّ قائده، وهو في أمس الحاجة إليه في لحظات عسيرة، فهم يخوضون حرباً مع عدو يحيط بهم من كل ناحية، تراه يطلق أحكاماً في حق قائده مبنية على مظهره، وكأن طول القائد وقصره وجماله وقبحه عوامل رئيسة في كسب الحروب، أو يريد أن يلوم أحداً للوضع القائم فاختر الأبعث والأقصر.

وحين يلتقي (نوري) بياسمين، يتذكر الصورة المعلقة على الحائط، صورة فتاة جميلة عيناها مشرقتان²، ويرى غيمة حزن تجول وتسبح في عيونها، حين جلست كان ظهرها مشدوداً، وكتفاها بارزين كحارسين، وعيناها زرقاوين كخليج جزيرة في حلم³، فيصفها نوري وصفاً ضبابياً، ويخجل من التعمق؛ ولأنه من أصل عراقي وعلى

¹. ص 33 بتصرف.

². ينظر: لامير، ألي، يسمين، لا' 96.

³. ينظر: المرجع نفسه، ص 149.

دراية بعبادات العرب وتقاليدهم فيبدي احترامًا وحشمة، فلا يحاول اختلاس النظر، وزيادة على ذلك فإن أباهما يجاورها، وتراه يولي العيون الزرقاء أهمية بالغة، فاللون الفاتح يعكس الثقة والبراءة والشباب¹ فيقرنها مرة بالسماء وغيومها، ومرة بالأرض ويابستها، و"للألوان القدرة على إحداث تأثيرات نفسية على الإنسان، فإن لديها القدرة على الكشف عن شخصية الإنسان"²، فيُعجب (نوري) بياسمين، ويعطي نفسه بصيص أمل في التحليق بهذه السماء، والتمتع على يابسة هذه الجزيرة، وبصيص الأمل هذا هو الحزن، فيجعل منه بابًا هو أهل لإغلاقه.

وعندما يتمكن (نوري) في جلسته مع ياسمين وأبيها في المطعم، يسمح لنفسه التدقيق في شفيتها بحجة أنها تناولت سيجارة لتشعلها فشفتها ممتلئتان مغلقتان بإحكام³ فكأنه يمهد بهذا الوصف ذي الإيماءات الجنسية لعلاقة محرمة ستقع فيما بعد، ويبرمج عقل المتلقي لاستقبال هذه العلاقة وإدراكها، بل وحتى الموافقة عليها، ولكن يجب على (نوري) الحذر وإتقان الدور كي لا تضيع الفرصة من بين يديه، فهو يعرف أن ياسمين متشددة تكره اليهود، فقد أهانتها في أكثر من موقف بما يتعلق بالصراع القائم بين الاحتلال وفلسطين، ومن هذه المواقف حين جلسوا في المطعم واتهمته بإلقاء القبض على الأبرياء تعليقًا لما قرأت بصحيفة القدس⁴. وقد نجح (إيلي عمير) في إبراز هذا التشدد في لقاء المطعم، فقد صب تركيزه على رجل ياسمين اليمنى التي تتمرّج⁵، وكأن هزاتها هذه تنطق بالتطرف اليميني.

وتقترب هذه العلاقة المحرمة من النضوج عندما يحصل اللقاء اللافت للنظر في مكتب (نوري) الحكومي، عندما تفاجئه السكرتيرة بخبر قدوم ياسمين فيطلب من السكرتيرة دقيقتين لتحضير نفسه، فيدخل الحمام، ويقف أمام المرآة يصلح شعره وياقته، ولا ينسى التطيب فيشتعل وجهه، ويتساءل عن سبب الزيارة فقد نذرت أن لا تدخل مكتب المحتل، وعندما يخرج يراها تغطي وجهها بنظارتها الشمسية السوداء، وتغطي شعرها بوشاح، وبعد أن يدخل المكتب ويغلق الباب، تشعل سيجارة وتلتفت حولها ثم تقوم بخلع نظارتها، فيبادر بالكلام ويخبرها

1. ينظر: عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، ص 228.

2. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3. ينظر: لامير، ألي، 150.

4. ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5. ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بارتياحه لرؤيتها إذ شغفت قلبه حباً، وبعدها يسكت لبرهة ثم يسألها عن أطروحتها، فتد: أن ليس بعد. ويتبادلان الحديث حول صديقتها من مرحلة الطفولة (عدناه موزورسكي) وحول مقتل زوجها في القدس، فتتفاجأ ياسمين وتبدي استياء، وتشعر بعد ذلك بالحر، فتخلع الوشاح والسترة، وتبقى بقميص قصير أقحواني اللون يظهر رقبتها، وتهز رأسها وتمشط شعرها بأصابعها، فيهتز صدرها مع حركة ذراعيها، فيغلي دم (نوري)، ويود لو يجلس بجانبها ويلتصق بها، ويضمها ويلطفها ويذوب فيها، فتناول سيجارة من سجائرها الدقيقة وأشعلها وامتصها بشراهة وأبعد ناظريه عنها حتى لا تظن بأن نفسه توسوس له.¹

ففي هذا المشهد المخل بالأخلاق، مشهد الغزل الإباحي، الذي يكشف الغريزة الداخلية الحيوانية عند (نوري) استطاع الأديب (إيلي عمير) أن ينصب شركاً لياسمين لتقع فيه، فقد استدرجها عبر الأحداث المحبوكة حبكاً محكماً إلى الدخول لمكتب (نوري) مستجدة، وقد أخفت ملامح وجهها بنظارة مظلمة تغطي وجهها، وبوشاح يكسو شعرها، فلا تود أن يراها أحد في مكاتب حكومة الاحتلال، ولما دخلت المكتب وبعد أن اطمانت وشعرت بالأمان، صارت تخلع جزءاً جزءاً، وصارت تخلع مع كل جزء شيئاً من عفتها، فأولاً النظارة لتكشف وجهها لـ(نوري)، ومن ثم الوشاح لتغريه بشعرها، ومن ثم السترة لتباغته بجسدها، وينتهي بها الأمر بقميص أقحواني اللون، فلا يبالي (إيلي عمير) ولكنه يصبغ القميص بلون الجلد، ليكون مبرراً لغريزة (نوري) وشهوته، وبهذا اللباس وبهذه التصرفات يبرئ الراوي بطله (نوري) ويظهره كمظهر الضحية التي نُصب لها كمين، حباله جسد فتان يتمايل كغصن البان. وأما ياسمين فتظهر هنا مظهر المحتاج الذي يأتي ليعرض ما بحوزته للعدو مقابل خدمة يتلقاها، وهذا العدو هو صاحب النفوذ، هو الأمر النهائي، وليس أحد سواه يستطيع مساعدتها، فأخفت ملامحها خجلاً في طريقها إليه كما يفعل المستجدي.

ومع تقليب صفحات الرواية تتزايد وتيرة لقاءات (نوري) وياسمين، حتى يصل بها الأمر إلى أن تقول له في أحدها: سأحضنك هنا، أمام كل المشاهير، ليعرفوا أن لك صديقة عربية، فيرد عليها: أنت مخطئة، يا عزيزتي، فمع لكنتك الإنجليزية ومع لون عينيك، سيتأكد جميعهم أنك يهودية ومهاجرة جديدة، بل وبعضهم يحسني لجمالك، وآخرون يحسدونك بسبب الحقوق المتاحة للمهاجرين الجدد، لو تهودت وتزوجتني سنحصل من البنك

¹. ينظر: لامير، ألي، ١٥٥١٦، لا' 307-305.

على قرص ضخّم نشترى به أدوات كهربائية وسيارة دون أن ندفع الضرائب¹، يظن (عمير) بأن هذا الزواج سيحلّ ويخفف من وطأة الصراع الإسرائيلي-ال فلسطيني، وكأنه يتبنى آراء من سبقوه من الأدباء أمثال (أ.ب. يهوشوع) في روايته "العاشق"²، والحقيقة أنّ هذا الأمر لا يبدو منطقيًا؛ لأن الزواج أصلًا مبنيّ على تنازل طرف من الأطراف عن دينه وأصله، واندماجه بدين وأصل الآخر، وليس مبنيًا على تقبل الآخر. ويظهر من طرح الزواج هذا، اعتراف صريح من (نوري) بأن المظهر الخارجي لياسمين لا يمت بصلة للمظهر العربي، وكأن لسان حاله ينطق بأن العيون الزرقاء والجمال بعيدان كل البعد عن شكل العربي ولونه، فالعربي صاحب بشرة سمراء مغايرة لما يرى (نوري) في ياسمين، والعربي عيونه داكنة كذلك، فالاستنتاج واضح عنده وهو أن ياسمين ليست عربية، أو قل إنها عربية مغلّفة بقشرة أجنبية، ولن يشعر بالخل أو العار لرفقتها، بل الارتياح كل الارتياح مادامت لا تفصح عن عروبتها، وكذلك فعلت ولم تفصح حين تنازلت عن لغتها مع أن (نوري) يتقنها، وتستر كما تسترت من قبل، ويتجرأ (نوري) فيتمنى أن لو تتهود ليتزوجها، ومن عادة المحب أن يتبع دين محبوبه إلا أنه يعرض عليها التهود بصورة مباشرة ويريد أن يغيّر دينها وتتضم إلى دينه وحضارته الراقية، فاليهود هم الضوء الذي يستنير به من دونهم من البشر، ويجعل من تهودها شرطًا ضروريًا لتحقيق الزواج، وكل شيء على أتم جاهزية وتدبير، فهذه الدولة توسّع لهما المعيشة بما تبرع به من معاملات ربوية، فتغدق عليهما القروض الربوية. وزواج اليهودي من عربية هو أمر غير مألوف وغير مقبول في الوسط اليهودي، فالأبحاث الميدانية تظهر أن اليهود يرفضون الزواج من عربيات، ففي بحث نشر سنة 2016 يظهر بوضوح أن الغالبية العظمى من اليهود ومن العرب على حدّ السواء، وينسب متشابهة، لا يرضون الزواج من بعضهم بعضًا³.

كما ويبرز (إيلي عمير) المظهر الخارجي للعربي في الصورة المعلقة على الحائط أثناء زيارة (نوري) أقرباء غدير في إجراءات لم الشمل، فيكون تركيز (نوري) في شنب هذا الرجل النحيف، ويتكرر المشهد ساعة دخول الابن كريم الذي يطابق شنبه شنب الرجل في الصورة، وأما وجه كريم فجلبّ للمصائب كئيب، وأنفه

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 346.

². ينظر: رايوخ، جيلا رامراز، العربي في الأدب الإسرائيلي، ترجمة-نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح محمد فايق، ص 186.

³. ينظر: הרמן, תמר, מדד הדמוקרטיה הישראלית 2016, ע' 151.

مدبب معقوف، يحدق بغدير ولا يرمش له طرف¹، ويُرى هنا انعكاس مظهر العربي وشكله من مخيلة الراوي، فيصور جيلين دفعة واحدة ويكسوهما بشنب مماثل فقط، فهذا ما تورثه الأجيال، وأما الجيل الأول فنحيف ضعيف، وما هو إلا صورة معلقة على الحائط لا تملك من الأمر شيئاً، فقد سُلبت أرضها، وبقيت ذكرى أكل عليها الدهر وشرب، وأما الجيل الثاني فهو جيل نازي معقوف الأنف كما الصليب، وجهه كئيب لا ينبئ بخير، نظراته غير مريحة تجاه غدير، رغم أنها قريبتها، ورغم أنها متزوجة، شكله ونظراته مريبة، تنفّر المتلقي المتعاطف مع قضية غدير التي يسعى (نوري) لحلها، فتتعاكس في هذا المشهد معاناة المرأة العربية مع الشخصية المتوحشة التي يجب عليها التكيّف معها. وقد ظهر الرجل العربي المتوحش مراراً في الرواية الإسرائيلية²، ولا سيّما الأنف المعقوف فكذلك تصف (ليئات) أنف حلمي بأنه كبير ومعقوف³. والوجه الشرقي على حد وصف (ليئات) يعكس تهديداً لمن حوله⁴.

ويظهر الشنب كذلك عند (كابي) عندما يوكل في مهمة سرية على حدود العراق، فيتحسس شنبه الذي بدأ بإطلاقه من أجل المهمة⁵ ليتغلغل بين العرب متخفياً، فتبدو صورة العربي في ذهن الروائي الإسرائيلي كالصورة المعلقة على الحائط من ذي قبل، صورة شنب يعلوه وجهه، فالشنب هو الحمض النووي للوجه العربي، فيتحسس (كابي) شنبه ويشعر بهذا الفارق البسيط الذي يحوله من يهودي إلى عربي، فهل يعقل أن تصل سذاجة العرب إلى هذا الحد؟ وهل يعقل أن تتطلي عليهم هذه الحيلة السطحية؟ أم أن الراوي يقلل من فهمهم وذكائهم إلى هذا الحد.

وأما غدير هذه فهي امرأة ساذجة تطفو على سطح ذاكرة (نوري) وهو في طريقه إلى مكتبه في الشيخ جراح، يتساءل ماذا جرى لها، وهل تتذكره؟ فتأخذه الذاكرة إلى ذلك المكان عندما كان يحرس الحدود الشرقية في القدس، وإذ بالراعية تطل عليه مع قطيعها مع بزوغ الأشعة الأولى للفجر، مشيتها مرنة كمشية المهر البري،

1. ينظر: יסמין, لا' 265-264.

2. ينظر: صميدة، محمود علي، الشخصية الفلسطينية في القصة العبرية القصيرة، ص 96-97.

3. ينظر: רביניאן, דורית, גדר חיה, لا' 22.

4. ينظر: المصدر نفسه، ص 23.

5. ينظر: למיר, אלי, יסמין, لا' 170.

غامضة وكأنها تخفي سرًا ما، ساحرة، وجهها قمحي، ويعلو خدها شامة، وعندما وصلتته رمقته بنظرة مريبة، وفي اليوم التالي، وفي الوقت نفسه، أتته محملة بالبصل الأخضر وبالنعنع والبقدونس وبعض الخضار، وقالت له مبتسمة: من أجلكم. وفي اليوم الثالث، بادرها (نوري) تحية الصباح باللغة العربية، فردت التحية مستغربة إتقانه اللغة العربية، فأجابها أنه ابن عرب بغدادي الأصل، فسألته غدير إن كان جاسوسًا بين اليهود وقد همت بالرحيل، فرد (نوري) وأخبرها بأنه يهودي ولد ببغداد واسمه (نوري)، وهكذا كان يقابلها مرتين كل يوم، وقت الشروق ووقت الغروب¹. فالأدب العبري يظهر العربي إنسانًا متخلفًا لا يعرف كيف يتصرف، وأنه بعيد عن النظافة والتحضّر² ويبدو من هذا المشهد أن غدير هي المبادرة في علاقتها مع (نوري) وكأنه يحاول أن يتملص من أمرين، الأول: إن كشفت عائلته ومن يحيط به من أصحاب علاقته مع المرأة العربية فيبرر ذلك بأن يلقي اللوم عليها، وما هي إلا علاقة عابرة يتسلى بها في هذا المكان المؤقت، والأمر الآخر: إن كشفت عائلتها هذه العلاقة، فهو لم يكسر عادات وتقاليد عائلتها وإنما هي التي فعلت، فهو رجل متحضر من بغداد يحترم عادات وتقاليد غيره. واللافت للنظر أيضًا أن (نوري) في كل علاقاته يكون الطرف المحبوب، وكلهن يتقربن منه ويتوددن إليه، وكأن المؤلف يريد أن يوصل رسالة خفية عن الطابع العام للمرأة العربية التي ترى اليهودي إنسانًا مثاليًا، وليس هذا أمرًا جديدًا فقد ظهر عند (موشيه سميلانسكي) في قصة "لطيفة"³، فاليهودي صاحب الحضارة الراقية التي يود العربي أن يعيش في ظلها. فيحاول الروائي نقل هذه الصورة أن اليهودي ضروري للتقدم المكان وازدهاره، ويستغرب من رفض العرب السذج لهذه الفكرة، فالكتّاب العبريون "يريدون أن يقولوا إن العرب لا يعرفون صالح أنفسهم فيتمسكون بمنطق أعوج. فمجيء اليهود إلى الصحراء سيجعلها جنّات خضر تشعّ بالأنوار في كلّ زاوية من زواياها"⁴.

وبعد تسع سنوات يلتقي (نوري) بغدير مرة أخرى وتأتي لزيارته في مكتبه تحمل سلة، جاءت لتقص عليه مشكلتها راجية منه المساعدة، وينظر إليها فيرى امرأة ناضجة أجمل من ذي قبل، يمتلكه حب الاستطلاع

¹. ينظر: لامير، آلي، יסמיך, لا' 175-174.

². مزعل، غانم، الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، ص 150

³. ينظر: رايوخ، جيلا رامراز، العربي في الأدب الإسرائيلي، ترجمة- نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح محمد فايق،

ص 41-43؛ نشرت قصة لطيفة عام 1906.

⁴. مزعل، غانم، الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، ص 186.

والفضول لسماع مشكلتها¹. ويُلاحظ كما في المرات السابقة احتياج العربي لليهودي، ومبادرته للتزلف إلى أعتاب مكاتبهم، فالعربي يتقرب من اليهودي، ويتملق طمعًا وحاجة إليه، ويأتيه متذللًا يحمل له الهدايا المزجاة الرديئة، فمرة حملت غدير البصل الأخضر ومرة خبزًا، فمن سذاجتها تأتي بالقليل التافه لتقدمه بين يدي (نوري)، وفي ذلك من المبالغة ما فيه، رجل مثل (نوري) يشغل منصبًا مهمًا في مكاتب الحكومة فهو ممثل الدولة في القدس الشرقية، فهل يملك الوقت الكافي ليقابل راعية عرفها منذ عقد من الزمان؟

وفي الحديث عن غدير يجدر ذكر زوجها عصام الذي زوّجها إياه أبوها إكراهًا، فتصفه بأنه إنسان مالح، ليس فيه مثقال ذرة من سكر²، فيجعل الراوي هذه الاعترافات على لسانٍ عربيٍّ مبين، فمن يصفه بهذا الوصف؟ زوجته غدير، ولمن تشكو وتبث أمرها؟ ل(نوري) اليهودي، وهذه خيانة خسنة مبطنة بريش ناعم، فيظهرها الراوي مظهر الضحية التي تصرخ وتستجد، ويخلق ل(نوري) الجو المناسب لخدمتها، فهو صاحب مكانة ونفوذ. فيتعاطف المتلقي مع ملف قضية غدير، ولربما يكمن السرّ في جمالها، فلو كانت قبيحة متجهمّة لما نالت ذلك التعاطف والاهتمام بل يقال: "وافق شنّ طبقه"³ ولكن الحال هنا شاذة، وقد اجتمع الضدان، مما يثير العجب ويدعو إليه.

ويبدو أن الروائي اليهودي الإسرائيلي يعتني بوصف المرأة العربية أكثر من اعتناؤه بوصف الرجل العربي، فتراه يوليها اهتمامًا بالغًا كأنه يريد تحريرها من سجون العادات والتقاليد والدين، من سجن سلطة الرجل المالح، ومعظم الرجال العرب يعدون في روايته أصحاب فكر متخلف مظلم عقيم، تجتمع معهم الشخصية اليهودية على موائد الطعام والشراب كي تحاول إقناعها بفكر حضاري مشرق من وجهة نظرها، وستعرض الدراسة فيما يلي بعض المشاهد والنقاشات التي تدور حول مائدة الطعام بين العرب أنفسهم وبين الشخصية اليهودية.

¹. ينظر: لامير، ألي، يسميم، لا' 240.

². ينظر: لامير، ألي، يسميم، لا' 241.

³. العسكري، جمهرة الأمثال، ج 2 ص 266.

- الطعام والشراب:

تعدّ القهوة مركّباً أساسياً من مشروبات البيت العربي، ولها مكانة مرموقة في المراسم والمناسبات، وعادة ما تبدأ فيها الاجتماعات، ويقرر مدى أهمية الاجتماع بحسب نوعها، فالقهوة الفاخرة تكون للاجتماعات المهمة، ولا تقتصر على البيت العربي فحسب، ففي بيت (نوري) العراقي، أول شيء تعرضه الأم فنجان قهوة مع الهال عندما عاد سالمًا من الحرب¹، فالترحاب بعودته سالمًا مقرون بفنجان قهوة لم يتذوق مثله منذ مدة. وأما الأب فبعد أن يجتمع بابنيه العائدين من الحرب، يعرض عليهم فنجانا من القهوة، فتلتقي نظرات (نوري) مع نظرات أخيه (كاببي) فيبتسمان ويعرفان أن هناك حديثاً مهماً سيرافق هذه الدعوة، ويفتخر (نوري) بقهوة أبيه التي تضاهي قهوة البدو، التي تعيدك للحياة بعد رشفتين أو ثلاثة، ويأتي أبوه بالقهوة وقد قسم الرغوة بينهم بالتساوي، ثم يفتتح الاجتماع بسؤالٍ موجه لـ(نوري) عن وظيفته، ونصه: ماذا ستفعل بهذه الوظيفة؟ ويحوّل الأب نظره إلى (كاببي) ويذكره بعمه المسجون في بغداد، وبالأحاديث التي دارت وقتها بينهما عندما كان (نوري) صغيراً، فيتذكر (كاببي) ذلك الحديث كما لو أنه كان البارحة، وكيف أنه سيعامل العرب في إسرائيل كالمعاملة التي ودّ الحصول عليها من عرب بغداد². وكان فنجان القهوة هذا شكلاً حبلًا متيناً يربط الماضي بالحاضر، ويقرب أحداث التاريخ ويطويها، فيقوم الأب بجزّ أحداثٍ من الماضي البعيد بفنجان قهوة مع ابنه، ويذكرهما بأخيه المسجون في العراق، وبقبح معاملة العرب له، وكيف أنه لو كان مكانهم ما كان فاعلاً فعلتهم، وإن حصل وهاجر إلى إسرائيل فلن يعامل العرب مثلما عاملوه في بغداد، فيمهدّ مذ ذلك الوقت لابنيه أن الكفة الراجحة والغلبة لهم في إسرائيل، ويحث على الهجرة ويروج لها.

أما الفنجان التالي فكان بحضرة ياسمين وأبيها، في اجتماع مع (نوري) لتوظيف ياسمين في القرية الشبابية، فيأتي النادل بعصير الليمون لياسمين، وفنجاني قهوة سادة لـ(نوري) ولأبي جورج، ويسكن الجوّ ويتجمد، فيرتشف أبو جورج من قهوته وينتهي منها فيقلب الفنجان وينتظر برهة حتى تتخثر القهوة فيه، ويناوله لـ(نوري)، فيشدّ ذلك انتباه ياسمين وتساءله هل تقرأ الفنجان؟ فيقول لها: ليتني أستطيع³. فيلاحظ ابتعاد ياسمين وتركها الاجتماع

¹. ينظر: لامير، ألي، *يسميين*، ص 52.

². ينظر: لامير، ألي، *يسميين*، ص 112.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 148.

بسبب وجود (نوري)، فهي تمقت اليهود ولا تطيقهم، فلم تشترك معه في شرب القهوة، بل أثرت شرب الليمون، ولكن قراءة الفنجان جذبتها لمشاركتهم الاجتماع وكسرت حركة أبيها هذه، الجو الساكن، وكانت حركته بقلب فنجان القهوة كفيلة بتقريب المتباعدين (نوري) وياسمين في ذلك الاجتماع، ولأكثر من ذلك فيما بعد.

وفي مشهد آخر تقدم عسلية خالة غدير القهوة المرة التي تشبه طعم الحياة كما يقول البدو¹ فنقارن عسلية طعم القهوة ومذاقها بمنغصات العيش ومصائبه التي حلت عليها.

والقهوة المرة كانت المشروب الاعتيادي لأبي نبيل، فلم يغير هذه العادة بخلاف أبي جورج الذي فضل الشاي الإنكليزي منذ الانتداب البريطاني في أرض فلسطين²، فتأثر بثقافة القوي واكتسب عادات جديدة، فيجعله (إيلي عمير) شخصية نامية تتفاعل مع واقعها الاجتماعي، وتغير من أسلوبها ونمط تفكيرها وعاداتها، فلا يمانع أبو جورج أن يجعل من الشاي الإنكليزي شرابه المفضل وعادته الجديدة مع أنه اكتسبه من أعدائه، أما أبو نبيل فتأبث على رأيه وفكره، يعكس شخصية متوقعة، لا تخدم مصالح الراوي (نوري).

وعند (ران كوهين) في "سعيد"، يفخر سعيد اليهودي بقدرته على صنع القهوة التركية العربية، خاصة في فترة ما تسمى حرب الاستقلال، ففي هذه الفترة كان يُستهزأ بكل ما يتصل بالعرب، مع أنه لم يتسن له تذوقها قبل هجرته من العراق، لأنها كانت تعد شراب الكبار³، فيحوّل (سعيد) هذه المهارة، مهارة صنع القهوة إلى إيجابية يفخر بها رغم اتصالها بالعرب، فبدل أن يخجل من ذلك لأنه يهودي من أصل عراقي، استطاع تسخير هذه المعرفة لصالحه. وهذا بحد ذاته اعتراف من يهودي عن نظرة اليهود ليس فقط إلى العربي، وإنما إلى كل ما يتصل به، وما هي إلا نظرة ازدراء واستهزاء واحتقار، وما ذلك إلا قناع آخر من أقنعة العنصرية. ويقول (شاكيد): "إن هناك أدباء عبريين صوّروا العربيّ، بالعربيّ التقليديّ أي أنه ساكن الصحراء، راعي الجمال، تستولي عليه دائماً غريزة الثأر والانتقام والشعور بالأصالة وحبّ الأبهة والاعتزاز والشهرة."⁴ ومع ذلك فإن

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 266.

². ينظر: لامير، ألي، *يسميين*، ص 105.

³. ينظر: كاهن، رن، *سعيد*، ص 113-114.

⁴. شكد، *גרשון*، *אין מקום אחר*، ص 71. نقلاً عن: مزعل، غانم، *الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث*، ص 20.

سعيد يخل من أصله المتصل بالعرب، ورويدًا رويدًا يفقد اليهودي القادم من البلاد العربية لغته العربية¹ على العكس من اليهود (الأشكناز) ومن اليهود الروس الذين هاجروا إلى إسرائيل، فلم يخلوا من ثقافتهم، بل ما زالوا يتكلمون الروسية ويفتخرون بها ويدرسونها لأبنائهم².

وليس من الغريب استخدام الراوي الإسرائيلي لهذا المشروب الذي يرمز إلى الاجتماعات القصيرة الخاطفة، فاللقاء بين العربي واليهودي لا يدوم كثيرًا، ولقاء العربي بالعربي تتوسطه قهوة مرة.

أما عن الطعام فيذكره الراوي بما يناسب الحال، ففي أحد اجتماعات أبي جورج مع أبي نبيل، دار الحديث عن طرد اليهود من أرض فلسطين، وأبو نبيل يغرس ملعقة في صحن مربى البرقوق، وعندما ينهيه يبدأ بلعق أصابعه³، فيصور الراوي أبا نبيل يأكل شره، يريد أن يقضي على كل اليهود، فهو يستمتع بطعامه حلو المذاق، ويقرنه بحديثه عن طردهم، وتتماشى وتيرة الطرد مع وتيرة الأكل، إلى أن يلحق ما تبقى فيكون قد أنهى ما في صحنه وطردهم آخر يهودي في مخيلته.

وعلى مائدة أبي جورج توضع أصنافًا مختلفة من المأكولات: التبولة، وبابا غنوج وهي "أكلة تصنع من الباذنجان في بعض البلدان"⁴، وحمص، وطحينة متبلة بالليمون والبقدونس، وسلطة خضار، وفول، وكبة نيئة، ولحم مطحون نيء مع البرغل، وورق العنب المحشو بالأرز، وكبة نابلسية، وأرغفة خبز، ومخللات، ويتجاذب الحضور الأحاديث المختلفة عن الديانات وعن الرسل، ثم يعرجون إلى فترة الانتداب، ويتعجب (نوري) من وجهة نظر الحاضرين العرب عن فترة الانتداب البريطاني، وكيف أنهم يرون فيه نظامًا مرتبًا متنورًا، ويتساءل (نوري): هل سيغيرون من وجهة نظرهم عنا، وهل سنستطيع أن نكون الشعب المتثور الحضاري في رأيهم وأن لا نكون الغريب المحتل⁵؟ ويبدو من هذه الدعوة إلى الطعام في بيت أبي جورج أن هناك محاولة للتواصل من

¹. ينظر: كشتي، أور، *הישראלים לא מבינים ערבית*, הארץ 04-12-2015. حول الموضوع ينظر: פרס, יוחנן, ובן רפאל, אליעזר, *קירבה ומריבה שסעים בחברה הישראלית*, ע' 138-162. وينظر: רם, אורי, *החברה הישראלית: היבטים ביקורתיים*, ע' 172-202.

². ينظر: רוזובסקי, ליזה, *ישראל, דבר רוסי: העולים שרוצים שילדיהם ישמרו את השפה שעליה גדלו*, הארץ 07-12-2017.

³. ينظر: עמיר, אלי, *יסמין*, ע' 106.

⁴. عمر، أحمد مختار، *معجم اللغة العربية المعاصر*، ج1، ص 153.

⁵. ينظر: עמיר, אלי, *יסמין*, ע' 208.

طرف أبي جورج، فهو المسيحي الوسيط وحلقة الوصل بين رفاقه العرب والطرف اليهودي، فيعتمد الروائي عليه في بث أفكاره وطرحها، وتتناسب حال المائدة المتنوعة الأصناف مع حال الحديث المتناول ومع المشتركين فيه، فيلتقي اليهودي والمسلم والمسيحي والعلماني على طاولة واحدة، على طاولة العربي، ويكون (نوري) ممثلاً للطرف اليهودي، فهو ضيف الشرف، وبذلك استطاع الروائي (إيلي عمير) أن يوسع فضاء روايته لتصل إلى البيت العربي، ويزرع فيه حضور الشخصية اليهودية، بدعوة من صاحب البيت العربي وموافقته، ويستدرج الشخصيات للحديث عن الدين، وعن خطوط الاتفاق والاختلاف بين الأديان، وينتقل للتاريخ ولفترة الانتداب، فيستنطق العربي ويطلب رأيه في الإنكليز، ثم يترك تساؤلاً متخيلاً في ذهن (نوري)، ليس عن تقبل العربي لليهودي فحسب، بل بوصفه منقداً ورجلاً متتوراً جاء ليخرج العربي من الظلمات إلى النور.

وفي السوق ترى الغالبية الساحقة من المشتريين هم من اليهود، يجوبون الأسواق ويملؤون الأكياس من أصناف الطعام وغيره، يتوافدون إلى دكاكين الحلويات ليشتروا البقلاوة¹، فهم أصحاب المال، وهم اليد الواهبة التي يعتاش العرب على ما تقدمه لهم، فيجعلهم الراوي أصحاب المكان، ويجعلهم أكثر عدداً، ويوزعهم في كل مكان، ليشتروا كل شيء ويستولوا عليه.

- الملابس:

بعد أن عرضت الدراسة نماذج من شكل العربي، وبعد أن ذكر الباحث بعضاً من أصناف طعامه وألوان شرابه، كان لا بد من التوقف عند اللباس حتى تكتمل الصورة الخارجية لحضور الشخصية العربية في ذهن الروائي الإسرائيلي، فاللباس ملازم للشخص، فهو جزء من شخصيته وهويته، وبإمكانك التعرف على جوانب عدة من هذه الهوية وهذه الشخصية بمجرد النظر إليه.

يلحظ (نوري) مجموعة من النساء العربيات في السوق، لا يكشفن إلا عيونهن²، فيرتسم في ذهنه أن هذا اللباس المحتشم، الذي يغطي جسد المرأة كله، هو لباس العربية من النساء، ويلتبس عليه الأمر في لباس المرأة المسلمة ولباس المرأة العربية، فتمتزج عنده الصورتان، ويذوب لباس المرأة المسلمة في لباس المرأة العربية،

¹. ينظر: لامير، ألي، יסמיך, لا' 87.

². ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وطابقت دائرة تعريف المسلم دائرة تعريف العربي، فصار المسلم عربياً والعربي مسلماً، ولا تخفى على أحد تلك الدعاية المروّجة عن الإسلام والمسلمين في العالم، وينقل (نوري) مباشرة إلى لباس الرجل فيرى قمبازاً وكوفية وعقالاً¹، والانتقال المباشر ليس عبثاً، ومراده أن ينقل للمتلقي صورة واضحة عن المرأة العربية التي لا تخرج إلا مع زوجها، فكأنها أسيرة زوجها. ويتساءل (نوري) بماذا يفكر هؤلاء الرجال عندما يرون النساء ذوات اللباس الحضاري القصير، وبماذا تفكر نساؤهم اللواتي يرتدين الحجاب؟² فتقترن الملابس القصيرة بالحضارة، والاستنتاج واضح، فالعلاقة عكسية، فكما قصر الثوب زادت الحضارة، أو كلما طال الثوب قلت الحضارة، وهذه التساؤلات التي تدور في ذهن (نوري) بحد ذاتها دعوة للتححرر، ودعوة للتمرد، وتضجر بما عند العرب. إن نظرة اليهودي للحجاب نظرة مريبة، تدعو للنفور منه وعدم تقبله والمناداة بخلعه، ففي موقف آخر تتحكم الروائية بلسان حلمي وتجعل هذا الاعتراف على لسانه، فأبوه سينفطر قلبه لو كان حياً وشاهد زوجته ترتدي الحجاب الأسود³.

ويظهر الحجاب في مشهد بشع عندما جرت عملية تهريب (حزقيل) من السجن في بغداد، فيقول (حزقيل):
"لقد ألبسني البدو عباية، ووضعوا غطاء على رأسي، وحذروني من إصدار أي صوت، واصلنا المسير، لا أدري إلى أين، وبين الفينة والأخرى حذروني من نقاط التفتيش، وفي الليل تركنا السيارة ومشينا على الأرجل ساعات طويلة في الظلام الدامس، ثم سلموني لمجموعة أخرى من البدو مكونة من ثلاثة رجال وامرأتين مغطيات مثلي. كان الجو حاراً جداً، فعرفت أننا في الجنوب"⁴. فبدل أن يستخدم الروائي الحجاب لغرض الاحتشام وتغطية المفاتن، جعل منه وسيلة تخفٍ لارتكاب جريمة، وجعل من شخصية (حزقيل) شخصية مستضعفة تنفذ ما يطلب منها، فلم تكن تلك فكرته في تدنيس الزي الشرعي واستعماله لما لم يوضع له، وإنما هو منفذ للأوامر، ويصرح ذلك حين قال: "ألبسوني"، فيلقي اللوم على البدو. ويظهر الروائي خيانة البدو ويكشف تورطهم في عمليات التهريب، فهم يميلون حيث تميل جيوبهم. وكأن هذا الأمر ملازم للعربي يظهر في الرواية اليهودية على مرّ الأزمان، فيظهر الروائي اليهودي أن مصلحة الفرد العربي فوق مصلحة الجمهور،

¹. ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

². ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³. ينظر: رבניאן, דורית, גדר חיה, '80.

⁴. למיר, אלי, יסמיר, '235. بتصرف.

أما عند اليهود فالعكس، مع أنّ هذه النماذج للمهريين متواجدة في كل بقاع الأرض، إلا أن الروائي اليهودي يركّز على النموذج العربي الفاسد، ويترك آفاقاً من الشرفاء الأعفَاء لا يعيرهم أي اهتمام.¹

وفي موقف آخر، ينظر (نوري) إلى البائع الذي يلبس الكوفية رغم الحر الشديد، وفي طيات الحوار تحته يهودية على تعلم العبرية ليبيع المزيد من المال، فيأبى ويرد عليها بسداجة: لا قدر الله، ولماذا ذلك؟ فإنكم لن تمكثوا إلا شهراً أو شهرين². فيرسم الراوي شخصية متشائمة ليسقطها على البائع العربي الذي يسترزق من اليهود، ويجعل منه ساذجاً متمسكاً بما ورثه عن آبائه من عادات وتقاليد، فيضع الكوفية على رأسه برغم الحر الشديد، ولا يطاوعه المنطق البسيط، منطق الشعور بالحر إلى خلعها، فكأنه متمسك بهذه العادات إلى درجة العمى، وقد أقفل على قلبه، ودليل ذلك أن المرأة اليهودية عرضت عليه تعلم العبرية لما فيه مصلحته، ولكنه أبى ذلك، ورد رداً ساذجاً، فتوقعه لم يكن في مكانه، فالشهر والشهران صارا عقوداً طويلة. وكثيراً ما يلفت الراوي أنظار المتلقين إلى الأرباح المادية المستفادة من الوجود اليهودي، فالمرأة اليهودية تحت البائع العربي لتعلم اللغة العبرية ليزيد من مدخوله، وكأنها تعتني بمصالحه وتريد له الفلاح، وكأن فعلتها ليست خدعة تتقرب بها من البائع وتكسب ثقته ليكون لها مراعيًا في السعر. وليس إظهار العربي بمظهر السداجة والتخلف أمراً جديداً فقد ورد ذلك عند الكثير من الروائيين اليهود³.

ومن ناحية أخرى يجدر الالتفات إلى (نوري) وملابسه، خاصة في يومه الأول في عمله الجديد، حين آثر أن يشتري ملابس فاخرة، فدخل للدكان الأول وقام بتجريب كم هائل من البدلات لكن دون جدوى، ووجد ضالته بمساعدة البائع في الدكان التالي، حين سأله ما غرض استخدامها؟ فأجابته أنه يمثل الدولة في القدس الشرقية⁴، فيلاحظ اعتناؤه بمظهره، وكيف أنه يولي ذلك اهتماماً بالغاً، فلا يساوم ولا يسلم، بل لا بد له أن يظهر في أجمل مظهر أمام العرب.

¹. ينظر: مزعل، غانم، الشخصية العربية في الأدب العربي الحديث، ص 121-124.

². ينظر: لامير، آلي، 1988، ص 88.

³. ينظر: مزعل، غانم، الشخصية العربية في الأدب العربي الحديث، ص 150-174. وينظر: صميده، محمود علي،

الشخصية الفلسطينية في القصة العبرية القصيرة، ص 81-82.

⁴. ينظر: لامير، آلي، 1988، ص 115.

وبعد أن عرضت الدراسة الملامح الخارجية المادية الملموسة لصورة العربي في الرواية الإسرائيلية، آن لها أن تتطرق للروحانيات وللملامح المعنوية الداخلية للشخصية العربية من عادات وصفات وفكر ودين.

- العادات والتقاليد:

يكشف الروائي (إيلي عمير) الصراع القائم في صدر ياسمين، يتمثل في طرفين، أولهما: العادات القديمة التي رضعتها من أمها ومن بيئتها الأولى وهي طفلة، وثانيهما تتمثل بمرحلة الاستقلال الجامعية في فرنسا. فبعد أن قرأت ياسمين عنونات الصحف العربية وألقت جانباً الصحف العبرية دون مبالاة، شعرت بنوبة غضب تجتاحها، وبدأت الأفكار الثورية تتزاحم في ذهنها، فلا بد أن تقوم بزيارة لجامعة بير زيت وتتحدث مع الطلبة والمحاضرين لتسألهم عن شعورهم، وخطرت لها فكرة التحدث إلى نبيل ولقائه، فهو معروف بين صفوف المقاومة، وبينهما صحبة عائلية، ثم تنمحي هذه الفكرة، فكيف لها أن تقابل رجلاً، وليس أي رجل فهو متزوج، ثم تغضب ياسمين من نفسها، كيف أنها في يومها الأول بعد عودتها استسلمت للعادات المتخلفة القديمة، وكأنها لم تعش خمس سنوات في مركز العالم الحضاري.¹ فيظهر الروائي هذا الصراع وهو يومئ أن الغلبة كانت من نصيب العادات والتقاليد، لكن الكاتب لا يدع ياسمين وشأنها، بل يحرك داخلها مشاعر المقت والغضب والتمرد ضد القديم، فتتسلف العادات التي رضعتها لتجعل لنفسها عادات جديدة، عادات مكتسبة من مكان بعيد منذ زمن قريب، لتتوه بين حالتي اغتراب، فالغرق في التقاليد هو نوع آخر من الاغتراب يتجلى أكثر ما يتجلى بغياب البحث والعيش في الماضي بدلاً من الحاضر والمستقبل فينفع الإنسان بالتاريخ بدل أن يفعل به ويحوّله. ولا يختلف الإنسان الذي يعيش في الماضي عن الذي يقلد الغرب ويتخذة نموذجاً، فهو أيضاً يتخلى عن الإبداع وينظر إلى الواقع ونفسه من منظور الآخر، ويفقد الثقة بقدراته الخاصة المستجدة. وأسوأ ما في هذه النزعة التقليدية، هذا الانفصال بين القول والفعل والمعلن والخفي.²

ولا يتوقف الروائي عند هذا الصراع فحسب، بل يخلق بداخل ياسمين صراعاً أكثر قوة وأكثر عنفاً، فيوقع قلبها في حبّ محرّم، حتى تتساءل ياسمين: لماذا من بين كل الرجال، رجل يهودي؟ وهي تقوم بمقابلته في

¹. ينظر: لامير، ألي، يسمين، لا' 140.

². بركات، حليم، المجتمع العربي المعاصر، ص 449.

القدس الشرقية! وأمام مرأى من الجميع، ثم تتساءل: ماذا عن شرف المرأة العربية؟ فهو القيمة العليا عند العرب، ثم تشتم الشرف.¹ فتدخل ياسمين في متاهة أعظم من سابقتها، فالحل هنا أكثر تعقيداً، وتكاد تكوى من لوعة الحب، ولا تجد متنفساً يخفف مصابها فتقوم بسبب الشرف.

وبعد أن تتغلب ياسمين على هذا الصراع، وتسلم أمرها لقلبها، تبدأ بالانسلاخ من عادات قومها وتقاليدهم، بل وتبني نموذجاً خاصاً بها، فهي غير مستعدة أن تتزوج زواجاً تقليدياً، بل تريد أن تطلق العنان لقلبها، ولن تتزوج رجلاً لا تحبه، بل ستدع أمر الاختيار لقلبها، وبعد أن يمر بتجربة العشق ويعطيها تصريحاً وموافقة لذلك ستفعل. ويظهر انسلاخها من العادات والتقاليد خلال حديثها مع (نوري) عندما يقدر خروجها معه في العلن، فتجيبه بأن ذلك لا يهمها ولا تحسب حساباً لأحاديث الناس، المهم أنها راضية، ويسألها عن رأي أمها في هذه اللقاءات، فتجيب بأنها لا تقدم تقريراً، وتذكره بأنها عاشت وحدها في باريس، فيذكرها بأنها هنا الآن وليست في باريس، فترد: لا بأس فلقد فاتني القطار أصلاً وعندنا من لا تتزوج في الثامنة عشرة من عمرها تعدّ قضية خاسرة، فما بالك بفتاة في الثلاثين من عمرها، وشخصياً لست مستعدة للزواج من رجل غير مناسب ومن دون حب، وأبي وأمي يعرفان ذلك تمام المعرفة.² ولا تكتفي بالانسلاخ فقط، وإنما تستنقطب نحوها أباها وأمها، فهم يعرفان ابنتهم تمام المعرفة، فهي حرة من أغلال العادات وسلاسل التقاليد. وقد وجد الروائي في هذه العائلة ثغرة ينفذ خلالها للعادات العربية ليقوم بتفكيكها وإسقاطها، ووجد هناك أرضاً خصبة يزرع فيها شيئاً جديداً من العادات والتقاليد، ببذور مستوردة من فرنسا.

وأما غدير فهي تطلب نجدة (نوري)، تصرخ مستجدة من كريم ابن خالتها الذي يلاحقها، فتجده ماثلاً أمامها أينما ذهبت³، فتطلب مساعدة اليهودي من عادات قومها، من الوعد الذي وعده أهلها لكريم، فقد وعدوه بزوجة وأن أوان الوفاء. ويبالغ الروائي في تصوير وحشية العادات والتقاليد في زواج الأقارب، ويتغاضى عن عصام زوج غدير، ويدفنه حياً، فما كان من غدير إلا الاستجداء ب(نوري) علّه يسرع معاملة لمّ شملها بزوجها، فتكون بذلك قد حصلت على أقلّ الأمرين مرارة.

¹. ينظر: لامير، ألي، يسمين، ص 313.

². ينظر: لامير، ألي، يسمين، ص 347.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 333.

- الأخلاق والصفات:

يرصد (إيلي عمير) كمًا هائلًا من أخلاق العربي وصفاته في رواية ياسمين، فيتتبع حركات الفرد ويصفه على لسان الراوي (نوري)، وهذه الأخلاق في معظمها أخلاق سيئة وطباع جلفة، ولا يعني هذا تهميش الجانب المشرق من أخلاق الشخصية الدمثة، إلا أن هذه الصفات الحسنة لا تكاد تذكر من قلة عددها.

ومن بعض هذه الصفات المستقبحة، حكاية (نوري) لجدال والديه عن العرب والمسلمين، فيشتمون أطباعهم فهم أصحاب أنفة لا يعرفون المساومة، ودائمًا ما يتركون الأمور معلقة دون حلول نهائية، وتشبههم أم (نوري) بقصة جحا، التي حدثتها لأبنائها للمرة الألف، ومفادها أن جحا باع مرة قصرًا لرجل، شريطة ألا يدخل في عقد البيع مسمارًا معلقًا على أحد جدران القصر، فيوافق الرجل، فتتكرر زيارات جحا لهذا المسمار صباحًا ومساءً، حتى ضاق الرجل ذرعًا وسلمه القصر، وتختم الأم قصتها: هكذا هم العرب، دائمًا يتركون مسمارًا على الحائط ويجادلون ويقاثلون.¹ فتسعى الأم جاهدة في نقش صورة في أذهان أبنائها عن صفات العربي ومكره ولجونه للحل العنيف، ولا تتفك تحدثهم بهذه القصة على حد اعتراف (نوري)، فقد سمعها للمرة الألف.

وفي تجمهر لجنود الاحتلال أثناء حرب الأيام الستة يذكر (نوري) فقرة ترفيحية أعدت للجيش، حيث تطرق المتحدث إلى الكارثة والمحرق، فيغنم (نوري) ويتذمر مشيرًا: أليس يكفينا فرعون مصر لتأتينا أنت بهتلر ليكون فرعون آخر². فيقرن (نوري) ناصر بهتلر وينعته بفرعون، فيعود آلاف السنين للوراء ليتذكر الكارثة القديمة أيام فرعون وموسى ومعاناة اليهود حينها، ويقرنها بالكارثة المتأخرة أيام هتلر والنازية ومعسكرات الإبادة، فيستعطف المتلقين ويستميلهم ليدعهم يستنتجون الاستنتاج الحتمي بأنفسهم في أسباب خوض هذه الحروب، فليس هم من أوقد نارها، وإنما هم يدفعون شرًا قادمًا لا محالة.

وعند عودة (نوري) من الحرب، فلم يكن الوحيد الذي يحمل أخبارًا مثيرة، وتشكو أمه: لم يغمض لي جفن، وحتى الأصوات الخافتة التي تشق طريقها إلى أذني استطاعت إفزاعي. وأمه تشفق على أبيه، الذي لم يكن ليطفئ المذياع، والمذياع ينادي بأعلى صوته: ماتت إسرائيل، جنت إسرائيل، وكان يستمع الأب إليه ليل نهار،

¹. ينظر: لامير، ألي، يسمين، لا' 36.

². ينظر: المصدر نفسه، ص 37.

ينام ويتركه مشغلاً، فتقوم الأم وتطفئه، فيعود الأب ليشغله مرة أخرى عندما يستيقظ في منتصف الليل، وفي الصباح وقع الأب عن سريره ولم يستطع التنفس، اختنق بين يدي زوجته.¹ فيلصق الروائي صفات الكذب والخداع للعربي، والعجيب في هذا الأمر ليس قضية كذب الإعلام، فهم في حالة حرب ولا بد من استخدام شتى الوسائل وإن كانت نفسية، فالحرب خدعة، ولكن العجيب أن المرض والفرع والفوضى كل ذلك بسبب العرب ودعايتهم الكاذبة، فتلعب العائلة دور المسكين ودور الضحية، فتتعطل حياتها وتتجمد، وذلك يشبه الهرطقات، إذ كان بإمكان الأب أن ينتقل بين محطات المذياع على الأقل، حتى تتضح له الصورة الكاملة وتطمئن نفسه، لكنه لم يفعل. ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد، فالعربي جاهل وساذج، فتستغرب (ليئات) من حلمي لاعترافه بعدم إتقانه السباحة وقيادة السيارة ولا حمل البندقية² فتنقص الروائية من رجولته، فهو لا يستطيع المحافظة على حياته ولا على حياة من يحيطون به، وتجعل منه شخصية محتاجة معتمدة على غيرها، كأنها تحاول إقناع الجمهور اليهودي أن لا بأس بهذه العلاقة الممنوعة بين حلمي و(ليئات) فهو لا يشكل مصدر خطر. واللافت للنظر أن هذه الرواية قد اقترحت إضافتها للمناهج التعليمي في المدارس اليهودية، فلاقت نقدًا لاذعًا من وزارة التربية والتعليم، وتم رفض هذا الاقتراح؛ بسبب أن هذه الرواية تشجع الانصهار الثقافي، وهذه العلاقات الغرامية بين اليهود والأغيار، تهدد الهوية اليهودية.³

وعند انتهاء الحرب لم يكفّ الروائي عن إهانة العربي، فيقول على لسان الوزير ل(نوري): قل يا (نوري)، فأنت تعرفهم، أتوقعت أن يهرب المصريون هكذا، حفاة؟ ويضحك الوزير ويرفع رأسه نحو صورة ضباط معلقة على الحائط،⁴ فيجعل الروائي من جنود الاحتلال أبطالاً جبابرة، يهرب منهم عدوهم حافيًا تاركًا عدته وعتاده، فأولوياته في هذا الموقف النجاة بروحه، ويصورهم على أنهم جبناء، وعلى أنهم جهلة لا يعرفون الخطورة الكامنة في الحروب، ونظرة الوزير إلى صورة الضباط كأنها برقية يبعثها لهم ليشرهم بالنصر، وكأنها نظرة فخر لإنجازه هذا.

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 53.

². ينظر: ربينيان، دوريت، *גדר חיה*، ص 34-33.

³. ينظر: كشتي، أور، *משרד החינוך פסל ספר המתאר רומן בין יהודייה וערבי מחשש שיבודד התבוללות*، הארץ 31-12-2015.

⁴. ينظر: *עמיר*، *אלי*، *יסמין*، ص 60.

وأمر الجبن هذا لم يخصص للجند فقط، بل أصيب به القادة أيضًا. فيذكر (نوري) حادثة مع السيد (سولي ليفي) الذي يعمل في مكاتب الحكومة، فعندما مرّ عليه (نوري) ليستلم مكتبه الجديد في الشيخ جراح، اتضح أن مكتبه هذا كان مكتب أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وعنه يقول: "خطيب مفوه، يميل لسانه وقلمه لمن يزيد في السعر.. بيته خمس غرف، فيه غرفة نوم مؤثثة بأثاث فاخر يدل على ذوق رفيع، يفوق البيت كل توقعاتي، فيقطع (ليفي) تفكيره: لا تتردد فشقيري هرب في وسط الحرب، هذه المكاتب تحت تصرفنا، لقد اخترت أن أكون مكان القنصلية السعودية، ليس بعيدًا عنك".¹ فالعربي عندهم يميل نحو من يدفع أكثر، وأما البيت فيستغربون منه، فالأصل أن يعكس شيئًا آخر، شيئًا أكثر بشاعة، وأما وقت المعارك فجبان، واليهودي يسرح ويمرح في المكان المتروك، ويعطي لنفسه التبرير والشرعية، فأهل الأرض تركوها.

وأما الأستاذ (نافي) مدرس (نوري) و(كابلي) في العراق، فيصف العرب عندما جاءه (نوري) مع عمّه (حزقيل) لإثبات هويته: "احذر بني، فالعرب هنا ليسوا كما في العراق، فهم مخادعون ووقحون وخطرون جدًّا، فقد قتلوا (يوسف حاييم بيرنر) في يافا بدم بارد، هذا الذي ترجمت كتبه للعربية، ماذا فعل لهم؟ عندي فكرة سيظنها بعضهم أنها منافية للعقل، يجب ارجاع كل شيء للملك حسين، وهم في حالة ضعف وهوان وارتباك، قبل أن ينتشر سم الانتقام في دمائهم، من يعرف متى ستكون الفرصة الثانية التي فيها يعترفون بنا ونعيش بسلام، فالحياة تختلف عن الأدب، فليس بإمكانك كتابة مسودة، وإنما تكتب الحلة النهائية والأخيرة".² فيبني الروائي صورة العربي بتدرج سلبي، تدرج يغوص أكثر وأعمق نحو الظلام، فالعربي مخادع والأصل عدم التعامل معه، وهو وقح فإياك التماذي معه، فإنك إن فعلت فاحذر فهو خطر، ويذكر على لسان (نافي) مثالًا واقعيًا عن شخصية حقيقية مشهورة تم قتلها، وهي شخصية (يوسف بيرنر)، وفيه يقول (أريئيل هيرشفيلد)³: "حتى يومنا هذا، يعدّ (بيرنر) الناقد الأعظم في الأدب العبري الجديد"⁴، وعلى ما يبدو ف(إيلي عمير) يكشف عن جرح لم يشف ولم يلتئم في روايته ياسمين، ويعرض هذه الحادثة في تصوير وحشية العربي وجرمه.

¹. المصدر نفسه، ص 89. بتصرف

². لامير، آلي، יסמיר, لا' 325. بتصرف

³. محاضر أدب عبري في الجامعة العبرية في القدس.

⁴. <https://www.youtube.com/watch?v=aHYI3iyXlrQ>. بتصرف

كما تظهر هذه الوحشية في سجون العراق، عندما يحاول (نوري) إنقاذ عمه (حزقيل) بطرح ملفه في مكاتب الحكومة، فيصف وضع عمه المؤلم، بأن حبل المشنقة يتأرجح فوق رأسه،¹ وبذلك فهو يشنق ويموت كل يوم، ويتعذب ويتألم مرارًا وتكرارًا في السجن، ففكرة أنه مهدد بالشنق تقضي على الأمل في داخله، وتجعله يتآكل مع مرور الأيام. ووصل الأمر بالروائي اليهودي أن ينطق الشخصية العربية معترفة أنها تقوم بعمليات خطف إرهابية، فحلمي يحمل (ليثات) مرة على ظهره ويصرخ مقلدًا صوتها تطلب النجدة لأن عربيًا خطفها²، فيجعل الاعترافات المرّة على لسان الشخصية العربيّة كضرب من المزاح، لكن يظهر من هذا كشف للصورة النمطية للعربي التي استقرت في ذهن اليهودي، "ومشكلة التتميط أنه يبقى ثابتًا في الأوضاع العادية، ويمكن تغييره لكن ببطء، فصورة العربي في حرب "67" على الصحف الأمريكية سلبية، فهو: يشعر بالدونية، فاقد الثقة بنفسه، تفكيره غبي، كاذب، إرهابي. بينما صورة اليهودي إيجابية، فهو: شجاع واثق من نفسه، متحضر، وتفكيره علمي. أما حرب "73" فكانت الصورة معكوسة حيث إن العربي بات إيجابيًا بسماته واليهودي سلبيًا بصفاته. مما يعني أن الأحداث الكبيرة تلعب دورًا مهمًا وسريعًا في تبدل التتميط."³

ومرة يركب (نوري) سيارة أجرة ويطلب من السائق التجول في شوارع القدس، فيسب السائق أصحاب الدكاكين العرب لإغلاقهم إياها، فيفسر (نوري) له أن سبب ذلك هو منع التجول المفروض من الحاكم العسكري، فيقول السائق: "أردت أن أشتري بعض الحاجيات قبل أن يتعلموا منا رفع الأسعار".⁴ وعجيب أمر السائق، ليس لأنه يشتم أصحاب الدكاكين ويعدّهم أعداء لدودين، وإنما العجيب عنده أن يعدّ أمر تقليد العربي لليهودي من البدايات ومن المسلمات، فالعربي اتكالي متطفل يقوم اقتصاده على اقتصاد اليهودي، وهو منفذ للأوامر فباشارة من الحاكم العسكري تغلق كل الحوانيت، وتغلق كل أبواب الاسترزاق.

¹. ينظر: لامير، ألي، يسمين، لا' 63.

². ينظر: رابينيان، دوريت، גדד חיה، لا' 47.

³. لبيب، الطاهر، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، ص 240.

⁴. لامير، ألي، يسمين، لا' 73. بتصرف

وفي حديث أبي جورج مع أبي نبيل يعترف أبو جورج بحاجته وبعتماده على اليهود، فيقول: "فلتُدْمَر بيوتهم، حرية التحرك بأيديهم، وكذلك الجمرك والضرائب، والتجارة والبناء، وحتى رخص الاستيراد يتحكمون بها"¹، فيظهر الروائي تدمير الشخصية العربية وضعفها وعدم مقدرتها ممارسة أعمالها دون موافقة اليهودي. ولطالما أظهر الروائي شخصية أبي جورج بهذا الشكل، وكأنه أراد لها أن تكون كذلك ليستدرجها فيما بعد ويحاول التأثير عليها، فخلق شخصيتين متجاورتين، شخصية أبي جورج المسيحي المعتدل، وشخصية صديقه أبي نبيل، المسلم المتطرف، وأظهر الروائي المحرك الرئيس الذي يسيّر كلاً من هاتين الشخصيتين، فأما أبو جورج فمحرّكه البيانات الواقعية والظروف المحيطة، فهو إنسان عقلاني، وأما أبو نبيل، فمحرّكه العواطف الجياشة، الغضب والحزن، فهو انفعالي وكل ما يصدر عنه من أحكام فمصدره الشعور لا العقل. وسيأتي الحديث عنهما في قسم منفرد.

وبسبب المواقف المتكررة من الذل والخضوع، صار العربي محاصراً يختبئ ويعيش في الظل بعيداً عن أعين اليهود، ففي جولة قامت بها ياسمين مع أبيها في شوارع القدس، لاحظت وجود المجنرات وسيارات الجيش في كل مكان، ولاحظت الجنود والضباط ورجال المخابرات ينتشرون في الأزقة والطرق، فخافت من فكرة وجودهم، فأنظروهم تجردها ملابسها، ولم يبق لها إلا الاختباء خلف نظارتها الشمسية السوداء.² وليست تلك المرة الوحيدة التي تختفي فيها ياسمين خلف نظارتها السوداء،³ فيرسم الكاتب صورة العربي المنكمش في الظل، الذي يختبئ خلف ستار أسود.

وإضافة لهذه الصفات يُصوّر العربي كشخص مكبوت لا دراية لديه بما يتصل بعالم المرأة، فتسرد (ليئات) تجربتها الجنسية مع حلمي وكيف أنها هي من قامت بتعليمه الخطوات الصحيحة في التعامل مع المرأة وإغوائها⁴، فيظهر العربي جاهلاً حتى في هذه الأمور الغريزية، واللافت للنظر أن (ليئات) تتشاجر مرة مع

¹. المصدر نفسه، ص 106. بتصرف

². ينظر: لامير، ألي، *يسميين*، ص 161.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 306.

⁴. ينظر: ربينيان، دوريت، *גדר חיה*، ص 65.

حلمي فتبدأ المشاعر الدفينة بالطفو على السطح، فتشتمه وتسب أمه وتعدد عيوبه، فهو لا يتقن السباحة ولا يملك رخصة قيادة، وتهتف بانتقام أنه صفر¹.

ولا يعني هذا كله أن الكاتب جرّد العربي من كل خلق حسن، ومن كل صفة إيجابية، لكن كما أوردت الدراسة سابقاً، فإن هذه الأخلاق والصفات تكاد لا تذكر، وتدوب في الأخلاق السيئة والصفات القبيحة، وإن إيرادها من قبل الكاتب كان بشكل حذر، وليس لجميع الشخصيات العربية، بل لبعض منها. فمثلاً يذكر حنان أبي جورج عندما تعود زوجته من العمل، فيستقبلها بخليط الأعشاب الساخن²، وعند ملاقة ياسمين في المطار واحتضانها لساعة³، وتارة تجد ياسمين تتأمل وتغوص في أفكارها، تنظر إلى أبيها وهم في طريق عودتهم إلى البيت، وتبتسم له بحزن وتتذكر مكالماته وهي في الخارج، صوته أجش مكسور وكأن حيواناً مفترساً يخنقه، فكم هو ناعم وحنون⁴. فيضفي الروائي لأبي جورج صفة الحنان والرقّة تجاه الآخرين، ولا تقتصر هذه الرقة على عائلته فقط وإنما هو هكذا مع كل من يحيط به، عربياً كان أم غير عربي.

ومن الخلق الحسن الذي يضيفه الروائي أيضاً لأبي جورج الكرم، فمرة يستضيف (نوري) ويقوم بإكرامه أي إكرام⁵، ومرة يجلسان في مطعم فيبادر (نوري) لدفع الفاتورة، فيستوقفه أبو جورج قائلاً: هذا ليس مقبولاً عندنا. ويقوم بدفع الحساب⁶. ومرة في السوق يقوم أبو جورج بدعوة البروفيسور (شدمي) ومن معه إلى الغداء⁷.

ويركز الروائي على هاتين الصفتين: الرقة، والكرم. ويصنع عائلة أبي جورج بهما، فيريد من أبي جورج أن يكون رقيقاً ليتقبل الآخر اليهودي، ويريد منه أن يكون كريماً يدخله بيته، ويشاركه طعامه وشرابه وماله، وربما في الأيام اللاحقة يكون أنصارياً للمهاجرين اليهود، فيقسم بيته وأرضه بينه وبينهم.

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 258.

². ينظر: لامير، ألي، *يسميين*، لا 119.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 130.

⁴. ينظر: المصدر نفسه، ص 158.

⁵. ينظر: لامير، ألي، *يسميين*، لا 207.

⁶. ينظر: المصدر نفسه، ص 151-150.

⁷. ينظر: المصدر نفسه، ص 220.

- الفكر والثقافة:

تكمُن أهمية الثقافة عند الشخصية في خلق الوعي والإدراك لما حولها، فتحاول فهم ما يدور في محيطها بناء على المحصلة الثقافية التي جمعتها خلال تجربتها، وتتعكس هذه الثقافة في تصرفات الشخصية، وقد يجعل الروائي اليهودي الإسرائيلي الشخصية العربية مثقفة وصاحبة فكر غني أحيانًا، وأحيانًا أخرى قد يجعلها محدودة التفكير غير مثقفة، وتعود أسباب هذا إلى الدور الذي تقوم به الشخصية، فإن احتاج الروائي شخصية قائدة مثلًا فسيقوم بتثقيفها وإظهار مستويات عالية من الفكر عندها، وإذا كان الحدث أو الموقف يستدعي الشخصية الأخرى محدودة الفكر فعندها سيصور الروائي هذه الشخصية بما يتلاءم ودورها، لكن يجدر الإشارة أن الشخصية العربيّة المثقفة في الروايات اليهوديّة الإسرائيليّة ما هي إلا استثناء للقاعدة، والقاعدة الدارجة هي أنّ اليهوديّ أعلى مستوى وثقافة من العربيّ، والعربيّ معجب بثقافة اليهوديّ، ف(ليئات) تتفاخر أمام حلمي بمقدرتها وبتقناتها ليس للسباحة فحسب، وإنما بالغوص في أعماق البحار أيضًا،¹ فيظهر الروائيّ اليهوديّ الفرق بين العربيّ واليهوديّ، وثقافة اليهوديّ تتعدى اليابسة لتصل إلى أعماق البحار.

وثقافة اليهودي أوسع من ثقافة العربيّ، بل تضمّها، فمثلًا يتقف الروائي شخصيته اليهودية ثقافة عربية إن كان يريد لها أن تقع في حبّ فتاة عربية، كما حصل مع (نوري) عندما وقع في حبّ ياسمين، فصارت أذنه تطرب بغناء أم كلثوم²، أما ياسمين ولأنها عشيقة البطل، فلا بد أن تكون على قدر عالٍ من الثقافة، فيمنحها الروائي أول ما تقاس به الثقافة، وهو الدرجات الأكاديمية، فياسمين تحضر لدرجة الدكتوراة في السوربون. وتظهر ثقافة ياسمين في بضع مشاهد في فضاء الرواية، ومن هذه المشاهد قراءتها للصحف³، فهي مطلعة على الأحداث اليومية ولا تكتفي بخبر واحد من صحيفة واحدة، وكأنها لا تخدع من قبل الإعلام، بل تتحقق من الخبر عن طريق تصفح مجموعة من الصحف. وتظهر ثقافتها كذلك عبر الاستماع إلى محطات الإذاعة، فتؤثر الاستماع لخطابات جمال عبد الناصر بدلًا من الذهاب إلى احتفال (البيتلز)، وعندما حدثت (نوري)

¹. ينظر: ربينيان، دوريت، *גדר חייה*، ع' 31.

². ينظر: لامير، *אלי*، *יסמין*، ع' 43.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 140.

بذلك قام باقتباس جزء من خطاب ناصر، فتأثرت غير مصدقة، والدموع تترقق في عينيها¹. فتظهر ياسمين متأثرة بشخصية ناصر وفي ذلك يشهد أبوها ويصفها بأنها تعدّه إلهاً² فتدمع عيناها بتذكر خطابه، وتبدو من اختيارها بين الاحتفال والاستماع إلى خطاب ناصر واعية متلهفة، مع أنها تستطيع الاستماع للخطاب لاحقاً أو قراءته في الصحف، إلا أنها آثرت أن تسمع بطلها يليقه على مسامعها آنذاك. واللافت للنظر أن (نوري) يحفظ خطابه غيباً، وكأن الكاتب تعمد ذلك لـ(نوري) حتى تتقبله ياسمين وترتقي علاقتهما درجة أخرى.

وفي محاولة المطران لتخفيف حزن ياسمين عند موت زوجها عزمي، يقص عليها قصة عبد الوهاب، عندما مات أبوه في ليلة كان يفترض أن يقيم حفلة في لبنان، وكان برفقته أمير الشعراء أحمد شوقي، الذي حاول تعزيته وتخفيف آلامه لكن دون جدوى، فطلب عبد الوهاب إلغاء الاحتفال. وعندها سأله طه حسين: هل كل الأغاني تنبض بالفرح والسرور، أم أن هناك منها ما هو ينبض بالحزن؟ غنّ لنا يا بني، ستهزّ أغانيك قلوبنا، وسنحدّ سوية. أما ياسمين فصعدت إلى غرفتها وأقفلت الباب، واستمعت إلى أغاني فيروز بينما سكبت الدمع³، فيظهر من طريقة إقناع المطران لياسمين بذكر عمالقة الفن والأدب للتخفيف عنها، وكيف أن ياسمين امتثلت لفعل محمد عبد الوهاب وجعلت من الموسيقى متنفساً تهرب بوساطته من الحزن.

ولا تنس ياسمين أن تجعل دار الكتاب جزءاً من جولتها، وتنتظر البائعة التي كانت تقابلها بابتسامة كابتسامة الأم، وفي وقت الانتظار قامت بتصفح بعض الكتب الجديدة والروايات المترجمة، ثم انتقلت لزواية الشعر، ورأت كتابي أبيها وبجانبهما كتاب فدوى طوقان الجديد، فشعرت كأنها في منزلها، فوعدت نفسها العودة واقتناء بعض الكتب⁴. فانجذاب ياسمين نحو رفوف الكتب يدل على كونها إنسانة مثقفة، وكونها قد خصصت جزءاً من جولتها لزيارة دار الكتاب وانتظار البائعة لتسلم عليها يدل على أنها اعتادت زيارة المكان فتكوّنت بينها وبين البائعة علاقة طريفة، وكتاباً أبيها الموضوعان على الرف بجانب كتاب فدوى طوقان يلفتان الانتباه بأن ياسمين قادمة من عائلة مثقفة. وعندما تفكر ياسمين في هدية لـ(نوري) لا تجد هدية أفضل من الكتاب، وتقوم

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 183.

². ينظر: المصدر نفسه، ص 103.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 212-213.

⁴. ينظر: لامير، آلي، يسمين، ص 141-140.

باختيار الكتاب بعناية، لتظهر له مشاعرهما تجاهه، ويقع اختيارها على كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي¹. وكذلك فعل معها السيناتور عندما عادت من السفر فجاء لاستقبالها ومعه هدية، وهي كتاب عن الفن المعماري الأندلسي، وتظن ياسمين بقرارة نفسها أن هذه الهدية ما هي إلا محاولة بائسة لاسترجاع أيام العز²، ولولا علم السيناتور بثقافتها لما جلب لها كتابًا أصلاً، وتظن ياسمين أن هذه المحاولة للتغني بالقديم والوقف على الطلل لا بدّ أن تنتهي، ويبدأ العمل الجادّ في سبيل ذلك.

ومن مظاهر الثقافة عند ياسمين إتقانها لأكثر من لغة، وأما عن لغة ياسمين مع (نوري) فتجعل اللغة الإنجليزية لغة التواصل بينها وبينه مما يدعو للتساؤل، فهو يتقن العربية وكذلك العبرية، فلماذا تفضل أن تكون الإنجليزية لغة حوارهما، ولماذا تجعل من الانتداب البريطاني وسيطاً بينهما؟ مع أنها في القرية الشبابية تتكلم العبرية بطلاقة تامة³. ويبدو من تساؤل (نوري) أن ياسمين تفضل الإنجليزية لأنها في قرارة نفسها لم تقتنع بعد بعلاقتها مع (نوري) وكأن هذه اللغة تعكس أنثراً لصراع داخلي، يتمثل طرفاه بالعادات والتقاليد والانتماء، وبالنفس العاشقة المعذبة من جهة أخرى. فتجد ياسمين سهولة في الهروب من هذا الصراع عبر اللغة الإنجليزية، ومع أنّ الغالبية العظمى من الجماعات التي تقطن الوطن العربي تتكلم اللغة العربية (وهي لغتهم الأم) وتشعر بالانتماء إلى الجماعة العربية وتعتبر الوطن العربي مجتمعاً وأمة⁴ فإن ياسمين تعدّ نفسها سائحة تتحدث باللغة العالمية، لتهرب من الصراع الفلسطيني مع دولة الاحتلال، ومن ثم تهرب من لغتها وتحاول إخفاء ازدواجية اللغة عندها، إنّ لهذا الإخفاء الذي تقوم به ياسمين صدى خطيراً "فإن أي شعب من الشعوب، لا يفقد حياته وكيانه، إلا عندما يفقد لغته، ويصبح من الناطقين بلغة حكامه. عندئذ، وعندئذ فقط، يكون الشعب قد ذاب وانصهر في بوتقة الفاتحين، واندمج فيهم اندماجاً يفقده كل ما كان له من حياة خاصة. فالاندماج في حياة الشعوب، يعني، قبل كل شيء، وأكثر من كل شيء، الاندماج في اللغة."⁵

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 346.

². ينظر: المصدر نفسه، ص 137.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 309.

⁴. بركات، حليم، المجتمع العربي المعاصر، ص 34.

⁵. الحصري، ساطع، ما هي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، ص 57.

وتعتبر ياسمين عن هذا الهروب بقصة تقصها لـ(نوري) مفادها أن رجلاً في باريس يكره برج إيفل بشدة، ومع هذا فكل يوم يصعد إلى قمته، ومرة سأله أحدهم: ما دمت تكره البرج إلى هذا الحد فلماذا تصعد قمته كل يوم؟ فأجابته: لأن برج إيفل هو المكان الذي لا ترى البرج منه. وهكذا تفعل ياسمين، فالمكان الوحيد الذي لا ترى منه إسرائيل هو إسرائيل نفسها¹. فتصبح الرموز الفرنسية كبرج إيفل جزءاً من ثقافتها، فتبني تشبيهاً ضمنياً لإيصال الفكرة لـ(نوري) ولتبرير عملها بالقراءة الشبابية اليهودية. وفي قصة أخرى تقصها على (نوري) تصف الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي فتقول: مرة خرج رجل يركب حماره، فوجد ماراً متعباً فأشفق عليه ودعاه ليركب معه، وبعد برهة قام المارّ بمدح الحمار، فيرد صاحبه: أحاول قدر الإمكان المحافظة عليه. وبعد فترة يمدح المارّ الحمار مرة أخرى، فيرد صاحبه: أطعمه وأريحه. ثم يقول المارّ: حمارنا هذا يستحق المدح والتقدير. وهنا يقوم صاحب الحمار بالتوقف ويطلب من المارّ أن يترجل، فيستغرب ويسأل عن السبب، فيجيبه صاحب الحمار: من الأفضل أن تنزل عنه الآن قبل أن يصبح حمارك². فتنتقل ياسمين أفكارها وآراءها لـ(نوري) بطريقة ظريفة مما يدل على رقي حوارها معه، فلا تغضب ولا تشتم ولا يعلو صوتها، بل بكل رقة توصل فكرها بقصة سلسلة.

تحاول ياسمين مراراً أن تقنع (نوري) بوجهة نظرها، فتقول له: لن يفهم شعبكم حالة الإحباط التي نعيشها، والإهانات التي نتلقاها، وحاجتنا إلى قطف النجاحات ليتم الاعتراف بنا، وحاجتنا إلى الانتقام³. فتلخص لـ(نوري) عقوداً من الزمن بجملة واحدة، فحوارها أن العربي يتألم ويشعر بأنه مظلوم فتنصب طاقاته نحو الانتقام. ولكنها تغير رأيها هذا فيما بعد، فيحدث أن تخرج برفقة (نوري) لمحاضرة لأديب ناشئ يتحدث عن روايته الجديدة، وكان (نوري) قد اقتنى نسختين له ولياسمين، وبعد انتهاء المحاضرة بدت ياسمين منفعلة ومتعجبة، فلم تظن أن روائياً يهودياً يستطيع أن يظهر العربي على حقيقته⁴، ويتمّ التلاعب بفكر ياسمين، وتستدرج فتغير رأيها، وصار اليهودي فاهماً لحالة الإحباط عندها، أو أنها تريد كتباً تتكئ عليها، وتحاول تبرير علاقتها مع (نوري).

¹. ينظر: لامير، ألي، يسمين، ص 214.

². ينظر: المصدر نفسه، ص 211-210.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 186.

⁴. ينظر: لامير، ألي، يسمين، ص 358-356.

وأما أبو جورج فسبق أن ألمحت الدراسة إلى كونه إنسانًا مثقفًا، فله كتابان في دار الكتاب قد أسند بجانبهما كتاب فدوى طوقان. وهو محرر لجريدة كان يكتب الأشعار تحت اسم مستعار فيها، وعادة ما يختار شخصية من التراث القديم، فمرة عنتره ومرة طارق بن زياد ومرة صلاح الدين، وموضوعات قصائده تعالج الأحداث اليومية، مثل النكبة، وأرض المنفى، والبحث عن وطن¹. فيجعل أبو جورج أشعاره تحت أسماء مستعارة لتلاقي صدى وقبولًا عند الجمهور، وخاصة الأسماء الرنانة التي هزت أراضي المعارك في وقتها. ويرى الباحث إضافة لهذا أن استخدامه لهذه الأسماء ما هو إلا تخفٍ وتسترٍ من العدو، فهو يتلثم تحت هذه الأسماء ولا يخبر أحدًا بها، حتى صديقه المقرب أبا نبيل، ويقوم الروائي بكشف ذلك، فهو مشرف كلي يعرف كلَّ شاردة وواردة، ولا يغيب عنه أي سرّ، ويكشف كل جوانب العربيّ المظلمة والخفية، وحتى تلك التي لا أحد يعلمها سواه.

ومرة قام أبو جورج بإهداء مجموعة أشعار لجمال عبد الناصر تحت اسم مستعار هو سيف العرب، وبرسالة رد من ناصر يذكر له حلمه، أنه كان يود في صغره أن يكون مثل توفيق الحكيم، فبلغت فرحة أبي جورج عنان السماء². والملاحظ أن الروائي اليهودي يضفي على الشخصيات المسيحية السمات الثقافية، ويجرد الشخصية المسلمة من هذه السمات غالبًا، فيجعل سبب تخلف العربي المسلم الدين الإسلامي، وهذا ما ستحاول الدراسة كشفه في العنوان الآتي:

- الدين:

تنقسم الشخصيات عند (إيلي عمير) في روايته ياسمين من حيث الدين إلى معسكرين اثنين: المسلمين، والمسيحيين. وتتمثل الشخصية المسلمة بأبي نبيل، أما المسيحية فأبي جورج. ويولي الروائي الديانة المسيحية أهمية كبرى، فيجعل تقدم العربي وتطوره مرتبطًا بالشخص المسيحية، فإن كان هناك بصيص أمل بتقدم العربيّ فلن يكون إلا على أيدي المسيحيين، فالمسلمون عند الروائي اليهودي متمسكون بموروثهم وقابعون عنده لا يتزحزون.

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 103.

². ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ومن أول ما يذكره الروائي بما يخص الدين الإسلامي، أن الإسلام يدعو إلى إبادة اليهود، (نوري) يستمع إلى الإذاعة ويترجم ما يسمع لضابطه، فتبث الإذاعة آيات من سورة المائدة عن الجهاد، وإن المسلم الذي يؤمن برسالة الإسلام لا بدّ أن يرفع راية الجهاد ويقاوم اليهود ليكافئه الله بالجنة¹، فيقوم الروائي بتسليط الضوء على ركن الجهاد، فيتلخص عنده الإسلام بالجهاد، وكأن الإسلام دين متطرف يدعو لإبادة اليهود، وتعترف بذلك (ليئات) في نقاشها مع أصدقاء حلمي، بأن الأقلية اليهودية المحاطة بدول العرب المسلمة مهددة لمحركة ثانية إن لم تحافظ على كيانها².

ويظهر هذا جلياً عندما يتحدث عن أبي نبيل، فيذكر حوار أبي نبيل مع صديقه أبي جورج المسيحي، فيقول أبو نبيل: "أبا جورج، لا تغضب مني، أنت نصرانيّ، ولا تعرف قوة الإسلام، يجب قلب الموضوع إلى حرب دينية، وسينتهي كل شيء. أذكرك بحسن البناء، الذي كان ينادي بحب الموت أكثر من حب الحياة، وهذه الفكرة يجب أن نبيعها للسذج ولأصحاب العقول السطحية لنوقد النار"³. ويظهر من شخصية أبي نبيل أنه يريد أن يعيث في الأرض فساداً ليس إلا، فيريد أن يبيع الفكرة لأصحاب العقول التافهة لإيقاد نار الحرب، وليس لأنه يؤمن حقاً برسالة الإسلام، بل ويُظهر رسالة الإسلام بصورة منقّرة بشعة، وليس ذلك فحسب، بل يقوم بتشويه سمعة رجال الدين، فيقوم الروائي ببناء صورة مشوهة للدين الإسلامي ولمن يدين به، ويذكر في موضع آخر على لسان جندي من جنود الاحتلال بأن حسن البناء هو رئيس الحركة الثورية المتطرفة الإخوان المسلمين⁴، فيربط التطرف بالإسلام، ويقوم بتشكيل صورة الإسلام المشوهة على شاكلة قناع يلصقه بوجه أبي نبيل، فيصير أبو نبيل أمام القارئ اليهودي ممثلاً للدين الإسلامي، وقد صرح أبو نبيل في حديثه مع أبي جورج أن الجهاد هو أفضل اختراع ابتكره المسلمون، وقام بضرب الطاولة حينها⁵، فيجمع أبو نبيل بين شدة التطرف والغضب وينعكس ذلك في سلوكه غير المنضبط، فيضرب الطاولة، فيصوره الروائي على أنه متوحش لا يتحدث إلا بلغة العنف. ويجعل أبو نبيل من نفسه أهلاً لنقل رسالة الإسلام فيظل يُسمع أبا جورج كلمات يشير من خلالها

1. ينظر: لامير، ألي، يس ميون، ع' 45.

2. ينظر: ربينيا، دوريت، غدر حيه، ع' 209.

3. لامير، ألي، يس ميون، ع' 107. بتصرف.

4. ينظر: لامير، ألي، يس ميون، ع' 116.

5. ينظر: المصدر نفسه، ص 121.

بأنه لا يفقه من الإسلام شيئاً فهو نصراني، فيقول له: "صحيح أنك عربيّ فخور، ولكنك نصرانيّ، لا تفهم الإسلام، ويجب علينا أن نستخدم اسم الله فيما تقتضيه المصلحة"¹. ولا يرعوي أبو نبيل من التجارة بالدين بل هو كالذين يستغلون الفتاوى والأحكام فيما تقتضيه مصلحتهم.

ويظهر نفاق أبي نبيل عندما يأتيه خبر ابنه نبيل، الذي التحق بصفوف المقاومة، فيخاف ويقلق، ويحاول إقناعه بأن يعدل عن رأيه لكن دون جدوى، فيأتي شاكياً متذمراً يقول لأبي جورج: "منذ متى أبناء أشخاص مثلنا يقاتلون؟"² فدعوته للجهاد هشة، ولا علاقة لها بالإسلام، وإنما ترويج دعائي وتسلية تبدو الغاية منهما اعتلاء المنصة والبحث عن الشهرة، فلو كان صاحب مبدأ لرأيته في أول صفوف المقاومة قبل ابنه نبيل، ولا يبالي بدم من يسكب من أحبابه وأصحابه ما دام في سبيل الدين والوطن.

يحاول أبو نبيل إقناع أبا جورج لكن دون جدوى، فحججه واهية تقوم على التّعني بالمجد الذي كان، ويكرر فكرة جهل أبي جورج بالإسلام، التي لم تجد نفعاً حتى الآن، فلم يستطع أن يكسبه لجانبه ولن يفعل هذا بالطريقة التي يتبعها. يقول أبو نبيل بينما ينفث دخان نرجيلته: نحن أبناء ثقافة معروفة على مرّ التاريخ، لأكثر من ألف سنة كنا الأوائل في كل شيء، في العلم، وفي الاقتصاد، وفي الفنّ، وفي الطبّ، وفي الفلسفة، وفي السياسة. وضعنا أسس علم الفلك، والجبر، تعلمت أوروبا العد العشري منّا، وابن خلدون هو أبو علم الاجتماع، وابن سينا الطبيب والفيلسوف.³ ولو كان أبو نبيل يتغنّى بهذه الكلمات وهو يمسك سيفاً، لكان حديثه أكثر مصداقية، أو لو كان يقلب صفحات كتابٍ مثلاً، لكان كلامه ذا وزن وشأن، لكنه يجلس متتحياً، وينتظر الفرج والنصر بينما يمجّ من النرجيلة وينفث الدخان، ينظر باتجاه زمن قد ولى ولا يفناً يتبرم ويتضجر ويتذمر وينظر كلاماً، وما كلامه إلا هباء منثوراً.

وفي نهاية الرواية يفصل أبو نبيل بين المسلم واليهودي، ويقوم ببناء جدار عازل بينه وبين اليهود، فلا يريد التعامل معهم، ولا يريد أي صلة وعلاقة معهم، ويظهر ذلك من حوارهِ مع أبي جورج عندما يقول له: افهمني، يا أخي، كيف لي أن أتشارك معهم في مشاريع اقتصادية؟ أنا مسلم. المسلم أعلى وأجل، المسلم يمتطي الفرس

¹. المصدر نفسه، ص 122. بتصرف

². المصدر نفسه، ص 258. بتصرف

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 122.

بينما يترجل اليهودي¹، ولا تزال حجج أبي نبيل واهية، أولاً: لأن صديقه مسيحي وليس مسلماً، وهو يشاركه في معظم مشاريعه، ثانياً: لأن التعامل الاقتصادي مع اليهودي لم يحرمه الإسلام إن كان موافقاً للأحكام الشرعية، ثالثاً: يحاول أبو نبيل أن يرفع من قدر المسلم ويحط من قدر اليهودي موجهاً الكلام لصديقه المسيحي.

أما غدير فتتظر بعين خائفة إلى عصام زوجها والذي يمثل الشخصية المسلمة في عينيها، وتكشف لـ(نوري) ملخصاً لحياتها، فتقول: "أنا خائفة، خائفة إلى حد الموت، عصام متدين، صوفي مثل أبي، مرة لحقت بهم لأرى ماذا يفعلون في طقوسهم، فوجدتهم ومن معهم يقفون في دائرة ويهتزون كتيوس قطيعي، يتراقصون ويصيحون الله الله، وقد امتلأت أفواههم باللحاح²، فترسم غدير مشهداً مرعباً وتريه لـ(نوري)، وتجعل من الشخصية المسلمة وحشاً يتجرد من كل مشاعر الإنسانية، وتجعله شخصاً همجياً غائب الوعي. ومن ناحية أخرى تظهر تمرّداً وتجرواً على اللحاق بهم ولو أودى ذلك بحياتها، فتظهر وكأنها تبحث عن الحقيقة، ولا تدري لمن تنقل هذه الحقيقة البشعة، فوجدت في (نوري) مصدر أمان وراحة، فهو شخص متفهم تستطيع بثّ شكاواها له، وتستطيع مناجاته ومشاركته مشاعرها، وبذلك تخفف عن نفسها. والروائي في هذا الموقف يستغل ضعف غدير وحرزها، ويجعل وصف الشخصية المسلمة المتمثلة بأبيها وزوجها على لسانها، حتى يكون الأمر أكثر إقناعاً وأكثر مصداقية، وفي ذلك إجحاف بحقهما لأن مشاركتهما بأحداث الرواية تقتصر على ما تنقله غدير.

وتكنّ أم (نوري) المشاعر نفسها تجاه المسلمين، وفي جدال لها مع ابنها (نوري) الذي يحاول التعاطف مع العرب تظهر بعضاً من هذه المشاعر، فتقول: "سيظلون يكرهوننا، مع كل ما تبذل، إنهم لا يقبلون العيش مع الآخرين، هذا من دينهم. يا بني، أليس من الخطر زيارة قراهم؟ فأنت لا تأمن غدرهم"³. إن الجدار العازل الذي يمنع أبا نبيل من التعامل الاقتصادي مع اليهودي يظهر مرة أخرى عند أم (نوري)، فهي تحمل مفهوماً خاطئاً عن الإسلام وتظن أن العقيدة الإسلامية تحول بين العرب واليهود، ومرة أخرى يقترن العربي بالمسلم لينصهرا ويصبحا مفهوماً واحداً بعين اليهودي، فتحاول تحذير ابنها من القرى العربية، وتريد الابتعاد عنهم قدر الإمكان، وتشجع فكرة وجود الحاجز بينها وبين العرب، وهذا الحاجز عندها سببه الدين الإسلامي، فهي مثل من يرى

¹. ينظر: لامير، ألي، يسمي، لا' 401.

². المصدر نفسه، ص 241-242. بتصرف.

³. لامير، ألي، يسمي، لا' 271. بتصرف.

"في دخول الإسلام انتماء إلى العرب، وتكاد العربية أن تكون مرادفة للإسلام في الفترة الأولى بنظر الشعوب الأخرى"¹، ويتكرر الموقف نفسه بشكل آخر، لكنه يحمل الطعم ذاته، ففي محطة راديو يهودية دينية تسمع (ليئات) المذيع يصرخ متألمًا بأن البنات الإسرائيليات أرواح ضائعة، يتزوجن العرب ويسلمن ويرافقنهم إلى قراهم، فيُضربن ويخدمن عائلاتهم كالإماء²، فتقوم الروائية ببث الرأي اليهودي عبر محطات الراديو.

تظهر في هذه المواقف بصورة غير مباشرة دعوة للتحرر والابتعاد عن الدين، ولا يقتصر هذا على الدين الإسلامي فقط، فياسمين تفقد الإيمان بالكنيسة أيضًا، وحصل ذلك عندما أرادت أن تشيد قرية شبابية في الوسط العربي، فاختارت المطران ليكون شريكًا لها، فقام بخدعها واستغلالها، فتقول لـ(نوري) الذي سألها عن وضع القرية الشبابية: وصلت إلى طريق مسدود، ولم أوفق في اختيار الشريك، فالمطران الذي اخترته شريكًا كاد أن يغتصبني، لم أعرف أن النساء والمال هما محورًا تفكيره، وقد اكتشفت ذلك متأخرًا بعد أن بذّر أموال الصدقات³. فتحاول ياسمين أن تضع يدها بيد الكنيسة لإعمار الأرض ولبناء قرية شبابية لإفادة المجتمع والارتقاء به، لكن المطران خذلها واستغل اسم الدين لإشباع رغباته وملذاته، ويظهر الدين مرة أخرى كالوحش المخيف الذي ضحيته المرأة، ولم تتجح محاولة ياسمين في مصالحة الدين وجعله شريكًا لبناء القرية الشبابية التي ترمز إلى التقدم والتحضر، فالدين عندها حفرة تمنع عمومًا المجتمع من التقدم، وتدفن خصوصًا النساء وتكتم أفواههن.

وإن كانت ياسمين قد تخلت عن الدين تمامًا، فلم يفعل ذلك أبوها، وإنما كان مترددًا محتارًا، تارة يتضرع إلى السماء وينظر إلى الأعلى ويتساءل: أين أنت يا الله؟⁴، وتارة يخرج سبحته ويعبث بها⁵، وتارة يخرجها من جيبه ويندم فيعيدها⁶، فلم يكن موقفه من الدين واضحًا، وكان أقرب للعادة منه للمنهج، عنده الدين أعمال لا إرادية، أعمال موروثية آبا عن جد، تتمثل في خرزات منظومة يقلبها بين أصابعه. والمفارقة أن هذه السبحة عند سعيد لم تكن رمزًا دينيًا وإنما اعتبرها الدرس الأول في علوم الاقتصاد، كان يأخذ السبحات من تاجر ويقوم ببيعها

¹. الدوري، عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية - دراسة في الهوية والوعي، ص 51.

². ينظر: رבניאן, דורית, גדר חיה, 'ע' 39-40.

³. ينظر: لامיר, אלי, יסמין, 'ע' 377.

⁴. ينظر: لامיר, אלי, יסמין, 'ע' 27.

⁵. ينظر: المصدر نفسه، ص 148.

⁶. ينظر: المصدر نفسه، ص 153-152.

في السوق، فالسبحة هي الدرس الأول في سوق العمل للتحضير لبناء الدولة¹، فهذا الدرس هو نظرة مادية مجردة تكون ركيزته الأساسية العمل، وليس مجرد الكلام. ولا يعني ذلك أنه ضرب الدين بعرض الحائط، فقد أخبر سعيد صديقه (داليا) بقصة مولده، فعندما ولدته أمه ظنوه ميتاً، ووضعوه جانباً، وقام من حولها بتعزيزتها وحاولوا التخفيف عنها بأن ستلد أولاداً أكثر في المستقبل، وبينما هم بهذه الحال إذ تدخل جارتهم العربية المسيحية الممرضة فتسرع نحوه وتسعفه وتتقذ حياته²، فيجعل الروائي من العربية المسيحية بطلاً، ويجعل الفضل كله لها، ويستغل هذه القصة ليستعطف القلوب، ويجعل من وجود اليهودي على أرض ليست له مقبولاً، فيطلب من المسيحيين تحديداً تقبل اليهود ومساندتهم، فالممرضة هي من مسيحيو فلسطين، الأم التي ساعدت المهاجر اليهودي واستقبلته واحتضنته وأعنت له استمرارية الحياة.

- صورة المقاوم العربي:

تظهر صورة المقاوم العربي في الرواية الإسرائيلية بعدة مستويات، فهناك المقاوم المسلح الذي يضع سلاحه على كتفه ويرفع راية الجهاد، ولا يبالي بسكب الدماء، وهناك المقاوم المفاوض الذي يجتمع مع اليهودي على الطاولة السياسية ويحاول معه التوصل لحل، وهناك المقاوم الكاتب الذي يرفع لواء القلم ويقوم بتوعية الناس عن طريق كتاباته في الصحف، وهناك المقاوم الصامت الذي ليس بيده حيلة غير الدعاء.

تتجلى شخصية المقاوم المسلح في رواية ياسمين بشخصية نبيل، الذي لا يؤمن إلا بالقوة، فما أخذ بالقوة عنده لا يسترد إلا بالقوة، فينضم لخطوط المقاومة المسلحة بعد دعوة عرفات له³، والمقاومة تتجابه مع جيش الاحتلال في محاولات لإخضاعها، وغالباً ما تبوء هذه الجهود والمحاولات بالفشل. ومثل ذلك موقف أبي جورج مع أبي شوكت وابنه الصغير، عندما كانوا يراقبون عن بعد مجموعة من الشبان المسلحين يجابهون جيش الاحتلال، واللافت للنظر في هذا الموقف، الطفل الصغير الذي يلقي على أبيه وأبلاً من الأسئلة: "أبي هل هؤلاء اليهود، أبي لماذا لا تردّ، أين جنودنا، لماذا لا يتوقف اليهود، أبي لماذا لا يقوم جيش المقاومة بقتلهم،

¹. ينظر: كوهن، إرن، سعيد، ع' 74.

². ينظر: المصدر نفسه، ص 146.

³. ينظر: لامير، ألي، يسمين، ع' 107.

ماذا سيحصل الآن؟¹ ويبدو من وابل الأسئلة هذه أنّ المقاومين المسلحين مختبئون في زقاق الطرق، عددهم وعدتهم قليلة، في مقابل المدرعات والمجنزرات، وفي مقابل جيش منظم ومتدرب، ولهذا فغالبًا ما تبوء جهودهم بالفشل. أما أبو جورج وأبو شوكت، فينظران من بعيد ما بيدهم حيلة غير شتم العدو والهتاف للمقاومين والدعاء لهم.

ولا يقتصر دور أبي جورج على المقاومة الصامتة فقط، بل ويحاول التفاوض مع زملائه العرب أحيانًا لما فيه مصلحة العامة، فيحدثهم قائلاً: إذا استمرت عملية تعطيل تجارتنا من قبل اليهود، فلن يفلس أي منّا، لكن من سيطعم أطفال عمالنا؟ أعرف أن الصهاينة ينفذون حيلة وسخة، إخواني لقد خسرنا الحرب، ولا نستطيع مد أرجلنا إلا بما يتناسب مع غطائنا، لماذا لا نلعب لعبتهم ونضع شرطاً أو شرطين، أليس ذلك أفضل من الحكم العسكري، منذ متى صار قادة المجتمع الذين يقلقون على شعبيهم مجرمين، ألم نر أن قادة الشعوب تفعل ذلك من أجل شعوبها على مرّ التاريخ؟² فيحاول أبو جورج إقناع قادة المجتمع بإرجاع المياه إلى مجاريها، وبالتفاوض مع اليهود خوفاً من إفلاس الطبقة العامة في المجتمع، ويظهر قلقه على أطفال العمال، ويطلب من زملائه التفكير بهم، فما يفعله ليس منبعه الخضوع والإذعان لليهود، وإنما منبعه ضعف العربي في الوضع الراهن بعد خسرانه الحرب.

وفي موضع آخر يقوم أبو جورج بشتم اليهود، فيقول: "من هم اليهود؟ كلاب أبناء كلاب، أولاد إبليس، عفاريت، لا رحمة عندهم، ولا شيء يقف في طريقهم. أخبره أبوه مرة أنهم يلدغون كالنمل، حمير أبناء حمير، كيف يتجرؤون دخول الأقصى أقدس مقدسات الإسلام؟ أي وقاحة هذه، سيقاومهم المسلمون كلهم، داهموا قرينتنا، وطردونا من الطالبية، وتحالفوا مع البريطانيين والفرنسيين ضدنا، كل مصائبنا منهم، منافقون أبناء منافقين، يسمون جيشهم "جيش الدفاع" ويهاجمون، يشنون الحروب بحجة الدفاع."³ فيحاول أبو جورج المعارضة والإنكار بينه وبين نفسه، فينظر إلى اليهود بعين القهر، وليس له حيلة غير الشتم والذم لعل ذلك يخفف من

¹. المصدر نفسه، ص 27. بتصرف

². ينظر: المصدر نفسه، ص 124.

³. لامير، آلي، يسمير، لا 28. بتصرف

نكبتة، ويتعاطف مع المسلمين ويشعر بفاجعتهم، ومن خليط الحزن والغضب هذا يتذكر الطالبية وتهجير عائلته فينتكس ويقاوم ولكن بصمت.

أما عن مقاومة ياسمين، فتبدأ من اللحظة الأولى التي تدخل فيها البلاد، تبدأ بابتسامة مرّة عند قراءة الشعارات التي تغطي الجدران: "النصر قريب"، و"تعيش الوحدة العربية"، كما أنها تحمل ثلاث رسائل من فايز مسؤول "فتح" في باريس، وعند رؤيتها للجنود الإسرائيليين ندمت لوهلة على موافقتها للعب دور السفيرة الدبلوماسية، لكن لا مجال للتراجع¹، فتقوم ياسمين بالمخاطرة بكل شيء، بحريتها وبشهادتها الجامعية التي من الممكن أن تفقدها جراء هذا الفعل. ومسؤول فتح في باريس يجدها أهلاً لحمل الرسائل السرية، ويثق بها لإيصال الرسائل للعنوان المحدد. فتعدّ ياسمين مقاومة فعالة، لا تقتصر مقاومتها على الصمت أو الشتم، وإنما ترتبط بجماعات المقاومة المسلحة وتحاول مساعدتهم، فتجدد نفسها عميلة سرية في خطوطهم.

وفي نقط التفتيش والحواجز، لا تتصاع للأوامر، وتحاول أن تقاوم أوامر العسكري، وتحاول إغاضته والنيل منه، وتبدي عدم مبالاة، فنقول له: "لن أفتح أي حقيبة، أردتم التفتيش فهاكم الحقائق"²، فتتحدى الجيش كله، مع أن الواقف أمامها جندي واحد إلا أنها توجه الحديث لجميع الجنود، وتثبت على موقفها لتظهر المعاناة الفلسطينية من هذه الحواجز، فمهما حاول الجنود تجميل الاحتلال بلغتهم اللطيفة وبمساعدهتها بحمل الحقائق إلا أنها لا تتخضع بهذه المظاهر الكاذبة، وعندما تتجح ياسمين بإغاضة الجندي يشير إلى باب الخروج بوجه عبوس دون مساعدتها بنقل الحقائق كما فعل في بداية الأمر.

وتتجلى مشاعر المقاومة عند ياسمين عندما تفتح التلفاز فإذا بحفلة لبنانية تعرض، فتشتاط غضباً وتقوم بإغلاق التلفاز مباشرة، وتدير وجهها نحو الحائط³، فتفضل شاشة بيضاء على أن تشاهد غناء ورقصاً، وتغلق التلفاز رافعة يديها من هذا العمل المستقبح، فلا تريد تدنيس يديها، وإنما تدير وجهها متبرئة من هذا العمل المشين خاصة بعد جرعة الذل في نقطة التفتيش.

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 131-130.

². المصدر نفسه، ص 134. بتصرف

³. ينظر: لامير، אלי, יסמין, 'ע' 138.

وعندما يعرض عليها (نوري) المساعدة في تسريع إنشاء القرية الشبابية ترفض ذلك ولا تقبل المساعدة منه، فقد قالت له: شكراً، لا أريد مساعدتكم، لربما يضرّ ذلك بالمشروع¹. ومع أنها واقعة في حبه، إلا أنها لا تزال واقعية، ولم يسرق الحب بصرها، فهي ترى الأمور واضحة، وتتحدث مع (نوري) كحديثها مع جندي التفتيش، أنتم ونحن، فريقان بينهما حاجز، غير قابلين للاختلاط، كالزيت والماء، وصراع العاطفة والعقل عندها أكبر مقاومة.

وتستمر ياسمين في مدافعتها عن الموقف الفلسطيني بحضرة مرشدة (نوري) من الكيبوتس التي تدعي أن اليهود أتوا على قرية خاوية، لا شيء فيها سوى المرض، أتوا على أرض قاحلة، فترد عليها ياسمين: "وكان هناك عرب أيضاً، أليس كذلك؟"، فتقول المرشدة (سونيا): "نعم، كان هناك عرب متخلفون، وجلبنا لهم قيم الغرب وثقافته". فتسخر منها ياسمين: "أجل جنّتم لفعل الخير". وتشرح (سونيا) دون الالتفات لملاحظتها: "لقد فعلنا كل ما بوسعنا لتحسين العلاقات مع جيراننا في القرى العربية منذ اليوم الأول، كنا نأمل أن يفهموا أن عدوهم الحقيقي هو الاقطاعي المستغل. لقد كانت آلتنا في خدمتهم بالمجان، هيأنا أرضهم للزراعة، وملأنا آبارهم بالماء، وفتحنا عياداتنا لتطبيب مرضاهم، أما أننا نستطيع التعايش معاً بسلام". فقاطعتها ياسمين: "ومن أجل هذا خضنا حرباً مرة أخرى، وغزونا المزيد من المناطق."² فتتسب (سونيا) الفضل لليهود، الذين قدموا بحسب ادعاءاتها لاصلاح الأرض ولطرد المرض، فأينما يحلوا يكسوا الأرض خضاراً، ولا يقف عند هذا الحد، بل أتوا لإخراج العرب من غياهب الظلمات والجهل إلى النور المشعّ والعلم، فسخروا أدواتهم من أجل خدمتهم، وأما ياسمين فلم تعد تحتتمل، فانفجرت لتدحض كل هذه الأباطيل، وما كان عليها أن تشرح كثيراً، وإنما جمعت كل المعاني في كلمة واحدة، فلم يكن عليها أن تذكر شيئاً آخر غير الغزو، فكيف بمن يعدّ نفسه ملاكاً مخلصاً أن يقوم بغزو وشنّ حرب.

ولا تزال ياسمين تقاوم حتى بين ذراعي عشيقها (نوري)، فعندما اضطجعا معاً، وأراد إطفاء النور بداية، إلا أنه عدل عن ذلك بحجة أنه يريد أن يراها ويريد أن يحبّها بعينه أيضاً، فاغرورقت عيناها بالدموع وقالت: "أيها المحتل الناعم". فينكر عليها ذلك ويقول: "أنا لست محتلاً ولا أريد أن أكون، أريد أن أعيش معك، وأريد أن

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 344.

². المصدر نفسه، ص 385-386. بتصرف.

أحبك". فاعتذرت منه بسبب العادة الشهرية، فالتصق بها وصار اللحم لحمًا واحدًا وصار النَّفس نفسًا واحدًا¹، فلا تزال ياسمين تتذكر أن (نوري) يهودي، ولا تزال تتاديه بالمحتل رغم كونه عشيقها، وتحاول التخفيف من وطأة ذلك بإضافة وصف لطيف، أما (نوري) فينكر عليها ذلك، ويريد أن يكون جزءًا منها ومن عالمها، لكن الواقع يأبى ذلك، ويصبغ أحلامهما بلون الدم، فلطالما سكبت الدماء على أرض فلسطين، وهذه الدماء تحول بين هذه العلاقة وتخربها. ومن منظور الروائي الإسرائيلي الذي يحاول التعبير عن القضية الفلسطينية-الإسرائيلية عبر شخصية ياسمين فيرى أن هذه العلاقة مركبة ومعقدة جدًا، وتصل في النهاية علاقة ياسمين مع (نوري) إلى طريق مسدود، ولا يجدان حلًا، فتعود ياسمين في النهاية إلى فرنسا وكأنها تنتظر الأزمة الفلسطينية-الإسرائيلية حتى تنتهي، فقد سافرت بعيدًا لأنها لم تعد تحتمل، وبعثت لـ(نوري) رسالة وداع تكشف فيها عما يجول في صدرها من مزيج الأحاسيس المتناقضة، فأبي مستقبل ينتظرها إن تنازلت عن هويتها؟² فتجربتها مع نقاط التفتيش خيبت ظنونها، وتخبره عن إعجابها بالشعب اليهودي، الذي حمل أسفار التوراة على ظهره، وقد تبادل الدور مع العرب، فهو الآن بعد أن حقق حلم العودة وضع الأحمال عن ظهره، وصار اليهود فراغته، وصار العرب عبيدًا. والآن على العرب أن يحملوا حلمهم على ظهورهم حتى يعيدوا أرضهم وكرامتهم ولو استمر ذلك ألفي سنة.³ فتبدو متفائلة في نهاية المطاف، ولا مانع من طول الأمد، فما يهم أن يبدأ العرب بالحلم، ومن ثم العمل لتحقيق هذا الحلم.

- صورة المطبّع العربي:

إن طبيعة العلاقة بين الفلسطيني والإسرائيلي اليهودي تجعل كلاً منهما يتأثر بالآخر، خاصة من تكون علاقته بهم علاقة مباشرة ذات احتكاك وتفاعل دائمين، كمن يعمل في المستشفيات الحكومية في إسرائيل أو في المدارس وما إلى ذلك، وواضح أن التأثير السائد هو تأثير القوي على الضعيف، فيحاول اليهودي أن يمنهج هذا التأثير ويخطط له لما فيه منفعته، يهدف بذلك إلى التقليل من توتر الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، أو قل بكلام آخر إخماد ناره.

¹. لامير، آلي، يس مي، لا' 393-392. بتصرف

². ينظر: المصدر نفسه، ص 407.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 410.

ومثال لهذا التخطيط تحكم الروائي اليهودي في الشخصية العربية في أحداث الرواية، ولا يبدو هذا التحكم تحكماً مطلقاً لأنه ببساطة لن يكون واقعياً، إذ ليس بإمكان الروائي اليهودي التلويح بمسدسه بيمينه ومسح خد العربي بيسراه، فذلك تناقض ما بعده تناقض، فلن يقنع أحداً إلا إذا ترك الشخصية العربية تتصرف على سجيتها، ولا يتدخل ولا يقحم نفسه فيها، ثم يدسّ بعض الأفكار في وعي الشخصية العربية التي تدعوها للتشكيك في بعض المفاهيم، أو تكون هذه الأفكار كضباب يمثل أمام عيني الشخصية ويحجب عنها الرؤية أو يزيل صفاء الصورة. مثلما حصل مع أبي جورج عندما دعاه أخوه للانتقال إلى أمريكا، وقال له: "من يعرف كم الوقت الذي فيه سيقتل العرب واليهود بعضهم بعضاً، اهرب من هناك، ودع ياسمين تنشأ في مكان آمن"¹. فيحاول الروائي زرع فكرة الهجرة في ذهن أبي جورج، ويفعل ذلك على لسان أخيه يونس ليبدو أكثر اقناعاً، ثم إنه يستثنيه ويسلخه من طرفي الصراع، فالطرفان عنده هم العرب واليهود، فيستخدم لفظة العرب، وكأن أبا جورج طرف ثالث لا دخل له بالصراع، فيقوم الروائي بمحو هويته العربية، ويقوم بإخراجه من دائرة الصراع، واسترجاعه للموافقة على الوقوف خارج محيط الدائرة، ويستغل الروائي اسم ياسمين لتطغى العاطفة على المنطق والعقل، فأبو جورج سيفعل المستحيل لحفظ ياسمين ولتأمين مستقبلها.

وفي موضع آخر يبدي أبو جورج قلقاً حول تجارته وعمله، فيقول لأبي نبيل: في هذه الأثناء، قوام حياتنا متعلق بهم، خرب الله بيوتهم، يتحكمون بحركتنا، ويتحكمون بالضرائب والرسوم الجمركية، والتجارة والبناء، وحتى رخص استيراد الجعة الهولندية بأيديهم²، ففي نبرته استسلام وخضوع، وإيحاء بأن قوام الحياة لا يكون إلا بشفاعتهم، فيحاول أبو جورج إقناع أبي نبيل بالتعاون مع اليهود بصورة غير مباشرة، فيظهر قهره منهم ويقوم بشتيمهم، ومن ثم يدرج كمّاً هائلاً من المبررات التي تسوغ التعامل معهم وتجعله شرعياً. ويكرر أبو جورج محاولاته في إقناع أصدقائه بالتعاون مع اليهود من أجل المصلحة العامة ومن أجل أبناء العمال³، فيفعل كما فعل أخوه يونس، ويستغل الحديث عن الأبناء وعن مستقبلهم، مما يجعلهم يلينون ويتراجعون عن مواقفهم، فينسون المستقبل البعيد، وتتمركز نظرتهم نحو اللحظة الآنية. ولربما كان أبو جورج صادقاً فيما يدّعي، بل من

¹. لامير، ألي، *يسمير*، ص 105-104. بتصرف

². ينظر: المصدر نفسه، ص 106.

³. ينظر: لامير، ألي، *يسمير*، ص 124.

المنطقي أن يهتم بعماله وبأبنائهم، لكن ما يحجب هذا الفهم: أولاً معاملته واحتكاكه مع اليهود دون داعٍ، وثانياً نظرتهم إليهم، فيرى فيهم الشعب المخلص والمستقبل الواعد ومنهل العلم، فيأتي مرة يعتذر من (نوري) لأن ياسمين تخلفت عن موعدها مع مدير القرية الشبابية، ويبرر لـ(نوري) أن ياسمين تظن أنها إذا أكملت دراستها في مؤسستهم فهذا اعتراف بالاحتلال، ويحاول أبو جورج إقناع ابنته أن هذه المؤسسة ستخدم دراستها وسترفع من مستواها المهني، ويسانده في رأيه هذا السيناتور (أنطوان) الذي لا يعترف بالاحتلال مطلقاً على حدّ أقوال أبي جورج¹. وفي ذلك بعض الغرابة والعجب، فياسمين تحضر لدرجة الدكتوراة في أفضل جامعات العالم وليست بحاجة إلى أي مؤسسة لترفع من شأن دراستها، وعلى ما يبدو ما هذا إلا تملق وتزلف من قبل أبي جورج. وموقف آخر يشكك بصدق نية أبي جورج، حوار مع (نوري) ودعوته لمنزله، وحديثه معه عن أبي نبيل الذي يأبى نشر إعلانات اليهود في جريدتهم، ويبرر أبو جورج موقفه لأبي نبيل أن هذا عمل ولا علاقة له بالسياسة²، إذا فقلقه هذا ليس سببه أبناء العمال وليس الخوف على مستقبل هؤلاء الأطفال هو السبب وراء محاولات الإقناع هذه، بل يبدو أن الدافع لذلك أمر آخر، يتمثل في مطمع اقتصادي شخصي، يحاول أبو جورج إخفاءه والتستر عليه بغطاء مرّقع بال، يقف على كل رقعة منه طفل من أطفال العمال.

فينجح الروائي في زعزعة مفاهيم رئيسة عند أبي جورج، ثم إن اختياره له لم يكن عبثاً، فأبو جورج طرد من بيته، واستولى اليهود على معظم أملاكه، فجاء الروائي وطمر ذاكرته، وخلق له حياة جديدة، وجعل له هدفاً جديداً، وأضحت كل غاياته منصهرة في غاية واحدة هي ياسمين، فأثبت الروائي فكرة "دعك من الماضي" في ذهن أبي جورج وسقاها بفكرة "مستقبل ياسمين" ليسير شخصيته كيفما أراد، وليروج من خلاله الدعاية التي يريد.

أما شخصية ياسمين وإن بدا عليها في بعض المواقف قناع التطبيع، إلا أن ذلك القناع سرعان ما يتلاشى فتعود لفطرتها، كأن هذا القناع عبارة عن شك عابر، وتردد لحظي، ومن ذلك عندما رأت في السوق امرأة تلبس عقداً فيه خرزة نجمة داوود، فتذكرت ياسمين (عدناة) صديقتها من أيام الطفولة التي أهدتها خرزة مطابقة تماماً للتي رأتها، حتى أنها لبستها لأيام إلى أن فهمت من نظرات من حولها أن ذلك غير مقبول، فخلعتها لكن

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 147.

². ينظر: المصدر نفسه، ص 204.

احتفظت بها¹، فتعاملت مع الخرزة على أنها هدية صديقة مقربة منها، ولم تتعامل معها على أنها رمز لليهودية، وبعد أن شعرت أنّ ذلك غير مقبول قامت بالاحتفاظ بها بعيداً وباتت الخرزة مجرد ذكرى لـ(عدناة)، ولا يخفى أن هذه محاولة من الروائي لإجبار ياسمين على الاعتراف باليهود من خلال اعترافها بصديقتها اليهودية التي يتضح من أحداث الرواية أنها لا تملك غيرها، وهذا أمر مريب، فياسمين امرأة مثقفة تتكلم لغات عدة، ذكية وجميلة، ومع هذا لا تجد في الرواية ذكراً لأي صديقة سوى (عدناة)، وهذا مدعاة للشك، فلا يعقل ألاّ تجد أصدقاء لمثل هذه الشخصية الناجحة، ويبدو أنّ الروائي تعمّد ذلك لجعلها وحيدة أمام تيار جارف.

¹. ينظر: لامير، آلي، يسمين، ع' 143.

الفصل الثالث: الفضاء المكاني العربي من منظار الروائيين اليهود

- البيت ومتعلقاته
- دور العبادة
- الأسواق
- القرية والمدينة
- الحدود والمناطق الحرجة (نقط التفتيش والسجون)

- البيت ومتعلقاته:

لا أحد ينكر أهمية البيت، فهو موطن النشأة، ومحطة الذكريات الأولى، تترعع فيه الشخصية وتكبر رويدًا رويدًا ليصبح جزءًا منها، ويدخل مجال تعريفها، فيغدو نقطة أصل في ذهن الشخصية لا بدّ أن تعود إليه بعد انتهاء دورة العمل أو قضاء أشغالها خارجه، فإن لم تستطع فعل ذلك جسديًا طارت إليه عبر مسرح الذكريات لتنتقل في أرجائه حزينة كئيبة على فقدان ما ملكت مرة. وعند (باشلار) "البيت هو ركننا في العالم، إنه كما قيل مرارًا، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى"¹.

ويحنّ أبو جورج إلى بيته عندما يتذكر الطرد من الطالبية بعد خروج الإنكليز من القدس سنة 1948، "في 18 أيار وبعده أخذ اليهود يحتلون أجزاء كبيرة من القدس. فأتوا الاستيلاء على القطمون والبقعة والطلبية والنبي داود وحيّ الثوري وغيرها"²، وعندما عرض يونس على أبي جورج الانتقال لأمريكا مبررًا رفضه أن الانتقال من الطالبية إلى الشيخ جراح فطر قلبه³ فما بال أخيه يود أخذه إلى طرف العالم، فأبو جورج انتقل من حيّ إلى حيّ في القدس نفسها، ويكفيه أن فقد بيته، ولم يكن ليسافر حتى لا يفقد مدينته أو موطنه كلّ. ويلفت النظر أن الروائي (إبلي عمير) يستمد أحداث روايته من الواقع وينظر إليه بعيون الشخصية العربية، كأنه يحاول مشاهدة الواقع من جديد من منظور الشخصية العربية.

وتحنّ ياسمين لبيت الطالبية كما يحنّ إليه أبوها، ففي الطريق من المطار إلى البيت عندما عادت من باريس، وبعد ذلّ التفتيش، تظهر صورة البيت القديم بوضوح، بيت الطفولة في الطالبية، ويتساءل (نوري): لماذا تفكر في هذا البيت؟ هل تودّ رؤيته مرة أخرى؟⁴ والسبب الذي يحاول (نوري) إخفائه بين جليّ، ففي فرنسا كانت بعيدة عن قلب الطفولة النابض، فلم تكن صورة البيت واضحة حيث كدر لونه وصار أغبش، أما الآن فذلّ التفتيش أوضح لها صورة البيت، وكذلك اقترابها الجغرافي لهذا المكان فمع كل خطوة إلى الأمام نحو القدس وضواحيها ترجع خطوة إلى الوراء في دهاليز الزمن والذكريات، ويتساءل (نوري) محاولاً دفن هذه الفكرة،

¹. جماليات المكان، ص 36.

². الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، ج 10 القسم الثاني، ص 296.

³. ينظر: لامير، ألي، יסמיך، لا' 105.

⁴. ينظر: المرجع نفسه، ص 136.

فهذا البيت أضحي ذكرى، فلتمرح في بيتها الجديد ولتترك هذا القديم، كأنه يقترح حلًا لصراع المكان. وحتى البيت الجديد لم يعد كما كان في نفس ياسمين، فالاحتلال أفسد نفسيته وقام بتلويثها، فصارت ترى بيتها أكثر ضيقًا، فما هي تدخل البوابة الحديدية وتدفعها بكتفها كما اعتادت أن تفعل في صغرها، تقف في مدخل الحديقة وتأخذ نفسًا عميقًا، وبركة السمك أمامها تبدو أضيق مما تذكر، أما الأشجار الخضراء المحيطة فتبدو أكبر وأضخم، وأما أزهار الحديقة تشع باللون الأحمر، والثلاثة مقاعد في وسط الحديقة قد غطى الصداً أرجلها، فألقت بجسدها على أحد المقاعد ناظرة إلى سور الحجارة والأشجار من حولها¹، فيبدو من هذه الصورة أن الاحتلال قد تغلغل إلى حديقة البيت، فالأشجار تمثل جنود الاحتلال ضخام الجثث مصبوغين باللون الأخضر يقفون مهددين ويطوقون المنزل، والأزهار شديدة الحمرة كأنها مصبوغة بالدم كمن وقع مدافعًا عن المكان، أما المقاعد التي تمثل عائلتها فهي مغروسة بالأرض تحاول المقاومة إلا أن ليس باليد حيلة، فظهرت علامات التعب والصداً عليها، وجدار الحجارة آخر ما يفصل بين البيت وجنود الاحتلال، ولن يصمد هذا الدرع كثيرًا، فلا تستطيع ياسمين محاربة هؤلاء الجنود بمجرد إلقاء الحجارة عليهم، فكانت النتيجة الزحف للداخل والهرب إلى داخل البيت بعد أن صارت ترى الأشياء حولها إما صغيرة ضيقة أو صدئة مرهقة. وتصد ياسمين إلى الطابق الثاني إلى حجرتها، فتتذكر غرفتها في باريس وكم هي ضيقة² وما هذه الفسحة التي شعرت بها في بيتها إلا بسبب هروبها من الحديقة التي كانت تحتضر.

وأما البيت القديم لطالما اشتاق له أبو جورج، فبعد انتهاء المقابلة في القرية الشبابية، طلبت ياسمين من أبيها أن يأخذها للبيت، فاقترح عليها أن يمرروا بالطالبية، فتجمدت ياسمين، فأضاف أبوها أنها ستكون زيارة خاطفة، وخلال دقائق توقفت السيارة أمام المنزل في الطالبية، فنزل أبو جورج وأبقى محرك السيارة مشغلاً، ينظر عبر البوابة إلى شجرة النخيل التي أضحت يانعة، وينظر إلى بوابة المدخل التي نحتها والده بيديه، ويسأل عن قطعة السيراميك التي خُفر عليها "بيت حلمي" بالعربية وبالإنجليزية، وياسمين لم تقترب وإنما تسمرت مكانها تنظر إلى بيت الطفولة الأول، ثم يركب أبو جورج السيارة ويوجه الكلام إلى (نوري) مستغربًا: لقد بنيتم كثيرًا، متى استطعتم إنجاز كل هذا البناء؟ ثم يتحدث أبو جورج عن جد ياسمين الذي صنع لها من الأخشاب

¹. ينظر: لامير، آلي، يسمين، لا' 136.

². ينظر: المرجع نفسه، ص 137.

مجسماً لهذا البيت وكان يستمتع بالنظر إليها وهي تفككه وتركبه¹. فجددت هذه الزيارة الجرح، فأبو جورج ينظر إلى بيته من بعيد ولا يستطيع دخوله، فيتحسس البوابة كأنه يلاطفها، وينظر إلى أشجاره التي كبرت ولا يستطيع قطف ثمارها، واسمه تم اقتلاعه من جذوره، ثم ينظر حوله مستغرباً من كل البناء ومن السرعة التي أنجز فيها، وكأنه يخاف على بيته من التغيير بل ينتظر ويتربص هذا التغيير، ويتضح استسلامه من البداية حين أفصح لياسمين أن الزيارة خاطفة، وحين وقف عند الباب ينظر من بعيد، وحين عرف أن اسمه تم اقتلاعه من الجدار، وحين أورد قصة المجسم الخشبي الذي يتفكك، فزيارته هذه على ما يبدو زيارة وداع، فتكرر محاولات طمس الجذور العربية ومحاولات إخفائها، فيأتي اليهودي ليمحو الآثار العربية من المكان، ويحذف الملامح العربية ويغيرها، ويرد هذا أيضاً في رواية "مقابل الغابات" ل(أ.ب. يهوشوع) حين أحرق الشاب العربي أشجار الغابة الكثيفة التي لم تقم إلا على خرائب قريته العربية وأنقاضها². وفي السيارة يخبر أبو جورج (نوري) بأنه في هذا المنزل ولدت ياسمين، وقد قامت بتوليدها امرأة يهودية، فيرد (نوري) أن مرضعته ومرضعة أخيه (كابي) كانت جارتهم المسلمة، كما أن أمه أرضعت ابن جارتهم إسماعيل، فتتحم ياسمين الحوار وتقول: "لم يحافظوا على البيت". فيسأل أبو جورج (نوري): "أتظن أنهم سيسمحون لنا بالدخول؟"، فرد (نوري): "قبل كل شيء لا بد أن نفحص من هو المالك". فتضطرب ياسمين من تعليق (نوري) وتساءل عن مقصده، فيتدخل أبوها ويسأل عن السجادة الفارسية في غرفة المضافة، فتطلب ياسمين من أبيها أن يأخذها للبيت³. فيتضح الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي من هذا المقطع، فالشعب الفلسطيني ولد على هذه الأرض، ويحاول أبو جورج أن يظهر حسن النية وتقبله للآخر فيعرض قصة اليهودية المؤلدة، وياسمين حية ترزق بفضل هذه المرأة اليهودية، أما (نوري) فيعرض قصة المرضعة المسلمة، لكنه يتفوق على أبي جورج في قصته لأن أمه قدمت العون أيضاً لابن المرأة المسلمة، فكأن اليهودي يرد الإحسان بالإحسان، وأبو جورج يبدو كمن يعيش تحت رحمة اليهودي فيستأذنه في الدخول إلى منزله ذليلاً، في حين تأبى ياسمين وتتضايق وتقرّ من هذا المأزق طالبة من أبيها أن يقلّها للبيت مرة أخرى. كذلك يتضح الصراع في مسألة المساومة، فأبو جورج فقد البيت كلّه فيساوم على قطعة السجاد

¹. ينظر: المرجع نفسه، ص 155-156.

². ينظر: مزعل، غانم، الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، ص 78؛ وينظر: رايوخ، جيلا رامراز، العربي في الأدب الإسرائيلي، ترجمة-نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح محمد فايق، ص 175.

³. ينظر: لامير، آلي، יסמיין, لا' 157.

الفارسية، وكان تضييع البعض أهون من تضييع الكلّ، لكن مساومته هذه تغشل، فلم يحصل حتى على قطعة السجاد التي أراد أن يحيي ذكرى البيت وذكرى أبيه فيها، وهذا المشهد شبيه بمشهد من قصة "أرض البرتقال الحزين" حين كانت تلتصق في عيون الأب كلّ أشجار البرتقال التي تركها لليهود، "كل أشجار البرتقال النظيف التي اشتراها شجرة شجرة، كلها كانت ترتسم في وجهه... وترتسم لماعة في دموع لم يتمالكها أمام ضابط المخفر..."¹، فالصراع أيضًا صراع على الذاكرة، وقد اجتهد الأدباء الفلسطينيون في تخليدها في أعمالهم، "فبقاء الفلسطيني في بلده، بعد أن تم محوه من الخريطة، هو بقاء إشكالي ومرتفع بالمفارقة في وقت واحد، ولا يمكن التعبير عنه إلا من خلال أدب المفارقة ذاته. وقد استطاع إميل حبيبي في أعماله الأدبية جميعًا أن يجعل النص ساحة تعج بما يمكن دعوته البنية التحتية للوجود الفلسطيني والهوية الفلسطينية التي تتميز بخصوصيتها وذاتيتها الثقافية داخل سياق الثقافة العربية العام، لأن أعماله تتطوي على أمشاج من الذاكرة الشعبية الفلسطينية.. لتؤكد عبر هذا النسيج الثري المتشابك أن الهوية الفلسطينية لا تزال حية على الرغم من جميع محاولات طمسها"² فأدب حبيبي يناقش وبجرأة، ودون تلغثم العلاقات اليهودية العربية في إسرائيل، ويوجه نقدًا لاذعًا للمجتمع الإسرائيلي ومعاملته للأقلية العربية في إسرائيل، كما أن هذا الأدب يجسد الوجود العربي القديم في إسرائيل، ويجند القارئ لإمعان النظر فيما يجري حوله"³. فمات بيت أبي جورج وطمس هو وما فيه، وتحول إلى مقبرة كما وصفته ياسمين متسائلة: أي شيطان تلبس أباها وقادهم إلى المقبرة التي كانت ذات مرة بيتهم؟⁴

أما البيت في الشيخ جراح فبوابته مفتوحة على مصراعيها⁵ ليس كسابقه، فكأن الاحتلال يشير إلى عهدين في حياة أبي جورج، العهد الأول عندما وقف موقف المعارض للوجود اليهودي الذي أدى إلى إغلاق بيته وحجزه ومصادرته، والعهد الثاني عندما تنحى جانبًا ليوقف موقفًا محايدًا، مما جعله قابلاً للتفاوض، ورمز له الروائي بفتح البوابة، فإن فتحها يعدّ منحًا للثقة واستعدادًا للتفاوض واستمرارية للحياة عنده، وإغلاقها يعدّ مانعًا

¹. كنفاني، غسان، أرض البرتقال الحزين، ص 85.

². حافظ، صبري، إميل حبيبي وسرد إحياء الذاكرة الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 7 عدد 27، ص 134.

³. مزعل، غانم، ترجمة الأدب الفلسطيني إلى العبرية: محمود درويش وإميل حبيبي أنموذجًا، مجلة أماراباك، مجلد 5، عدد 13، ص 12.

⁴. ينظر: لامير، ألي، יסמיין، لا' 160.

⁵. ينظر: المرجع نفسه، ص 207.

وحاجزاً لاستمرارية الحياة، فأضحى البيت القديم مقبرة ومنزلاً للشياطين لا يجزّ غير الآفات ولا ينبئ بالخير. وحتى يكون الأمر على بيّنة فإن إخراج العهد الثاني عن طور التأييد الذي يعدّ لأول وهلة أكثر تناسباً وتناغمًا مع المعارضة، كان سببه أن أبا جورج فقد بيته، ولو كان البيت المفقود بيت أحدٍ غيره وفعل ما فعل فذلك يكون تأييدًا بحثًا خالصًا، ولكن فقدانه لبيته رغمًا عن أنفه يجعل من الموقف المحايد أكثر ملاءمة وتماشياً مع المنطق. وبلغت النظر أن أبا جورج صار يعيش حالة اغتراب في داخل وطنه، مما أدى به لاختيار بديل سلوكي في محاولة لتجاوز اغترابه، فبديله هو "الرضوخ أو الخضوع للأمر الواقع لعدم القدرة على الهرب أو لسبب العجز واليأس من احتمالات تغيير هذا الواقع. وقد ينشأ عن مثل هذا الخيار في حالات الضعف قبول ظاهري ورفض ضمني ترافقهما نزعة التحلي بالصبر والتفجع والتملق والتسويغ".¹

وتتكرر مسألة فقدان عند حلمي، ولكن ذلك يحدث بعيداً جداً عن أرض الوطن، فيضيع مفتاح شقته أثناء نزهة مع صديقه اليهودية (ليئات) في شوارع (منهاتن) فيبدأ بالبحث عن إبرة في كومة قش، بينما تقترح هي الاتصال بمهني حتى يقتحم البيت² فضياع المفتاح سببه غفلة حلمي، وتلك استعارة واضحة لما يحدث في أرض فلسطين، فسبب ضياع الأرض هي غفلة أصحابها، وتأتي (ليئات) بحل بديل لتكتمل الاستعارة، فيأتي الغريب ليقتم البيت.

وجدير بالذكر أن الروائي الإسرائيلي لم يغفل عن حديقة العربي، فوصف شجرة الزيتون العتيقة التي بدت في ذروة ازدهارها³، فيربط بين فتح البوابة وإشراق شجرة الزيتون، فيجعل الإشراق نتيجة لفتح البوابة ومتصلاً به، وتلك دعوة خفية لرجوع العربي خطوة للوراء كي يتقدم اليهودي خطوة إلى الأمام ويجلب معه الحضارة المشرقة التي تعود بالنفع للطرفين حسب رؤيته. وتقابل شجرة الزيتون المشرقة شجرة أخرى في قرية الرينة، إذ تقوم عسلية خالة غدير باصطحاب (نوري) وغدير وأمها لرؤيتها، والشجرة في قرية الرينة تقف وحيدة محاطة بالحجارة والرمال⁴ فتطوقها الحجارة كاليد الخائفة، كيد الاحتلال التي تطوق عنق الفلسطيني وتتحكم به، فتقول

1. بركات، حلمي، الاغتراب في الثقافة العربية- مآهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص 62.

2. ينظر: رابينيان، دوريت، גדר חיה، لا 43.

3. ينظر: لامير، آلي، יסמין، لا 207.

4. ينظر: المرجع نفسه، ص 266.

عسلية: هنا حدث كل شيء، وصادر اليهود الأرض، وأعلن الحكم العسكري هذه الأرض أرضًا للتدريب العسكري، وأصدر منعًا بحق المدنيين من دخولها، وعلى إثر ذلك سجن أبو كريم لعدم امتثاله للأوامر، وبعد خروجه من السجن قامت الحكومة ببناء مدينة يهودية، هي تلك التي تقابلنا بعماراتها الضخمة، وكم أتمنى أن تزول في ليلة واحدة. يحبون العيش في الأعالي، ونحن نحب أن نتحسس الأرض، ومن ظنّ يوماً أنهم سيجرؤون على سرقة أراضينا واقتلاع أشجار الزيتون التي غرسها آباؤنا؟ بفضل آباتنا نحن نعمل قليلاً ونجني كثيراً. وجاء اليهود لرؤساء القرى وادعوا بأنهم سيقومون مدينة جديدة وسيفتتحون المصانع والمدارس ويشقوا الطرق ويوفروا فرص العمل من أجلنا¹. فتعيش عسلية مرارة الاحتلال مراراً، وتكذب ادعاءات اليهود الإصلاحية، أما الروائي فقد صور ذلك على نحو آخر، بشكل يخدم غاياته على أكمل وجه، فجعل من العربي يتمسك بشجرة زيتون وبمخلفات أجداده وموروثهم، وهذا الموروث لا يتماشى مع العصر ولا يناسبه، فبينما اليهودي يرتفع إلى أعلى ويشق طريقه نحو القمة يجلس العربي متربّعاً على الأرض أو حاضناً لشجرة الزيتون متخادلاً ومتقاعساً عن العمل يطمح بالربح الوفير، فأجرى هذا الوصف على لسان عسلية بما يشبه الاعتراف، فعندهم مدينة بعماراتها الضخمة، وهم فوق والعرب تحت، هم يعملون والعرب كسالى، ثم يوجه الروائي لكمة موجعة نحو العربيّ تتلخص في تدمير عسلية من وعود اليهود الكاذبة وادعاءاتهم الإصلاحية، والصحيح أن هذه الوعود والادعاءات سواء نُفِذت أم لم تُنْفِذ فإن الغلبة ستكون لليهودي، فلو نفذت فمعنى ذلك أن اليهودي مساعد للعربي ومخرجه من الظلمات إلى النور، وبالفعل جاء لاستعمار الأرض الخراب كما يدعي، وإن لم ينفذ هذه الوعود والإصلاحات فذلك يعني أنها غير موجودة أصلاً عند العربي، والعربي ينتظر الشخص القادر على فعلها، وبمجرد أنه قبل وعود اليهودي فذلك يعني الإيمان بقدرته والاعتراف بالقصور، وبذلك يفوز اليهودي بكلتا الحالتين.

لم تكن هذه المرة الأولى التي يدخل فيها (نوري) بيت أبي جورج ليلقى البوابة مفتوحة، ففي المرة الأولى كان المدخل الخارجي مغلقاً، وعندما فُتحت البوابة لم يرد ذكر شجرة الزيتون المشرقة، ربما لكون هذه الزيارة زيارة ليلية مما منع مشاهدتها، لكن الأحداث التي تلت تدحض هذا الرأي، فعند دخول (نوري) البيت بدا مستغرباً مما رأى، لأن ما رأى اختلف عما كان يتصوره عن البيت العربي، كان يتوقع أن تكون غرفة المضافة غرفة

¹. ينظر: لامير، ألي، יסמין, ע' 266.

تقليدية فيها مجلس منخفض وسائده صلبة خشنة، كما تعود أن يرى في بيوت العرب في إسرائيل، ففي بيت أبي جورج كان الأثاث حضارياً، فالكنب من الجلد، والمزهريات والتماثيل في كل زاوية، والصور تغطي الجدران، ولفت انتباهه (نوري) صورة مفتي القدس الحاج أمين الحسيني فأزال نظره عن القائد الفلسطيني المتعاون مع هتلر للقضاء على الشعب اليهودي¹. ومرة أخرى تكون فيها البوابة مغلقة ويظهر من تصرفات أبي جورج واستقباله لـ(نوري) أنه مستاء من هذه الزيارة، أما (نوري) فتصيبه الدهشة من رؤية غير المتوقع، ففي تصويره يبدو العربي عديم الذوق، يخلو من الإحساس، ولا يهتم بالفن، وعند رؤيته صورة أمين الحسيني أزاح نظره كمن خاب ظنه، فيجعل الروائي هذه الصورة كالبقعة السوداء التي تسد الباب بين العربي واليهودي، فيدعو بصورة غير مباشرة إلى إنزالها وغض الطرف عنها حتى تزدهر العلاقات وتفتح أبواب التفاوض. فأبو جورج أرض خصبة ليكون حلاً وسطاً يستطيع اليهودي التأثير عليه والتفاوض معه، فهو ليس كأبي عربي يتمسك بجذوره وموروثه، وإنما هو لئن الجانب منفتح للحوار لإعادة المياه إلى مجاريها وكأن شيئاً لم يكن.

أما البيت التقليدي الذي كان يتوقعه (نوري) فيتمثل في بيت عسليّة، فمدخله عتبة إسمنت يجلس عليها كلب ضخم ذو عينين حزينتين يولول كالطفل المهجور، وعندما اقترب منه (نوري) أخرج الكلب عويلاً كعويل النساء، ومع أن (نوري) يخاف من الكلاب إلا أنه عرف أن هذا المخلوق لا أسنان له²، فهذا البيت بمدخله المتواضع لا يثير الدهشة عند (نوري) فهو كما توقعه أن يكون، وأما الكلب فهو يشبه الإعلام الكاذب الذي يخدع الناس ويروج لهم فكرة الانتصار، ويبيدي ما هو على غير أصله، فضخامة من الخارج ونحافة في داخله، كأن هذا الكلب الحارس يربض على العتبة من غير فائدة، ويحتل البقعة الأهم مع أنه عديم الكفاءة. والبيت عبارة عن غرفة واحدة ضيقة ومظلمة، كعربة القطار المهجورة، ألقيت على أرضيتها عدة ملاءات³، فيتجلى الفقر في جميع أنحاء البيت المكوّن من غرفة واحدة، وما يلفت للنظر هو استخدام الروائي الإسرائيلي في وصفه لهذا البيت بالمقطورة المهجورة، فتتردد هذه اللفظة لتقترب بأوصاف العربي الذي يجعل من المكان مهجوراً، فوجوده في المكان يسبب خراباً ويترك دماراً، وأما المقطورة فترمز للهجرة والسفر فكأن في ذلك تلميحاً ما لنقل العربي

¹. ينظر: المرجع نفسه، ص 96.

². ينظر: لامير، ألي، יסמיך, لا' 264.

³. ينظر: المرجع نفسه، ص 264.

من مكانه، والمقطورة منقادة حيث تأخذها القاطرة، فإذا أراد العربي أن يزدهر ويتطور فلا بدّ له زيادة عن فتح بوابته وتقبل اليهودي على أرضه أن يمكث بثوب اليهودي وينصاع لأوامره، وليس هذا بالادعاء الجديد، ففكرة أن اليهودي جاء لاستعمار الأرض الخربة وإخراج العربي من الظلمات إلى النور قد تكررت كثيرًا في الأدب العبري، فقصيدة (نوعي شيمر) "القدس من ذهب" يعرفها كلّ يهوديّ وتغنى في الشارع الإسرائيلي، ويدور مضمونها حول حالة الخراب في مدينة القدس لخلوها من اليهود، فأبار المدينة جافة، والأسواق خالية، فتجاهل الشاعرة الوجود العربي عميق الجذور في المدينة¹. وهذه الظلمات تظهر في شقة حلمي في (بروكلين) عندما دخلت معه (ليئات)، فما أن حاول إشعال النور حتى احترق المصباح²، وتظهر كذلك في حلم أم (ليئات) عن السارق الذي حاول اقتحام بيتهم ليلاً الذي تطابق مواصفاته مواصفات حلمي³، فكأن هذه العلامات والرموز التي تدسها الروائية في زوايا المكان هي نظرة الرأي العام في علاقة العربي باليهودي، فالعربي محاط بالظلام، أما اليهودي فهو مصدر النور، ويقلق اليهودي من انتشار العرب وتزايدهم، ففي لقاء بين (ليئات) وأصدقائها في (نيويورك)، تحدث أحدهم عن موضوع أطروحته لدرجة الدكتوراة، الذي يدور حول اقتصاد السعودية في النصف الأول من القرن العشرين، فتستاء إحدى الجالسات من ذلك وتعلق بقلق على تزايد العرب في (نيويورك)⁴، فيرى اليهودي العربي سببًا للانحطاط، ويرى تواجده في المكان مجلبة للظلام والتخلف، ولا يقتصر الأمر على الظلام، بل تعبر الروائية عن الرائحة العفنة أيضًا، فتدمج حاسة البصر مع حاسة الشم في تصوير المكان، وتشرك أكثر من حاسة لتشكّل صورة مغلوطة عن العربي في ذهن المتلقي اليهودي، فعندما دخلت (ليئات) حمام شقة حلمي ضابقتها رائحة المجاري، فحمامه مغلق وليس فيه مجرى للهواء⁵، مثله مثل الفلسطينيين، يحيطهم الاحتلال من كل جهة، وليس هناك منفذ ولا متنفس.

¹. ينظر: مزعل، غانم، مدينة القدس في الشعر العبري: قراءة في نماذج منتقاة، مجلة رؤى فكرية، عدد 5، ص 163.

². ينظر: رבניאן, דורית, גדר חיה, لا' 58.

³. ينظر: المرجع نفسه، ص 145.

⁴. ينظر: المرجع نفسه، ص 138-139.

⁵. ينظر: المرجع نفسه، ص 71.

- دور العبادة:

ورد المسجد في رواية ياسمين بسياق سلبي، فتخبر غدير (نوري) عن لقاء زوجها السريّ مع أبيها وكيف أنهم يصرخون وينادون الله الله في حين تعالت أصوات الأذان من المسجد القريب فتجمدت غدير مكانها وشعر (نوري) بالتهديد¹، فجعل الروائي اليهودي المسجد مصدرًا للتهديد وبؤرة للإرهاب، ونسق الأحداث ولقاء غدير مع (نوري) بتوقيت رفع الأذان لترتبط ألفاظه مع ألفاظ جماعة أبي غدير، حتى يلتبس الأمر على السامع ويظن الأمرين سيّان. وفي موقف آخر يرتبط المسجد بالقتل، فيتذكر (نوري) مقتل الملك عبدالله على درج المسجد، ويخاف على مرافقه الوزير من لقاء المصير نفسه²، فتصير منطقة المسجد منطقة خطرة، والأحوط أن يُبتعد عنها للحفاظ على الحياة، فتلك دعوة صريحة لهجر المساجد وتركها، وتلك دعوة للتحرر من الدين، فالدين عند اليهودي يجزّ الأمم إلى الخلف ويقف عائقًا وحاجزًا من تقدمها، فلا أمان بقربه، فالملوك تغتال رغم الحراسة المشددة، فما بالك بالسكان والعامّة؟

ويبدو أن دعوة التحرر هذه تقتصر على المساجد فقط، فأبو جورج بعد أن ضاق صدره من كذب الصحف، خرج يتمشّي ويده خلف ظهره يقلب خرزات سبخته، وقد دخل من باب الخليل لينتهي به المطاف في مدخل الكنيسة المهمل وعند دخوله رأى سحابة من البخور في فضاء المكان فتذكر جده، ورأى الحجاج من كل حدب وصوب يملؤون الكنيسة، وأثار فضوله مجموعة إسرائيلية خمن أنهم من الكيبوتس بسبب لباسهم، يستمعون لمرشدهم بشغف، وبعد أن تلا أبو جورج صلاته خرج من الكنيسة معترفًا أن هذه الأرض تتكلم كل اللغات، وهي ليست ملكًا لأحد، إنما ملك للجميع³. ليست هذه المرة الأولى التي يتوجه فيها أبو جورج إلى سبخته وقت الضائقة، أما في هذه المرة فلم يكتف بذلك بل زيادة على ذلك قاده رجلاه إلى الكنيسة أثناء عبثه بخرزات السبحة، فوجد المبنى الخارجي للمدخل مهملاً، وفي داخل الكنيسة خليط من كل شعوب الأرض، واللافت للنظر أن أبا جورج لم يعر أحدًا اهتمامًا كما أعار مجموعة الشبان اليهودية وبعد رؤيتهم اعترف أن هذا المكان

¹. ينظر: لامير، ألي، يسميين، لا' 242.

². ينظر: لامير، ألي، يسميين، لا' 245.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 259.

ملك للجميع، فجعل الروائي اليهود قطعة ناقصة ما إن ظهرت حتى أدرك أبو جورج أن الكنيسة وهذا المكان المقدس هو ملك عام للجميع.

وعند اليهود يظهر التجمهر بجانب حائط المبكى، فيجعل الروائي المكان حافلاً غير مهجور، يقول على لسان (نوري): "والآن عندما أصبح الحائط الغربي تحت تصرفنا أستطيع اصطحاب أمي إليه، وعندما ذهبنا إلى هناك أضاء وجهها، وهناك في ساعات الصباح وجدنا المتدينين والعلمانيين والسائحين والشرطيين والجنود، رغم اختلافهم بدوا جمهور حجاج من الأيام الخوالي"¹. فيبرز الروائي قضية الانتصار، فقد صار هذا المكان المقدس تحت سيطرتهم، ويجعل هذا الانتصار مدعاة للراحة النفسية، فبسببه أضاءت الوجوه، ويجعل من الاحتلال مسألة دينية يأخذ فيها اليهود ما كان مرة لهم بسابق الأيام، ولا يقتصر جمهور الحجاج على المتدينين فحسب، بل جمع كل فئات المجتمع اليهودي، فهناك العلمانيون أيضاً وبذلك يجعل اليهود ملتزمين بقضيتهم، ومتكاتفين مجتمعين من الشتات، وأضاف الروائي عنصراً خارجياً وهم السواح حتى يظهر تعاطف العالم معهم ومع قضيتهم، ولا يتوانى بإقحام القوة عبر الشرطة والجنود كأنه يعلن طراوة الحدث فما أن حط الجندي سلاحه حتى تهباً للعبادة والصلاة، كما أنه موجود للدفاع والمحافظة على المكان.

- الأسواق:

يعدّ السوق مكاناً نابضاً حيويًا، فشوارعه غالباً ما تكون مزدحمة، ويعني ذلك امتزاج فئات المجتمع المتنوعة، وامتزاج اليهود والعرب، وهذا التقارب بالمكان يجبر كلاً من اليهودي والعربي على التعامل مع بعضهم بعضاً مما يؤدي إلى تشكّل تصور لكل منهما عن الآخر.

يحاول الروائي اليهودي أن يسيطر على المكان، فيستغل الازدحام ويصبغه باللون اليهودي، فالسوق المزدحم بمئات الأشخاص معظمه من اليهود²، فيرسل رسالة محتواها أن هذا المكان يعمّ باليهود مما يضيفي شرعية لأحقيتهم بهذه الأرض، وليس هذا فحسب، بل يجعل منهم سبباً في انتعاش الحياة الاقتصادية، فلولاهم لكانت شوارع السوق صحراء خالية. فاليهود من وجهة نظر الروائي سبب في حيوية السوق وانتعاشه، وهم الذين يبقونه

¹. المصدر نفسه، ص 87-86. بتصرف

². ينظر: لامير، ألي، *يسمין*، ص 87.

على قيد الحياة، فاليهود يعدّون القلب النابض الذي يضخ الدم في أوردة السوق. وموقف مثير للدهشة يحدث مع (ليئات) عند انتظارها الدور للدخول إلى الحمام، فباب الحمام موصود وتظهر كتابة باللغة الإنجليزية "occupied" فتتذكر حلمي الذي ذهب إلى حمام الرجال، وتتساءل إن كان هو كذلك يفكر بالاحتلال¹، وما يثير الدهشة هو تصوير الروائي اليهودي لهذا الموقف، فسوّره كنقطة تفتيش، ينتظر كلّ دوره في العبور، فالباب هو الحاجز، وفضاء غرفة الحمام حيث يقضي الناس حاجاتهم، تقبع الأراضي التي تحت سيطرة العرب، فيقرن الروائي اليهودي المكان العربي بمياه المجاري.

وعندما يتحدث الروائي عن العرب في سياق السوق فإنه يختار سوق العبيد في المصرة، وهذا السوق يزدحم بالعمال العاطلين عن العمل فيقول على لسان (نوري): "نظرت إلى الساحة المزدهمة، ورأيت السيارات الإسرائيلية بلوحاتها الصفراء، لأين يتراكم الناس في مثل هذه الساعة المبكرة؟ لم أستطع تمييز المكان الذي كان مرة سوقاً للخضار والفاكهة، أما الآن فهو مكتظ بالناس لكن عملية البيع والشراء لا تتم². فيربط المكان باللوحات الصفراء التي تدل على الوجود الإسرائيلي ويجعل من هذه اللوحة المتكأ الذي يتكئ عليه العامل الفلسطيني، والفرج الذي يتيح له الإتيان برغيف الخبز فهو يركض لاهتاً للحصول عليه، وعندما يسأل (نوري) غدير عن هذه الفوضى ترد: "ألا تعرف هذا المكان؟ إنه سوق العبيد، في كل صباح يأتي الرجال من سلوان وأبو ديس وصور باهر وبيت حنينا وشعفاط من أجل البحث عن العمل³. فيبرز الروائي صورة الفقر والحاجة في هذا المكان، وكيف أن الحال تبدلت من الأفضل للأسوأ، فيربط المكان بالعربي عن طريق تعداد القرى العربية ثم يربطها بالفوضى والدمار والفقر والحاجة، ويجعل هذا الاعتراف على لسان عربي، ولا يحتمل المسؤولية لأصحابها الذين كانوا سبباً في وصول الحال إلى ما هي عليه. واللافت للنظر أن الروائي اختار هذه البقعة بالذات لبدء رحلة (نوري) وغدير في قضية لمّ الشمل، فنقطة الانطلاق ومكان التجمع والالتقاء عادة ما يكون مشهوراً للجميع فكيف يلتقي (نوري) مع غدير وأمها في سوق العبيد من ثم يتساءل عن ماهيته؟ ومن ذلك يتضح التهرب من المسؤولية والتهرب من الأسباب المؤدية إلى مثل هذا الوضع.

¹. ينظر: רביניאן, דורית, גדר חיה, 'ע' 38.

². למיר, אלי, יסמיר, 'ע' 261. بتصرف

³. المصدر نفسه، الصفحة نفسها. بتصرف

أما سوق الخليل فيراه (نوري) مضغوطاً، ومزدحمًا، وقذرًا، فأكوام النفايات في كل مكان، والأزقة مظلمة وضيقة وملتوية مثل الخطاطيف التي تعلق عليها اللحوم الطازجة التي تقطر دمًا، تتدفق مياه المجاري ذات الرائحة الكريهة في أزقته، والعيون المريبة تحديق به وبعائلته¹. فالسوق العربي مظلم قذر، ولم يصبح هكذا من تلقاء نفسه، بل سبب ذلك يرجع إلى الشخصية العربية التي تحلّ بالمكان، التي حولته إلى مكبّ للنفايات ومجرى لمياه المجاري، والشخصية العربية تحديق بضحيتها اليهودية القادمة المتمثلة ب(نوري) وبعائلته، ويصور الروائي مشهدًا مرعبًا للأزقة ويقرنها بالخطاطيف الملتوية التي علقت عليها اللحوم التي تقطر الدم، وذكر المشهدين بالفقرة نفسها يجعل الأمر ملتبسًا على القارئ فيضيق الروائي احتمالات التخيل ويحصرها حتى تتداعى صور اليهودي المذبوح والمطعون.

أما سوق قلقيلية، فتذكر (ليئات) أنّ عائلتها كانت تشتري كلّ حاجياتها منه قبل الانتفاضة²، فالانتفاضة وأعمال الشغب الصادرة عن العرب هي السبب في مقاطعة عائلتها للسوق العربيّ، فيظهر الروائيّ الشخصية اليهودية بأنها تبدي تعاونًا وتمدّد يدها للسلام والتعايش مع العربيّ، لكنّه يرفض ذلك ويردّ ردًا عنيفًا بأعمال الشغب هذه، فينفر منه اليهود، وذلك قطعًا غير صحيح، فقد ورد اعتراف سابق من يهودي، بأنّ الأسعار الرخيصة في السوق العربي تجذبهم³، فشهد شاهد منهم.

- القرية والمدينة:

لا يتجرأ اليهودي في الغالب على دخول المناطق العربية، خاصة القرى، وإن دخلها فإن الشعور الذي يملكه هو الخوف وعدم الأمان، فهو يضع نفسه موضع الشك أيضًا وذلك لأنه ليست له حاجة لدخول تلك المناطق أصلًا، فالخدمات التي يحتاجها تتوفر عنده بجودة أفضل، ودخوله مجلبة للأفكار السلبية في ذهن العربي، كأن يكون شرطياً أو موظفًا حكوميًا. ف(كابلي) يتذمر من مثل هذا عندما عمل ميكانيكيًا في الشرطة بمنطقة المثلث

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 294.

². ينظر: رביניאן, דורית, גדר חיה, ע' 52.

³. ينظر: لامיר, אלי, יסמין, ע' 73.

في المركز، ويحدث أباه: "كان الأمر صعبًا، والجوّ متوترًا، العمال العرب يشكون بي على الدوام، وأنا لا أشعر بالأمان"¹.

أما عند وصول (نوري) مدخل قرية الرينة، سار ببطء في الطريق الضيق والملتوي لأعلى التلة، وعن اليمين يرى أكوام الصخور وخلفها تظهر أشجار الزيتون، ويرى كذلك دخانًا أزرق داكنًا يتصاعد من البيوت إثر احتراق الروث، ويشم الرائحة المعهودة للقرية العربية. يلاقيه كلبان ضالان ينبحان بصوت أجش، وعندما أدار رأسه نحوهما هربا خوفًا، والقناة المنحنية على جانب الطريق فاضت بمياه المجاري². وفي هذا المشهد ينطق الروائي المكان، فالقرية مميزة بماركة تجارية هي القذارة، فغالبًا ما يرتبط المكان العربي بمياه المجاري ومكبّ النفايات، مما يدعم عنده فكرة أن اليهود يريدون استعمار الأرض وإصلاحها، وأما الكلبان فيصور معاناتهما في هذا المكان، فهذا المكان العربي يجلب الألم لكل من عليه، ليس بسبب المكان نفسه وإنما بسبب القاطنين فيه، فلا رحمة عندهم، حتى أن الكلاب تخافهم وتتوقع ركلة أو ضربة حجر من صوبهم، فلا حول لها إلا الفرار.

وأما البناء في قرية الرينة فهو مكتظ، فالبيوت تتدافع وتتصارع كأنها تتسلق على بعضها بعضًا، يكسوها اللون الرمادي لون الإسمنت، عدا الشبابيك فهي مكسوة بلون السماء، كرقية ضد العين³. فيكشف الروائي عن حالة الفقر التي تعمّ القرية المكسوة بلون الإسمنت، فبيوتها المرصوفة لم يكتمل بناؤها بعد، ويظهرها الروائي على أنها في حالة انتظار، فالبيوت تنتظر وصول المرمم اليهودي، ثم يأتي على ذكر التعويذة والرقية ضد العين، كأنه يلمح إلى الثقافة المتخلفة عند العربي وكيف أن هذه البيوت تذكره بها، وتشير كذلك (ليئات) إلى البيوت الرمادية في القرى العربية، وكيف أن تمييزها سهل جدًا عن المدن اليهودية المكسوة بالبياض⁴. وقد استطاعت (ليئات) تمييز قرية حلمي "المسمية الصغيرة" من خلال رسوماته، فسألته إن كان يودّ العودة إليها، فكان جوابه بالنفي، فسألته عن الزمن الذي انتقلت فيه عائلته منها، فضحك منها، أما حلمي فيفضل أن يمتلك

¹. المصدر نفسه، ص 113. بتصرف

². ينظر: المصدر نفسه، ص 263.

³. ينظر: لامير، ألي، *يسمין*، ص 263.

⁴. ينظر: ربينا، دوريت، *גדר חיה*، ص 189.

بيئاً على شاطئ البحر،¹ فتظهر سذاجة (ليئات) لظنها أن عائلة حلمي انتقلت من القرية، وحلمي لم يعر الموضوع اهتماماً بالغاً، فمع أن عائلته هجرت من القرية، فقد اكتفى بالضحك، فجعل الروائي اليهودي أمر التهجير أمراً طبيعياً. ويلفت النظر أن حلمي لا يود العودة إلى القرية بل يفضل البحر، فكأن امتلاكه بيئاً على شاطئ البحر بات واقعياً أكثر من العودة إلى القرية التي أقيم عليها مطار اللد فيما بعد.

أما القدس فهناك لفظة أشار إليها الروائي عبر جدال دار بين السيناتور أنطون ووالد (نوري) ومغادها أن أبا (نوري) يدعي أن القدس قد ذكرت بالتوراة 667 مرة، وذكرت أرض إسرائيل 4584 مرة، ولم تذكر القدس ولو مرة واحدة في القرآن²، وذلك الأمر غير صحيح البتة لما ورد في سورة الإسراء، ويأتي (مردخاي كيدار) من جامعة (بار إيلان) ليفسر المسجد الأقصى على هواه، فينقب بالكتب على مسجد أقصى آخر في منطقة الجعزانة، ويدعي أنه هو المذكور في السورة³، وهذا المسجد ذكر في كتاب المغازي للواقدي⁴، والجعزانة ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي، صلى الله عليه وسلم، لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزوة حنين وأحرم منها، صلى الله عليه وسلم، وله فيها مسجد⁵، والصحيح أن هذا المسجد المذكور وصف بالأقصى أي الأبعد لوجود مسجد آخر، فسمي كذلك للترقية بين المسجدين ليس إلا، فيحاول الروائي عبر التلاعب بالأرقام إثبات أحقية اليهود لأرض بيت المقدس، غاضاً الطرف عما ذكر عن بيت المقدس وأكناف بيت المقدس في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

- الحدود والمناطق الحرجة (نقط التفتيش والسجن):

تعد الحدود ونقاط التفتيش مناطق حساسة ففي نقط التفتيش والحواجز، استطاع الروائي أن يكسر شوكة كل عربي، ومع أن أبا جورج حاول أن يأخذ حذره كي لا يصطف في طوابير الذل والانتظار، فوصى ابنته بأن تظهر الجواز الفرنسي، وتخبئ الجواز الأردني، وعند الحاجز يتعرض لمساءلة الجندي، من أين جاء، وماذا

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 180-182.

². ينظر: لامير، ألي، יסמיך, ע' 248.

³. ينظر: https://www.youtube.com/watch?time_continue=1&v=6VwQg3JhA7g.

⁴. ينظر: ج1، ص 958.

⁵. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص142.

فعل هناك؟ ويرد أبو جورج ويحيب عن أسئلته: ذهبت لعمان لإحضار ابنتي، فقد عادت من باريس، وهي تحضر لدرجة الدكتوراة في (السوربون)، فيقاطعه الجندي موجها الكلام إلى ياسمين باللغة الفرنسية: هل يتحدث أبوك نيابة عنك دائماً؟ ولماذا تظهرين جوازاً أجنبياً، ألا تملكين جوازاً أردنياً؟ فأجابته بفخر: بلى. فيأتي القائد ويشير لها بأن تتجه إلى زاوية التفتيش.¹ وفي هذا الموقف تتوالى محاولات أبي جورج في تسريع الإجراءات إلا أن محاولاته باءت بالفشل، فبداية، محاولة إخفاء الهوية العربية وتهميشها فإنها صارت تجلب الدّل والعار لصاحبها، وثمّ يحاول أبو جورج التباهي بابنته فهي قادمة من فرنسا، وهي تدرس في (السوربون)، بل وتحضر لدرجة الدكتوراة، ويظنّ أبو جورج أن حيلته هذه ستطلي على الجندي ويقوم بتسريحهم، ويتضح أن الجندي متقن للفرنسية مثقف وواعٍ لما يدور حوله، فيحاول إثارة ياسمين بسؤال مفخخ، لماذا تظهرين جوازاً أجنبياً، ألا تملكين جوازاً أردنياً؟ فإن تصرفت وكأنها لا تملك جوازاً فستشعر بالعار والتكر لهويتها وأصلها، ولكن ياسمين حاولت أن تستدرك ذلك فأجابته بفخر أنها تملك جوازاً عربياً، وهنا يظهر العربي في عيون الجندي تنكره لهويته وأصله، وكيف أن العربي من تلقاء نفسه يعترف بدونيته، وجاء الاعتراف من قبل حاملٍ لدرجات أكاديمية عالية مما يزيد من مصداقية الأمر، فجعل الروائي ياسمين ممثلة للشخصية العربية، وحاول بناء نموذج مقنع لهذه الشخصية من حيث المظهر والجوهر، فشكّلها شكلاً حسناً، وعلمها واستثمرها في أفضل الجامعات وأشهرها، فتكون بتلك المواصفات أكثر مصداقية، ومنبراً لآراء الكاتب. والظاهرة اللافتة للنظر هي أنّ أبا جورج يتصرف بازدواجية، وتظهر هذه الازدواجية عبر "ثلاث ظواهر في علاقة الضعيف بعدوّ قويّ وبعلاقته مقابل ذلك بمن هو أضعف منه بمن فيه أفراد جماعته: ظاهرة "التأرنب" أو المسكنة تجاه العدو القويّ، وظاهرة "الثعلبية"، أي التحايل أيضاً تجاه هذا العدو القويّ، وظاهرة الاستئساد تجاه الأضعف منه."² فيحاول أن يتحايل ويتمسكن بالوقت نفسه على جندي التفتيش، ويستأسد ويأمر ابنته بتنفيذ تعليماته.

ولا تقتصر نقاط التفتيش على المساءلة فقط وإنما تتدخل في أكثر من ذلك لتصل إلى حقائب العربي وتعبث بها، فتنتظر ياسمين خمساً وثلاثين دقيقة، وتتحرك من هنا إلى هناك كما يحرك الدمية صاحبها، وبعد المساءلة للمرة الثانية، يأتي جندي الجمارك وأمامه قد وُضعت حقائب ياسمين، فيطلب منها التعاون إلا أنها ترفض ذلك

¹. ينظر: لامير، ألي، يسمين، لا' 131-132.

². بركات، حليم، المجتمع العربي المعاصر، ص 60.

وترد: تريد أن تفتش الحقائق فهي أمامك، أنا لن أفتح أي حقيبة. فيبتسم الجندي ويطلب مرة أخرى أن تقوم بفتح الحقيبة ولكنها ترفض مرة أخرى مع إمالة رأسها، فيقوم الجندي بفتح حقيبة الملابس أولاً فيعبث بملابسها قطعة تلو قطعة، من ثم تمتد يده إلى الملابس الداخلية فيبطئ من حركته ويتحسسها بلطف، فتشعر ياسمين وكأنه يتحسس جسدها وأعضائها، فاقشعرت من ذلك وشعرت بالغثيان، وأرادت أن تغرس أظفارها فيه لتبعده، وعند الانتهاء أشار لها الجندي بأنها تستطيع الذهاب، فردت أنها لن تحزم الحقائق، وعليه أن يرجع كل شيء لمكانه، فيقوم الجندي بحركة سريعة في توضيب الحقيبة، فتسقط على الأرض قطعة وردية من ملابسها الداخلية فيقوم برفعها عن الأرض بحركة مستنقزة ثم ينفخ عليها لإزالة الغبار عنها، ويدسها بالحقيبة ويغلقها ويشير لمكان الخروج، تاركًا حقيبة الكتب دون تفتيش.¹ وتبرز هنا صفة الضعف والانقياد في هذا المكان، فياسمين في هذا الموقف كغيرها من الناس، ككل عربي يريد عبور نقطة التفتيش، فتنتظر خمسًا وثلاثين دقيقة، وتعددها عددًا، وتنتظر في الطابور حتى يحين دورها، لتوضع على طاولة التفتيش، أما جسدها المتمثل في حقيبة الملابس فلا يُترك شبر منه، ويُفتش بعناية وباستفزاز، ولا حيلة لها إلا الصبر، أو المقاومة الداخلية التخيلية التي تظهر أعراضها على شكل امتعاض في الوجه أو جملة هنا وهناك، التي يسمح بها الجندي كتنفيس للضغط الداخلي تقاديًا للانفجار. أما آراؤها وأفكارها المتمثلة بحقيبة الكتب، فيدعها الجندي وشأنها، إما لأنها لا تهتمه وذلك لأنه استطاع أن يطوق عنق الجسد ويكبل يديه، فستذهب هذه الآراء إلى حيث الجسد فهي عالقة فيه، وإما لأنه يعرفها مسبقًا، فلا حاجة لتضييع الوقت فيها. وفي الحقيقة، إن هذه الحقيبة التي ترمز للعقل والفكر ولموطن الأسرار لا يستطيع الجندي العبث بها بل إنه لا يستطيع رؤيتها وكشف ما فيها وتدنيسها كما دنس حقيبة الملابس بيديه العابثتين، ولتفتيش هذه الحقيبة يحتاج الجندي مهارة أخرى من نوع آخر لا تعتمد فقط على حاسة اللمس والبصر.

وفي الطريق إلى أريحا برفقة (نوري) يتكرر المشهد مرة أخرى، ففي نقطة التفتيش يطلب الجندي هوية كل من (نوري) وياسمين، فتظهر ياسمين الجواز الفرنسي، فيشك الجندي في أمرها ويطلب منها التبرج من السيارة، فيتبرج (نوري) أيضًا ويظهر أوراقه، فينظر فيها الجندي ويشير إليه بالذهاب، فيتوقف (نوري) ويقول: إنها برفقتي يا صديقي. فيرد الجندي: لست صديقك ولا أعرفك، فيجيبه (نوري): أنا أعرفها وأعرف عائلتها، وأبوها

¹. ينظر: لامير، ألي، 135-133.

هو... فيقاطعه الجندي: سيدي أنت تعيق عملي. ويحاول (نوري) عبثاً إظهار بطاقة تسمح له الدخول إلى كل المناطق العسكرية، فيغضب الجندي: سيدي، أنت بالنسبة لي مواطن عادي، وإذا استمررت بتصرفاتك هذه سأضطر لاتخاذ التدابير اللازمة. فتدخل ياسمين وتهدي من روع (نوري) قائلة: هل تريد إخماد النار أم إشعالها؟ وبعد تفتيشها عادت مطأطئة رأسها تطلب من (نوري) أن يأخذها للبيت.¹ ويبدو من هذا الموقف أن ياسمين قد تعودت على الخضوع والإذعان مع أنها ترافق يهودياً من مكاتب الحكومة، ولم تبد أية مقاومة، عادت مستسلمة لا تطلب شيئاً سوى البيت، تريد أن تعود إلى السكن الآمن، كي تستطيع أن تخلع طوق الأسر والحبس، تريد أن تسترجع حريتها مرة أخرى. أما الجندي فلا يبالي من برفقة العربي، بل ولا يبدي له احتراماً، ولا يعير منصبه اهتماماً، بل يعلق بجملة واحدة: "دعني أقوم بعملتي"، فحضور الشخصية العربية يعني تهديداً لأمن الدولة، الذي يتربع على سلم الأولويات، ولا وساطة فيه. فالحاجز نقطة حرجة يمكن أن تتأجج فيه نار الصراع بين العربي واليهودي، ف(ليئات) تتخيل مشهداً مرعباً عندما اتصل فيها وسيم أخو حلمي، فتظن من الضجة أن حلمي قد حبس في حاجز الجنود يحيطون به، وتخاف على نفسها بسبب علاقتها معه، فقد يجزها نحو الهاوية²، فتظهر أنانيتها في هذا الموقف، فكل ما تفكر فيه هو إنقاذ نفسها، لكن يتضح من مكالمة وسيم أن حلمي قد توفي غرقاً في البحر.³

إن المتأمل في تنقل اليهودي عبر الحواجز ونقط التفتيش لن يشعر ولو بقيد أنملة من شعور المتعاطف معه، وذلك لأن اليهودي لا يعتريه مثقال ذرة من شعور الذل، بل ينتقل بكل حرية دون اكتراث، ويزور كل بقاع المكان دون قلق، ف(كابلي) يخرج من المستشفى بعد الحرب وتقوم صديقه بتخطيط رحلة للجليل والجولان⁴، واللافت للنظر أن هذه الزيارة لحدود الدولة تدفع للتفكير في هدف مبطن، فالروائي يطمح لتوسيع حدود الدولة،

¹. ينظر: لامير، آلي، يسمين، 396-397.

². ينظر: رابينيا، دوريت، غدر حيه، ع' 329.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 332.

⁴. ينظر: لامير، آلي، يسمين، ع' 109-108.

فيزرع ذلك في عقول شخصياته وينثرها على الحدود بغرض الاستمتاع، فقد حثت أم (كابي) ابنها للذهاب إلى إيلات مرة مع صديقه¹.

أما السجن الذي يشكل تجربة لعدد لا بأس به من الفلسطينيين، فقد خاض حلمي هذه التجربة لمدة دامت أربعة أشهر عندما كان ابن خمس عشرة سنة، وعندما أخبر (ليئات) بذلك تعجبت وسألت عن السبب، وكان السبب رسم العلم الفلسطيني على جدار في الخليل، مما زاد من تعجب (ليئات)، فيخبرها بأن ذلك كان ممنوعاً آنذاك²، واللافت للنظر أن الروائية جعلت سبب السجن التافه مقبولاً، فتزى حلمي يعترف أنه فعل أمرًا ممنوعاً، وكأنه يستحق عقوبة السجن. وعندما تود (ليئات) الإحاطة بهذه التجربة ومعرفة تفاصيلها تصدم، فيخبرها حلمي أن الرسم ممنوع، يمنع رسم العلم أو حتى أي شيء بألوان العلم، فاستخدام مزيج الألوان: الأحمر والأخضر والأبيض والأسود، يدخلك السجن، وإن كانت الرسمة رسمة ساذجة للبطيخ³. فبذلك يمتد سجن الفلسطينيين إلى خارج أسوار السجن الحقيقية، فهم سجناء المكان، مقيدون داخل أجسادهم وفي بيوتهم، فقبل الإقبال على أي عمل، يقوم الواحد منهم بعرضه على شريعة المحتل، فإن حلالاً فعل، وإن حراماً ترك، وإن لم يترك فسيكون هو وأهله وأصحابه وجيرانه عبرة لغيره.

ففي السجن أجبر جنود الاحتلال حلمي وأخاه على الغناء، فقد كانا دميئين يتسلى بها الجنود ويتضحكون عليهما وعلى غنائهما، ويحدث حلمي (ليئات) أنه صدفة بعد كل هذه السنوات يتذكر الأغنية التي كان يجبره الجنود عليها، ويتذكر أخاه الذي منعه مما يمكن أن يطيل مدته في السجن، وذلك لأن من لا يقوم بما يطلب منه فسينزل بهم عقاب جماعي، كأن يجوعوا في ذلك اليوم أو يحرموا من السجائر، ناهيك عن الضربات والركلات المتتالية⁴. فتعلق الأغنية في ذهن حلمي كل تلك المدة وتترك ندبة ليس بالإمكان رؤيتها، ولكن يمكن سماعها، وتصبح جزءاً منه تتردد في داخله ويظهر صداها في بعض الأحيان تاركاً العربي في بحر من الانفعالات.

¹. ينظر: المصدر نفسه، ص 108.

². ينظر: رביניאן, דורית, גדר חיה, ע' 85-86.

³. ينظر: المصدر نفسه، ص 87.

⁴. ينظر: רביניאן, דורית, גדר חיה, ע' 87-89.

الخاتمة

يتّضح من الدّراسة أنّ الروائيّ اليهوديّ الإسرائيليّ قد صوّر العربيّ بصورة قبيحة سلبية في الغالب، على غير ما هي عليه في الواقع، وإن أظهر الروائيّ اليهوديّ الإسرائيليّ صورة إيجابيّة للعربيّ في بعض المواقف فما ذلك إلا استثناء للقاعدة المطردة عنده. تتلخّص أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث خلال دراسته فيما يلي:

- يقرن الروائيّ اليهوديّ الإسرائيليّ العربيّ بالدين الإسلاميّ ويجعلهما وجهين لعملة واحدة، ويجعلهما متلازمين، وتنتضح نظرتّه عن المجتمع المسلم بأنّه مجتمع إرهابيّ منفر، يرتكب الجرائم باسم الدين، ويتمثّل هدف هذا المجتمع عند الروائيّ بإبادة اليهود وقد صرح بذلك غير مرة.
- يذكر الروائيّ اليهوديّ الإسرائيليّ حجاب المرأة المسلمة في سياق سلبيّ، فهو وسيلة للتخفي، وهو رمز للإرهاب ومدعاة للخوف.
- لا يعير الروائيّ اليهوديّ الإسرائيليّ الطائفة الدرزية أي اهتمام، ويستثنيها من المجتمع العربيّ، أما الطائفة المسيحية فيصورها أنها قريبة من اليهود ومن عاداتهم، ويجعلها الوسيط والمفاوض الذي يقف بين المسلمين واليهود.
- يصور الروائيّ اليهوديّ الإسرائيليّ الشخصية اليهودية المترددة، ويكشف الصراع داخلها، ويظهر مدى خجلها باتصالها بالشخصية العربية، خاصة عندما يكون هناك علاقة غرامية بينهما.
- يصور الروائيّ اليهوديّ الإسرائيليّ المرأة العربية على أنها شخصية مضطهدة، تحكمها العادات والتقاليد خاصة في أمور الزواج، ويجعل لها تاريخ انتهاء، هي عنده ساذجة لم تذق طعم الحب والحياة، مكبلة في بيتها، تصرخ وتنادي وتستغيث من جور المجتمع العربيّ.
- كما يصور الروائيّ اليهوديّ الإسرائيليّ المرأة العربية مبادرة في علاقتها مع اليهودي، فهي التي تتقرب منه.
- يستغلّ الروائيّ اليهوديّ الإسرائيليّ صوت الشخصية العربية ولسانها وينطقه بما يناسب الحال، كالأمور الوحشية التي تعاني منها المرأة في المجتمع العربيّ مثلاً، حتى يضيفي مصداقية لما يقول.

- يذكر الروائي اليهودي الإسرائيلي المجتمع اليهودي بالمرقة النازية في رواياته، ويجعل من هذه الذكرى أساسًا للتعامل مع الآخر.
- يقارن الروائي اليهودي الإسرائيلي بين المكان العربي والمكان اليهودي في أحداث روايته، ويستغل ذلك لتثبيت وطأة اليهود على أرض فلسطين، ويبرر ذلك بأعمال الإصلاح التي يخطط لها اليهود في المنطقة.

الملاحق

رواية "ياسمين" - إيلي عمير

نبذة عن الكاتب¹: ولد في بغداد سنة 1937 وكان اسمه فؤاد إلياس، هاجر إلى إسرائيل مع عائلته سنة 1950، تتلمذ في كيبوتس "مشار هعيمك" وشق طريقه إلى مكتب الحكومة عمل فيه مراسلاً، وبعد خدمته في الجيش درس اللغة العربية وآدابها وتاريخ الشرق الأوسط في الجامعة العبرية في القدس، شغل منصب مستشار الشؤون العربية، ومنح درجة الدكتوراة بشرف من معهد (وايتسمان) للعلوم ومن جامعة (بن جوريون) في بئر السبع وعمل محاضراً هناك.

نبذة عن روايته "ياسمين": تحكي الرواية قصة ياسمين العربية المثقفة التي تحضر لشهادة الدكتوراة في السوربون، وقصة (نوري) اليهودي، فيقع كل منهما في حب الآخر، وتكشف الرواية الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي الداخلي لدى الشخصيتين، تدور أحداث الرواية في القدس بعد حرب 1967.

رواية "جدار حياتها" - دوريت رفينيان

نبذة عن الكاتبة²: ولدت في كفار سابا سنة 1972، نالت جوائز عديدة لأعمالها، تقطن في هذه الأثناء بتل أبيب.

نبذة عن روايتها "جدار حياتها": تحكي الرواية قصة حب بين (ليئات) اليهودية وحلمي العربي، تدور أحداث الرواية في السنوات 2002-2003 بعد الانتفاضة الثانية، يبدأ اللقاء الأول في نيويورك لينتهي ويفترقا على أرض فلسطين عندما يعود كل منهما إلى عائلته، وتبقى مجرد علاقة هاتفية تنتهي بمأساة.

¹. ينظر: <https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00282.php>

². ينظر: <https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/01068.php>

"سعيد" - ران كوهين

نبذة عن الكاتب¹: ولد سنة 1939 في العراق، هرب من بغداد إلى إسرائيل سنة 1950، خدم في الجيش وكان عقيداً للمظليين والمدفعية، درس في جامعة تل-أبيب اللقب الأول في علم الاقتصاد والفلسفة، شغل مناصب مهمة في الحراك الشبابي، وشق طريقه ليكون عضواً في (الكنيست) لمرات عديدة، عُيّن وزيراً للصناعة والتجارة سنة 1999 حيث شغل المنصب لمدة عام.

نبذه عن "سعيد": يسرد الكاتب أخباره وهو طفل، فيتحدث عن مغامراته وهجرته من بغداد مروراً بإيران من ثمّة إلى إسرائيل وترعرعه في (الكيبوتس) ووصله إلى مقعد (الكنيست).

¹. ينظر : [http://public-](http://public-policy.huji.ac.il/%D7%A1%D7%92%D7%9C/%D7%A8%D7%9F_%D7%9B%D7%94%D7%9F#)

[policy.huji.ac.il/%D7%A1%D7%92%D7%9C/%D7%A8%D7%9F_%D7%9B%D7%94%D7%9F#](http://public-policy.huji.ac.il/%D7%A1%D7%92%D7%9C/%D7%A8%D7%9F_%D7%9B%D7%94%D7%9F#)

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.
- الباجي، علاء الدين، على التوراة، تحقيق: يوسف أحمد، ط1، دار اكتب العالمية، بيروت، 2007.
- باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.
- بركات، حلیم، المجتمع العربي المعاصر، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.
- _____، الإغتراب في الثقافة العربية - متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.
- حجازي، أحمد، نقد التوراة، مكتبة الناظفة، مصر، 2001.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت(548هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.
- الحصري، ساطع، ما هي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت(622هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، ط2، دار الشفق، كفر قرع، 1988.
- الدوري، عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية - دراسة في الهوية والوعي، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.
- رايوخ، جيلا رامراز، العربي في الأدب الإسرائيلي، ترجمة: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح محمد فايق، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.
- روحانا، نديم، الفلسطينيون في إسرائيل قراءات في التاريخ، والسياسة، والمجتمع، مدى الكرمل، حيفا، 2011.

- سفر أشعيا.
- سفر ميخا.
- شاحك، إسرائيل، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية - وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة: صالح علي سوداح، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1995.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ت(1250هـ)، فتح القدير، ط4، دار المعرفة، بيروت، 2007.
- صميده، محمود علي، الشخصية الفلسطينية في القصة العبرية القصيرة، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2000.
- الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1983.
- عازر، فؤاد، العنصرية في إسرائيل 2004، مركز مساواة، حيفا، 2004.
- العسكري، الحسن بن عبد الله ت(395هـ)، جمهرة الأمثال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.
- عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997.
- _____، معجم اللغة العربية المعاصر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008.
- الغدامي، عبد الله، الثقافة التلفزيونية، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
- غرة، عمر، الفكر الصهيوني بين التصور النمطي والتصوير الفردي في الأدب العبري الحديث، ط1، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1991.
- ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981.
- كنفاني، غسان، أرض البرتقال الحزين، دار منشورات الرمال، قبرص، 2013.
- لبيب، الطاهر، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، ط1، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 1999.
- مزعل، غانم، الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث 1948-1985، ط1، دار الجليل، عمان، 1986.
- المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999.
- هيلارد، روبرت، الكتابة للتلفزيون والإذاعة ووسائل الإعلام الحديثة، ترجمة: مؤيد حسن فوزي ومراجعة: أحمد نوري، ط1، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2014.

- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي ت(207هـ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط3، عالم الكتب، 1984.

المصادر العبرية:

- אופנהיימר, יוחאי, מעבר לגדר ייצוג הערבים בסיפורת העברית והישראלית (-1906 2005), עם עובד, תל-אביב, 2008.
- אוריין, דן, דמות הערבי בתיאטרון הישראלי, אור עם, 1996.
- הרמן, תמר, מדד הדמוקרטיה הישראלית 2016, המכון הישראלי לדמוקרטיה, ירושלים, 2016.
- כהן, רן, סעיז, ספרית פועלים-הוצאת הקיבוץ המאוחד, תל-אביב, 2016.
- עמוס בן-אבנר, הקאמרי של תל אביב 50 שנות תיאטרון ישראלי, עריכה: רבקה משולח, דניאלה די נור מוצאים לאור, 1997.
- עמיר, אלי, יסמין, הדפסה 14, עם עובד, תל-אביב, 2005.
- פיקלשטיין, אריאל, דרך המלך, ישיבת ההסדר "אהבת ישראל", נתיבות, 2010.
- פרס, יוחנן, ובן רפאל, אליעזר, קירבה ומריבה שסעים בחברה הישראלית, עם עובד, תל אביב, 2006.
- קוחנסקי, מנדל, התיאטרון העברי, תרגם מאנגלית: אביב מלצר, דף חן, ירושלים, 1974.
- קינר, גד, על המחזאות הישראלית, התיאטרון הקאמרי של תל אביב 2, עריכה: רבקה משולח, מרכז ההדרכה לספריות בישראל, תל-אביב, 2008.
- רביניאן, דורית, גדר חיה, הדפסה 14, עם עובד, תל-אביב, 2014.
- רודיצקי, אריק, הערבים אזרחי ישראל בפתח המאה העשרים ואחת, המכון למחקרי ביטחון לאומי, תל-אביב, 2014.
- רם, אורי, החברה הישראלית: היבטים ביקורתיים, ברירות, תל אביב, 1993.
- שוהם, חיים, הקבוצה בתיאטרון פועלי ארץ-ישראל 'אהל' ההצגה "בתיה" על פי צבי שץ, אופסט רמז בע"ם, חיפה, 1983.
- שטרית, סמי שלום, יהודית ודמוקרטיה: מבחן בחינוך-חיבור על חינוך לאומיות, אתניות ודמוקרטיה, בימת קדם, תל אביב, 2014.
- שיפטן, דן, פלסטינים בישראל מאבקו של המיעוט הערבי במדינה היהודית, זמורה-ביתן, אור יהודה, 2011.
- שנהב, יהודה, היהודים-הערבים לאומיות דת ואתניות, הדפסה 2, עם עובד, תל-אביב, 2003.
- שקד, גרשון, אין מקום אחר, הקיבוץ המאוחד, תל-אביב, 1983.

المجلات/الدوريات العربية:

- أمارة، محمد، المشهد السياسي والحزبي، تقرير مدار الاستراتيجي 2005، ص 73-113، 2005/03/15.
- جريسي، برهوم، التكاثر السكاني في إسرائيل لن "يعوّض" تراجع أعداد اليهود في العالم، تقارير مدار، 2016/09/20.
- حافظ، صبري، إميل حبيبي وسرد إحياء الذاكرة الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 7 عدد 27، ص 110-136، صيف 1996.
- ريغف، موطي، الموسيقى والثقافة الشعبية في إسرائيل-لمحة تاريخية، ترجمه عن الإنجليزية: ياسين السيد، قضايا إسرائيلية العدد 50، ص 11-20، 2013/08/06.
- الشايب، يوسف، المخرجون الجدد في إسرائيل، قضايا إسرائيلية عدد 59، ص 103-110، 2015/12/01.
- غانم، هنيده، نحو ترسيخ إسرائيل يهودية يمينية استيطانية، تقرير مدار الاستراتيجي 2016، ص 13-26، 2016/03/27.
- فلدمان، جاك، في أعقاب الاستغلال الإسرائيلي للمحرقة، قضايا إسرائيلية عدد 36، ص 7-28، 2009/12/31.
- مزعل، غانم، ترجمة الأدب الفلسطيني إلى العبرية: محمود درويش وإميل حبيبي أنموذجًا، مجلة أماراباك، مجلد 5، عدد 13، ص 1-14، 2014.
- _____ مدينة القدس في الشعر العبري: قراءة في نماذج منتقاة، رؤى فكرية، عدد 5، ص 151-177، 2017/05/17.
- هلال، هنيده، هل كانت حرب 1967 طقس تطهر لإسرائيل، قضايا إسرائيلية عدد 34، ص 7-11، 2009/07/27.
- يفتاحيل، أورن، اليهود الشرقيون والمكان (نشوء طبقة إثنية في بلدات التطوير)، قضايا إسرائيلية العدد 4، ص 41-58، 2001/10/01.

المجلات/الدوريات العبرية:

הארץ:

- אלפר, רוגל, ערבי אחד לעונה – וגם זה לא באמת, הארץ 07-01-2016.
- אלקיים, ליאת, מה הופך את "הישרדות vip" לסדרה הכי טובה בטלוויזיה, הארץ 19-07-2012.
- הארץ ורויטרס, תאלין אבו חנא נבחרה למלכת היופי הטונסג'נדרית הראשונה בישראל, הארץ 27-05-2016.
- הארץ, סטיסטיקה הוליוודית, הארץ 25-02-2008.
- _____, המימונה של השומרונים, הארץ 17-04-2017.
- אשכנזי, יאיר, כנס מיוחד: יחסי היהודים והערבים בתיאטרון, הארץ 01-10-2015.
- _____, שני חיילים נלכדים עם איש חמא במנהרה, הארץ 28-01-2017.
- ב. מיכאל, וגם גזענות יש, הארץ 22-01-2015.
- באלנט, ענת, רנין בולוס, מבוגרת "האח הגדול" עוזבת ללנדון. וזה הזמן לדבר על גזענות, הארץ 12-11-2009.
- בן נון, שגיא, "שירת הסטיקר" בכתבה ב"ניו יורק טיימס", הארץ 18-08-2004.
- בן נון, שגיא, דויד גרוסמן כתב ל"הדג נחש" שיר המורכב ממילות סטיקרים, הארץ 11-05-2004.
- בר-אלי, אבי, נתניהו נכנע לחרדים, הארץ 01-09-2016.
- דברת-מזריץ, עדי, מסך הכף: בעולם מתחרים על המחיר בבתי הקולנוע – בישראל רק על החוויה, הארץ (the marker) 21-11-2013.
- ירון, עודד, הצל הצבי וסערת הפייסבוק התורנית, הארץ 28-04-2015.
- מלמד, אריאנה, גשם גשם מיטפטף – יא, ערביה, איזה צחוקים!, הארץ 01-03-2017.
- נירית, אנדרמן, "גנקשן 48" של אודי אלוני כה בפר הסרט הבינלאומי בפסטיבל טרייבקה, הארץ 22-04-2016.
- סער, יובל, איך קרה שכל הילדים הכניסו הביתה את הזמר הים-תיכוני?, הארץ 21-04-2010.
- ספי רכלבסקי, נתניהו ו"הגויים", הארץ 23-04-2013.
- פריד, ירון, את, אני והשואה הבאה, הארץ 04-01-2009.
- קשתי, אור, הישראלים לא מבינים ערבית, הארץ 04-12-2015.
- _____, משרד החינוך פסל ספר המתאר רומן בין יהודייה וערבי מחשש שיעודד התבוללות, הארץ 31-12-2015.

- רוזובסקי, ליזה, **ישראלי, דבר רוסית: העולים שרוצים שילדיהם ישמרו את השפה שעליה גדלו**, הארץ 07-12-2017.
- שטרן, איתי, **"רוב המזרחים הם גם קורבן של הציונות"**, הארץ 05-12-2016.
- שטרסלר, נחמיה, **טלוויזיה | גמר האח הגדול – שובר הסטיגמות הגדול**, הארץ 27-03-2011.
- שטרקמן, רותם, **למה עם ישראל במשבר?**, הארץ 24-06-2016.
- שירות הארץ, **שירת הסטיקר- השיר העברי המושמע ביותר בשנת 2004**, הארץ 26-01-2005.

הבוקר של קשת:

- גוטמן, גלית, ולימור, יואב, **פותנה ג'אבר נגד אל-על: "הושפלתי עם משפחתי בגלל שאנחנו ערבים"**, הבוקר של קשת 01-02-2015.

ידיעות אחרונות:

- רום, נועה, **נסרין על חלב**, ידיעות אחרונות 06-01-2009.
- ריינשטיין, זיו, **הר גריזים נפתח לציבור. ארדן: נמשיך לפתח ביו"ש**, ידיעות אחרונות 05-07-2012.

לאשה:

- יעקב, איתי, **הודא נקאש: "אני רוצה לעזוב ולמצוא מדינה הנכונה לי ולילדיי"**, xnet לאשה 10-01-2016.
- שושון, סימה, **רנין מ"האח הגדול" עושה פוזות**, לאשה מגזין 01-03-2009.

מגזין mako:

- פרחי, גיא, **מגזין mako** 16-12-2015.

מגמות:

- הירש, ליטבק, ואון, בר, **לבנות את החיים מחדש: מחקר מעקב על העברה בין-דורית של טראומת השואה**, מגמות מה 2, ע' 243-271, 2007.
- סמוחה, סמי, **שלוש גישות בסוציולוגיה של יחסי עדות בישראל**, מגמות כ"ח 2/3, ע' 1984, 169-206.

מעריב:

- זילברשטיין, יהודית, **עזאם עזאם שוחרר והתקשר לבנו: "אני אוהב אותך וחוזר מיד הביתה"**, מעריב 5-12-2004.
- לוין, מיקי, **סלים מרעי שהודח מ"האח הגדול" מסביר: זו הטעות הגדולה שעשיתי**, מעריב online 11-01-2016.

المواقع الإلكترونية:

- <http://www.mako.co.il/tv-erez-nehederet>. 23-08-2017
- <http://10tv.nana10.co.il/Article/?ArticleID=901282>. 25-8-2017
- <http://elections.meretz.org.il/platform/>. 6-7-2017
- <http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheHistoryOfTheJewishPeople/WarsOfIsrael/Pages/independence%20war.aspx>. 11-6-2017
- <http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheHistoryOfTheJewishPeople/WarsOfIsrael/Pages/independence%20war.aspx>. 11-6-2017
- <http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheHistoryOfTheJewishPeople/WarsOfIsrael/Pages/six%20days%20war%201967.aspx>. 11-6-2017
- <http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheHistoryOfTheJewishPeople/WarsOfIsrael/Pages/yom%20kippur%20war%201973.aspx>. 11-6-2017
- <http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheIsraeliSociety/Pages/A%20statistical%20glimpse%202012.aspx>. 11-6-2017
- <http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael/TheIsraeliSociety/Pages/jewish%20society.aspx>. 11-6-2017
- <http://public-policy.huji.ac.il>. 10-2-2018
- <http://reshet.tv/mood/survivor/>. 12-11-2017
- <http://sparks.simania.co.il/showChapter.php?categoryId=1&bookId=1&chapterId=10>. 15-8-2017
- <http://www.aljazeera.net/encyclopedia>. 8-7-2017
- <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties>. 8-7-2017
- <http://www.a-m-c.org/page.asp?id=566>. 9-7-2017
- <http://www.bamerkaz1.co.il/index.php?id=14154>. 10-7-2017

- <http://www.farfesh.com/Display.asp?catID=122&mainCatID=127&slID=5732>
7.6-7-2017
- http://www.globes.co.il/news/%D7%A8%D7%99%D7%99%D7%98%D7%99%D7%A0%D7%92.tag?articles_page=2.15-8-2017
- <http://www.havoda.org.il>.7-7-2017
- <http://www.imdb.com/title/tt0385411/>.17-08-2017
- <http://www.kolanas.co.il/full.php?id=3614#.WV4xroiGPIU>.6-7-2017
- http://www.mako.co.il/mako-vod-keshet/big_brother.15-08-2017
- <http://www.mako.co.il/tv-bigbrother/season8-season8-news/Article-0f7e1e691d21951006.htm>.13-8-2017
- <http://www.mechon-mamre.org/i/t/u/up0102.htm>. 22-11-2017
- <http://www.midrug-tv.org.il/>.15-08-2017
- <http://www.pmo.gov.il/Arab/MediaCenter/Spokesman/Pages/spokebibi080714.aspx>. 19-10-2017
- <http://www.the7eye.org.il/rating/page/5/>. 15-08-2017
- <http://www.yadvashem.org/yv/ar/about/index.asp>. 4-7-2017
- <http://www.yadvashem.org/yv/ar/holocaust/02/index.asp>.4-7-2017
- <http://www.yeshatid.org.il>.6-7-2017
- <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4085423,00.html>. 14-09-2017
- <http://zochrot.org/ar/video/56298>. 17-08-2017
- <https://beytenu.org.il>. 6-7-2017
- https://knesset.gov.il/faction/arb/FactionPageCurrent_arb.asp?PG=13. 6-7-2017
- <https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/01068.php>. 3-2-2018

- https://www.facebook.com/pg/AIJabha/about/?ref=page_internal. 7-7-2017
- https://www.facebook.com/pg/gavhauma/about/?ref=page_internal. 10-7-2017
- https://www.facebook.com/pg/moshtraka/about/?ref=page_internal. 7-7-2017
- https://www.facebook.com/pg/shasmaran/about/?ref=page_internal. 10-07-2017
- https://www.facebook.com/pg/tjamoaa/about/?ref=page_internal. 7-7-2017
- <https://www.kulanu-party.co.il/platform>. 6-7-2017
- <https://www.likud.org.il>. 6-07-2017
- <https://www.youtube.com/watch?v=aHYI3iyXlrQ>. 13-02-2018
- <https://www.youtube.com/watch?v=Glbjpev6U5s>. 16-01-2017
- https://www.youtube.com/watch?v=MswH_GX5xow. 16-03-2017

Hebron University
College of Graduate Studies
Department of Arabic Language and Literature



The Image of The Arab in Israeli Novel (2005-2016)

Submitted by:

Maysara Hussein Wattad

Under the Supervision of:

Dr. Adnan AlJawarish and Dr. Ghanem Mazal

A Thesis

Submitted to the Faculty of Graduate Studies
through the Department of Arabic Language and Literature
in Partial Fulfillment of the Requirements
for the Degree of Master of Arabic Language and Literature
at Hebron University

Hebron, Palestine

2018

© 2018 Maysara Wattad

Abstract

The study uncovers the fractions within the classes of the Israeli society. It, furthermore, demonstrates the role of the Arab people minority within it, and so it delves the most pivotal emissions that contributed to depict the image of the Arab in the eyes of the Israeli Jewish novelists. The study goes through the most important events of the Jewish people and presents the provisions of the Torah that relate to the non-Jew. Besides, it studies the variety of the Israeli parties and their influence on the public opinion. It stumbles upon some of the most watched Israeli TV shows; shows the scene and stage of the Israeli theatre, and in the end it depicts the finished image of the Arab people.

The Jewish Israeli novelist relies on that image to give birth to an Arab character, so the study adopts a descriptive analytic methodology to capture the image of the Arab people in the minds of the Israeli Jewish individuals. The study used the Hebrew Novel as a mirror that reflects that image by assigning the presence of the Arab characters, closely tracking them and their movements along with measuring their interactions and contributions to the novel, and finally penetrating into them to find the very core of their existence.

The study relates to "Yasmine" novel by Eli Amir as an example, in which the role of the Arabic character was evident; I tried to analyze a part of each situation that was carried out in the novel in order to reveal what dwells in the mind of the Israeli Jewish that edits the full picture according to his needs, which causes cracks in the Arab classes, eventually these cracks will start to widen as the time goes on. Therefore, I initiated this study to fully understand in a precise manner the Arab character via another literature. The most important finding of this study

is that the Israeli Jewish novelist presents Arabs and Muslims as two sides of the same coin, and that they are in parallel. The Israeli Jewish novelist depicts the Arab woman as an oppressed, naïve, and grounded at home, which supplicates for help from the tyranny of the Arab society.